سلسلة
مركز البحوث والدراسات
رقم (٨)

الحكمة في دعوة المخالف
عند
الشيخ ابن باز رحمه الله

إعداد
د. محمود بن عبد الهادي بن دسوقي آل علي
عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

طبع على نفقة خولة الجسار (رحمها الله)

ح محمود عبدالهادي دسوقي علي، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

علي، محمود عبدالهادي دسوقي

الحكمة في دعوة المخالف عند الشيخ ابن باز رحمه الله. / محمود عبدالهادي دسوقي علي – الرياض، ١٤٣٥هـ

٢٥٦ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٤-٦٤٢٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الدعوة الإسلامية ٢- الأخلاق الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٥/٨٩٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٨٩٣٧

ردمك: ٤-٦٤٢٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

طبع ونشر

مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية

هاتف: ٤٣٥٤٤٤٤ – فاكس: ٤٣٥٨٩٨٠

info@binbazfoundation.org

الحكمة في دعوة المخالف
عند
الشيخ ابن باز رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقريظ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى، أبرز معالم خيرية الأمة المحمدية، ومن أشرف مجالات العبادة، فهي وظيفة الرسل والأنبياء، والداعية يحمل أعظم رسالة، ويقوم بأسمى مهمة ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[1].

والحكمة في الدعوة إحدى أهم الوسائل التي ينبغي أن ينتهجها الداعية حتى يحقق مراده، وينتفع الناس بدعوته.

وقد تبوأت الجامعة الإسلامية مكانة مميزة في نشر الدعوة في مختلف أرجاء المعمورة، وبلغت مرتبة سامية في تعليم أبناء المسلمين، وإعدادهم للقيام بمسؤلية الدعوة في بلدانهم، وأسهم خريجوها في توضيح أحكام الإسلام وإبراز محاسنه الفريدة، وخصائصه العديدة.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

ويأتي إنشاء كرسي سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله لدراسات الحكمة في الدعوة بالجامعة الإسلامية، لدعم الجهود الدعوية التي تضطلع بها المملكة العربية السعودية، وليسهم هذا الكرسي في نشر الدراسات والأبحاث العلمية التي تهدف إلى إبراز معالم الحكمة في الدعوة، وصياغة الخطاب الدعوي بما يتواكب مع الأحداث ويناسب مستجدات العصر، وتقديم كل ما يخدم الدعوة إلى الله تعالى.

ويحمل مسمى الكرسي شخصية علمية دعوية مميزة، عزيزة على قلوب الجميع، ومن أبرز العلماء والدعاة المعاصرين، شرفت بالقيام بتبليغ الدعوة على النهج القويم المعتدل، وممن كان لها الدور الكبير في العناية بالدعوة والدعاة.

وفي إطار التحالف الناجح بين الجامعة الإسلامية ممثلة في كرسي سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله لدراسات الحكمة في الدعوة، وبين مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية في مجال العناية بالدراسات والأبحاث العلمية إعداداً ونشراً، فقد أنجز الكرسي عدداً من الدراسات والأبحاث المتخصصة، منها هذا البحث الموسوم بـ (الحكمة في دعوة المخالف عند الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله) الذي اشتمل على إبراز وتوضيح منهج سماحة الشيخ رحمه الله في دعوة المخالفين، وحكمته في اختيار الوسائل والأساليب الدعوية المناسبة في الدعوة، وآثار حكمته في هذا

المجال، وستتولى مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية طباعة هذا البحث للتوزيع على طلبة العلم والمهتمين في المجالات الدعوية.

ويسرني أن أشكر القائمين على مؤسسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية ممثلة في مديرها العام فضيلة الدكتور عبد المحسن بن عثمان بن باز حفظه الله على حرصه على توثيق الشراكة والتعاون بين المؤسسة وبين الكرسي، وأسأل الله تعالى أن ينفع به وبجهوده.

كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الكريم بن صنيتان العمري أستاذ الكرسي، على ما يقوم به من جهود بارزة في العناية بأنشطة وبرامج الكرسي المتنوعة، ومنها مجال الدراسات والأبحاث العلمية، الذي يمثل جانباً مهماً من جوانب أداء رسالة الكرسي وتحقيق أهدافه.

أسأل الله - تعالى - أن ينفع بهذه الجهود العلمية، وأن يرزقنا جميعاً العلم النافع، والعمل الصالح، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين.

مدير الجامعة الإسلامية/ المشرف العام على الكرسي

أ.د/ عبد الرحمن بن عبد الله السند

❊ ❊ ❊

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقريظ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. . . وبعد:

فيطيب «لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية وكرسي سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لدراسات الحكمة في الدعوة» أن يضعوا بين يدي القارىء الكريم هذا الكتاب الموسوم بـ «الحكمة في دعوة المخالف عند الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ».

وأصل هذا الكتاب بحث أعده الباحث الشيخ/ د. محمود بن عبد الهادي دسوقي ضمن المشاريع العلمية للكرسي؛ لدراسة أوجه الحكمة في دعوة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد تناول فيه الباحث منهج سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في دعوة المخالف، وحكمته في اختيار الوسائل والأساليب الدعوية، وآثار حكمته في ذلك.

ولما تضمنه هذا البحث المميز من معلومات واستنتاجات نافعة اتجهت الهمة إلى طباعته وإخراجه، نسأل الله أن ينفع بهذا البحث مُعدّه، وقارئه، وكل من عمل على إخراجه، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وأن يجمعنا به والقارىء الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . .

مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية
وكرسي سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
لدراسات الحكمة في الدعوة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، أما بعد:

للحكمة إلى الله أهمية عظيمة في وصول الداعية إلى غايته وهدفه، فأمرها عظيم وشأنها كبير، ويكفي من يتحلى بها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[(١)]. ولما للحكمة من منزلة رفيعة فقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إليه بالحكمة، فقال تعالى له: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[(٢)]، ومـــلأ الله قلب نبيه ﷺ الداعية الأول بالحكمة وهذا يدل على عظمتها وأهميتها.

وإذا كانت الحكمة لها هذه الأهمية كان لزاماً على الداعية التحلي بها في دعوة المخالفين حتى تؤتي دعوته ثمرتها المرجوة منها، ولن تؤتي ذلك إلا إذا تحلى بالحكمة، فاستحضرها في ذاكرته، وعمل جاهداً على وضعها في الموضع الصحيح، ليصل إلى هدفه، فتصل الدعوة إلى المخالف على

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، فيكون قد قام بالواجب وأدى المسؤولية الملقاة على عاتقه على أكمل وجه، أعذر إلى ربه، ووصل إلى هداية المخالف له، أو أوقفه موقف المحايد للدعوة على الأقل، أو حصل على احترامه واحترام معتقده وفكره.

وقد كان للشيخ ابن باز رحمه الله صولات وجولات في دعوة المخالفين متحليًا بالحكمة في دعوتهم، وكان له منهج واضح، وأساليب ووسائل متعددة في دعوة هذا الصنف من المدعوين، فأتت دعوته لهذا الصنف ثمارها بسبب حكمته في دعوتهم، فاقتنع بمنهجه فريق منهم، فصار محباً للشيخ مدافعاً عن معتقده وفكره، وحيد فريقا آخر، ومن هنا رأيت أن أكتب في هذا الموضوع المهم الذي لم يتطرق إليه أحد من الباحثين فيما أعلم على أهميته، وعظيم شأنه، وكثرة منفعته وأثره، ليكون سبيلاً وطريقاً يلتمس فيه الدعاة بغيتهم في دعوة هذا الصنف، ويتعلموا من ذلك الإمام. ومن هنا تظهر أهمية الدراسة.

أهداف الدراسة

- بيان منهج الشيخ ابن باز رحمه الله في التعامل مع المخالف وحكمته الدعوية في ذلك.
- إبراز حكمة الشيخ ابن باز رحمه الله في اختيار الوسائل والأساليب الأنفع والأجدى في دعوة المخالف.
- التعرف على آثار حكمة الشيخ في دعوة المخالف.
- بيان أوجه الاستفادة من حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف.

تساؤلات الدراسة

- ما منهج الشيخ ابن باز رحمه الله في التعامل مع المخالف وحكمته الدعوية في ذلك؟.

- ما حكمة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في اختيار الوسائل والأساليب الأنفع والأجدى في دعوة المخالف؟.
- ما آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف؟.
- ما أوجه الاستفادة من حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف؟.

منهج الدراسة

سأسلك بإذن الله في دراستي المنهج الاستقرائي الذي «يعتمد على جمع المادة العلمية واستقراء النصوص وتصنيفها للوصول إلى قواعد وأحكام عامة»[(١)]. فاعتمدت في هذه الدراسة على منهج الاستقراء الذي تتبعت من خلاله مواقف الشيخ في دعوة المخالف، من خلال مؤلفاته ولقاءاته وحواراته ومؤلفات من كتب عن سيرته واستنتجت منها ما له صلة بموضوع الدراسة.

تقسيمات الدراسة:

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فتشتمل على: أهمية الموضوع، ومنهج الدراسة وأهدافها، وتساؤلاتها، وخطتها.

❊ ❊ ❊

(١) كيف تكتب بحثاً ناجحاً، د/ صباح عبد الله بافضل، ص ٣١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط الأولى/ ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

التمهيد:

ويشتمل على ما يلي:

- **أولاً**: التعريف بأهم مفردات عنوان الدراسة والتعريف الإجرائي لها.
- **ثانياً**: نبذة عن الشيخ ابن باز والعصر الذي عاش فيه.
- **ثالثاً**: أقسام المخالفين لدعوة الشيخ ابن باز.

المبحث الأول:

منهج الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وحكمته الدعوية.

ويشتمل على عدة مطالب:

- **المطلب الأول**: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في دعوة المخالف.
- **المطلب الثاني**: الاهتمام بالعقيدة والبدء بالأهم فالمهم ومراعاة الأولويات.
- **المطلب الثالث**: التجرد للحق والبعد عن الهوى.
- **المطلب الرابع**: التعامل مع المخالف وفق ضوابط الشرع.
- **المطلب الخامس**: مراعاة آداب الحوار مع المخالف.
- **المطلب السادس**: التأني في إطلاق الأحكام والتثبت والتحقق قبل الحكم والبيان على المخالف.

- **المطلب السابع**: عدم الإنكار على المخالف في مسائل الاجتهاد السائغ.
- **المطلب الثامن**: إنزال المخالف منزلته ومعرفة فضله إن كان من أهله.
- **المطلب التاسع**: السعي في كسب المخالف والبعد عن جعله عدواً للدعوة.
- **المطلب العاشر**: العدل والإنصاف في الحكم على المخالف.
- **المطلب الحادي عشر**: التوازن في التعامل مع المخالف.

المبحث الثاني:

حكمة الشيخ ابن باز في اختيار الوسائل والأساليب الدعوية المثلى في دعوة المخالف

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول**: اختيار الوسائل المناسبة والوقت المناسب في دعوة المخالف.
- **المطلب الثاني**: انتقاء الأساليب الدعوية المناسبة لحال المخالف.

المبحث الثالث:

آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول**: آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف.
- **المطلب الثاني**: أوجه الاستفادة من حكمة الشيخ في دعوة المخالف.

وأما الخاتمة فتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

فهذا جهدي أودعته هذا البحث، فإن كنت قد أصبت فالفضل لله وحده، وإن كانت الأخرى فمن نفسي، ويبقى النقص والتقصير من طبيعة البشر، وأستغفر الله من كل زلة قلم أو فكر. وأسأل الله أن يجعل عملي هذا صواباً ولوجهه خالصاً، وأن ينفعني به يوم يقوم الأشهاد. وأختم المقدمة بقول القائل رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفْنَى ... وَيُبْقِيْ الدَّهَرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ

فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِيْ الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

«إني رأيت ألّا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلّا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ما أودع من المعاني والنفائس رهن عند متأمله، له غُنمه وعلى مؤلفه غُرمه، وله ثمرته ومنفعته، ولصاحبه كلفه ومشقته، مع تعرضه لطعن الطاعنين ولاعتراض المناقشين، وهذه بضاعته المزجاة، وعقله المكدود، يعرض على عقول العالمين، وإلقائه نفسه وعرضه بين مخالب الحاسدين وأنياب البغاة المعتدين، فلك أيها القارئ صفوه ولمؤلفه كدره، وهو الذي تجشم غراسه وتعبه، ولك ثمره، وها هو

---

(١) هذه المقالة كتبها شيخ صناعة الكتابة في عصره: عبد الرحيم بن علي البيساني (ت: ٥٩٦هـ) كتبها إلى نائبه في وزارة الكتابة الأديب الشهير العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ)، ثم اشتهرت عن العماد. انظر: توضيح الأحكام للبسام (١/ ٥).

قد استهدف لسهام الراشقين، واستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ثم إلى عباده المؤمنين»[(١)]. هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وعلى كل من سار على دربه واستن بسنته إلى يوم الدين.

❊ ❊ ❊

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، (١/ ٤٧)، دار الكتب العلمية، بيروت.

التمهيد:

ويشتمل على ما يلي:

- أولاً: التعريف بأهم مفردات عنوان الدراسة والتعريف الإجرائي لها.
- ثانياً: نبذة عن الشيخ ابن باز والعصر الذي عاش فيه.
- ثالثاً: أقسام المخالفين لدعوة الشيخ ابن باز.

أولاً:

التعريف بأهم مفردات عنوان الدراسة والتعريف الإجرائي لها

● تعريف الحكمة

تأتي الحكمة في اللغة بعدة معان، منها: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والسنة، والإنجيل[(١)].

أما تعريف الحكمة في الاصطلاح، فتعرف بتعريفات، منها: «الإصابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه. وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة»[(٢)]. وقيل: «الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه»[(٣)]، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها: أن الحكمة

---

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ١٤٣)، ومختار الصحاح، ص٦٢، والقاموس المحيط، ص١٤١٥.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (١/ ٤٣٦)، (٣/ ٦٠ - ٦١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/ ١٨٤)، (١/ ٣٢٣)، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص ٢٦، د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص ٢٧.

عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك.

قال أبو بكر بن دريد: «كل كلمة وعظتك وزجرتك أودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم»[(١)].

تعريف الدعوة

في اللغة: تأتي بمعان متعددة، منها: الطلب، والحث، والسؤال، والدعاء[(٢)]. والنداء إلى الشيء والحث على قصده[(٣)]. والمراد: هو دلالة الناس على الخير والرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وفي الاصطلاح: إما أن تكون بمعنى الإسلام، فتعرف بأنها: «دين الله الَّذي بُعث به الأنبياء جميعاً، تجدّد على يد محمَّد خاتم النبيين كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة»[(٤)]، وعرفت بأنها: «الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط»، و «الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ، وحفظها في القرآن الكريم، وبينها في السنة النبوية»[(٥)]. «والنظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة، ومنهاج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد ﷺ من ربه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٢/ ٣٣).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٦/ ٤٥٥٤)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، القاموس المحيط، ص ١٤٩٩.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (٣٤٧)، دار القلم، دمشق.

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمَّد الراوي، ص ٣٩، ط دار الرشد، الرياض، ١٤١١هـ.

(٥) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد غلوش، ص ١٠ - ١٣، دار الكتاب اللبناني ببيروت، ط٢/ ١٩٨٧م.

يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة»[(١)]. فالدعوة هنا بمعنى الإسلام الذي أوحى الله به إلى نبيه محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾[(٢)]، ويشتمل على جانب العقيدة والشريعة والأخلاق[(٣)]. وهو مأخوذ من مصدرين أساسيين هما: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وإما أن تكون الدعوة بمعنى نشر وتبليغ رسالة الإسلام، فتعرف بأنها: «قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كلّ زمان ومكان بترغيب النّاس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة»[(٤)]. وعرفت بأنها: «حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»[(٥)] **والدعوة بالمعنى الثاني قصدي في هذا البحث.**

التعريف الإجرائي للدراسة

إصابة الشيخ ابن باز في تعامله في الأقوال والأفعال مع المخالف في أغلب مواقفه، وكيف وضع كل شيء في موضعه الصحيح، مع بيان منهجه ووسائله وأساليبه في دعوة المخالف وأثر دعوته، وكيفية الاستفادة منها.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص ١٠ - ١٣.
(٢) سورة الرعد، جزء الآية: ١٤.
(٣) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، والمدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، ص ١٨٢.
(٤) الدعوة إلى الإسلام، د. أبو بكر زكرى، صـ٨، مكتبة دار العروبة، القاهرة.
(٥) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص ١٧، دار الاعتصام.

ثانياً:

نبذة عن الإمام ابن باز والعصر الذي عاش فيه

اسمه ومولده ونشأته ووفاته

هو الشيخ: «عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز»[(١)].

ولد في مدينة الرياض، في الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة، في أسرة اشتهرت بالعلم والورع والتدين، والفقه والتدريس[(٢)]. وعاش الشيخ يتيماً بعد أن توفي والده بعد ولادته بثلاث سنوات، وحفظ القرآن الكريم وعمره أربعة عشر عاماً، واجتهد في طلب العلم الشرعي، وتفرغ له بعد أن فقد بصره وهو في سن العشرين، فكان سبباً من أسباب صرف نشاطه وهمته للعلم، ولازم الفقهاء والعلماء، وكان لهم أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية والأخلاقية والتربوية، فنشأ نشأة صالحة غمرتها العاطفة الدينية الجياشة، وتحلى بمكارم الأخلاق وابتعد عن مساوئ الأخلاق[(٣)].

---

(١) إمام العصر سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د. ناصر الزهراني، ص ١١، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلام بالرياض.

(٢) الإبريزية في التسعين البازية، د/ حمد الشتوي، ص ١٨، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، والإنجاز في ترجمة الإمام بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ٣٥، دار الهجرة، ط٢/ ١٤٢١هـ.

(٣) انظر: الإبريزية في التسعين البازية، د/ حمد الشتوي، ص ١٩ - ٢١، والإنجاز في ترجمة الإمام بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ٣٦، دار الهجرة، ط٢/ ١٤٢١هـ.

وقد تتلمذ الشيخ على عدد من كبار علماء عصره، منهم، الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، لازم حلقاته قرابة العشر سنوات، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وغيرهم كثير[١].

وجد الشيخ واجتهد وثابر ورابط حتى أصبح من العلماء الذين عرف عنهم سعة العلم، وقوة الفهم، والحرص على العمل بما علم، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء.

مراحل تعلم وتعليم الشيخ ابن باز رحمه الله

ظل الشيخ قرابة سبعة وعشرين عاماً طالباً ومتعلماً، وأربعة عشر عاماً قاضياً، وعشر سنوات معلماً في الرياض في المعهد العلمي ثم في كلية الشريعة، وأربعة عشر عاماً في الجامعة الإسلامية نائباً فرئيساً لها، وخمسة وعشرين عاماً رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ثم مفتياً عاماً ورئيساً لهيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية[٢]. هذه نبذة مختصرة عن مولد الشيخ ونشأته وأهم مناصبه ومن أراد الاستزاده فليرجع إلى الكتب التي أفاضت في هذا وهي كثيرة[٣].

---

(١) انظر: ابن باز في قلوب محبيه، مانع بن ناصر آل خرصان، ص ١٠، ١١، ١٤٢٠هـ.

(٢) انظر: الإبريزية في التسعين البازية، د/ حمد الشتوي، ص ٢٩.

(٣) كل الكتب التي تحدثت عن الشيخ بينت مراحل تعلم الشيخ وتعليمه باستفاضة تامة، فليراجع على سبيل المثال: إمام العصر سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د/ ناصر الزهراني، والإبريزية في التسعين البازية، د/ حمد الشتوي، وغيرها كثير.

العصر الذي عاش فيه

عاصر الشيخ خمسة من ملوك الدولة السعودية الثالثة، بدءًا من مؤسس المملكة العربية السعودية، ومروراً بأبنائه الملك سعود وفيصل وخالد وفهد رحمهم الله جميعاً، حيث ولد الشيخ ابن باز سنة ١٣٣٠هـ، وقد شهد الشيخ مرحلة التحول الكبرى في المجتمع حيث عاين التناحر والتصارع بين القبائل، فوحد الملك عبدالعزيز رحمه الله البلاد، وجمع شمل القبائل المتناحرة، وحكم فيهم الشريعة الإسلامية، فتوحد شتات المجتمعات، وحورب الجهل والبدع والخرافات، وتوفرت سبل الأمن والأمان للحجاج والمعتمرين، وكان للشيخ علاقة قوية بالملك عبدالعزيز وكذلك بأبنائه من بعده، رحم الله الجميع، وجاء أبناء الملك عبدالعزيز فكان للشيخ تعامله المميز معهم، فكانت العلاقة قائمة على الحب المتبادل، والنصح القائم على الضوابط الشرعية[(١)].

أما عن الحالة الدينية فقد: «نشأ سماحة الشيخ عبدالعزيز في بيئة عطرة بأنفاس العلم والهدى والصلاح، بعيدة كل البعد عن مظاهر الدنيا ومفاتنها، وحضارتها المزيفة، إذ الرياض كانت في ذلك الوقت بلدة علم وهدى فيها كبار العلماء، وأئمة الدين من أئمة الدعوة المباركة التي قامت على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأعنى بها دعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وفي بيئة غلب عليها الأمن والاستقرار وراحة البال، بعد أن استعاد الملك عبدالعزيز رحمه الله الرياض ووطد فيها الحكم العادل المبني

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية، (١٢/ ٢٦٠ - ٢٦١)، تمويل مؤسسة الأمير سلطان بن عبد العزيز بالرياض، ١٤١٨هـ. والأعلام للزركلي، (١/ ١٥٨ وما بعدها)، (٣/ ٩٠)، (٤/ ١٩ وما بعدها) دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

على الشريعة الإسلامية السمحة بعد أن كانت الرياض تعيش في فوضى لا نهاية لها، واضطراب بين حاكمها ومحكوميها»[(١)].

ومما لا شك فيه أن العصر الذي عاش فيه الشيخ كان له الانعكاس على حياته، واستطاع الشيخ الانسجام الإيجابي مع المراحل التي مر بها عصره.

❊ ❊ ❊

(١) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ٣٥ وما بعدها.

ثالثاً :

أقسام المخالفين لدعوة الشيخ ابن باز

قسم الشيخ ابن باز رحمه الله المخالفين للكتاب والسنة الذين تجب دعوتهم إلى قسمين: مسلمين وكفار، تبين ذلك من إجابة سؤال سُئل إياه فضيلة الشيخ، حيث قال له السائل، على من يعود الضمير في قوله تعالى: وجادلهم؟. فأجاب الشيخ رحمه الله: «يعود على المدعوين، والمعنى: ادع الناس إلى سبيل ربك، فالضمير في جادلهم يعني المدعوين **سواء كانوا مسلمين أو كفاراً**، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[(١)]، وأهل الكتاب: هم الكفرة من اليهود والنصارى، فلا يجوز جدالهم إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فالظالم يعامل بما يستحقه»[(٢)]. وقال أيضاً: «**فالواجب على جميع المكلفين من الرجال والنساء من الجن والإنس من الحكام والمحكومين من العرب والعجم** أن يعبدوا الله وحده وأن يستقيموا على معنى شهادة أن لا إله إلا الله فإن معناها: لا معبود حق إلا الله. . . . هذا هو الواجب على جميع المكلفين في سائر الأرض من جن وإنس من الرجال والنساء أن يعبدوا الله وحده وهذا هو أصل دين الإسلام»[(٣)].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ٥٥)، أشرف على جمعه وطبعه: د/ محمد بن سعد الشويعر.

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/ ٨).

وقد قسم الشيخ البشر إلى كفار ومسلمين، وبين وجوب قيام الدعاة بدعوتهم جميعاً، فقال في شأن الكفار: «وهكذا النصح لجميع المكلفين من غير المسلمين في جميع الأرض بأن يدخلوا في الإسلام وأن يعرفوا هذه العبادة ويتفقهوا فيها من طريق القرآن العظيم ومن طريق السنة الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام **هذا هو الواجب على جميع المكلفين من الإنس والجن من الكفرة. . . . من اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم.** الواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يعبدوا الله وأن يدخلوا في الإسلام وأن يلتزموا بالدين الذي بعث الله به نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام لأن الله بعثه إلى الناس جميعاً جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، ذكورهم وإناثهم»[(١)]. وقال: «وذلك أن الله سبحانه أخذ الميثاق على الأنبياء كلهم من أولهم إلى آخرهم بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وعموم رسالته، وأنه لو بعث واحد منهم حي وجب عليه اتباعه وطاعته ومناصرته وهذا الحكم يتناول أتباعهم أيضاً، فإن من زعم أنه يتبع موسى وعيسى يجب عليه أن يؤمن بمحمد ﷺ بعدما بعثه الله ويتبعه لأن رسالته ختمت الرسالات وشريعته نسخت الشرائع، ولم يبق دين مقبول عند الله سوى الدين الذي بعثه الله به كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[(٢)]، **وهذا الحكم واجب على جميع المكلفين من الجن والإنس إلى يوم القيامة»**[(٣)].

وبين الشيخ للمخالفين من الكفرة أن: «الهداية والنجاة والسعادة إنما تحصل لمن آمن بمحمد ﷺ واتبع ما جاء به من الهدى، ومن حاد عن ذلك فهو في شقاق وضلال وبعد عن الهدى، بل هو الكافر حقاً وله النار يوم

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٧/ ٨٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٩/ ٢٠١).

القيامة. . . . يعلم كل من له أدنى علم وبصيرة **أن الواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يدخلوا في دين الله الذي هو الإسلام وأن يلتزموه**، وأنه لا يسوغ لأحد الخروج عن ذلك لا إلى يهودية ولا إلى نصرانية ولا إلى غيرهما، بل المفروض على جميع المكلفين من حين بعث الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ إلى قيام الساعة هو الدخول في الإسلام والتمسك به، ومن اعتقد أنه يسوغ له الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كليم الرحمن عليه الصلاة والسلام فهو كافر بإجماع أهل العلم، يستتاب وتبين له الأدلة فإن تاب وإلا قتل»[(١)].

وقال في شأن المخالفين من المسلمين: «فليس هناك أظلم ممن أعرض عن آيات الله وعما خلق له من طاعته وعبادته. **فالنصيحة لجميع المسلمين التفقه في هذه العبادة والتبصر بها ومعرفتها** من طريق الكتاب والسنة أي من طريق القرآن العظيم ومن طريق أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة ثم القيام بها: علماً وعملاً. . . .»[(٢)].

وقال: «**فالواجب على جميع المكلفين من المسلمين**. . . . التوبة إلى الله سبحانه، والاستقامة على دينه، والحذر من كل ما نهى عنه من الشرك والمعاصي، حتى تحصل لهم العافية والنجاة في الدنيا والآخرة من جميع الشرور، وحتى يدفع الله عنهم كل بلاء، ويمنحهم كل خير»[(٣)].

وقد بين الشيخ المنهج القويم في دعوة المخالفين من عوام المسلمين فقسمهم إلى أقسام، وبين كيفية التعامل مع كل صنف من هذه الأصناف، فقال رحمه الله: «**المدعوون أصناف كثيرة وطبقات مختلفة**:

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٢/ ١٨٧ - ١٨٩).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٨٥).

(٣) المرجع السابق (٩/ ١٥٠).

١ - **فمنهم الراغب في الخير** ولكنه غافل قليل البصيرة فيحتاج إلى دعوته بحكمة: وهي تفهيمه الحق وإرشاده إليه وتنبيهه على ما فيه من المصلحة العاجلة والآجلة، فعند ذلك يقبل الدعوة وينتبه من غفلته وجهله ويبادر إلى الحق.

٢ - **ومنهم المعرض عن الحق المشتغل بغيره** فمثل هذا يحتاج إلى الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والتنبيه على ما في التمسك بالحق من المصالح العاجلة والآجلة وعلى ما في خلافه من الشقاء والفساد وسيء العواقب، ولعله بهذا يجيب إلى الحق ويترك ما هو عليه من الباطل. ولا ريب أن هذا المقام مقام عظيم يحتاج الداعي فيه إلى مزيد من الصبر والحلم والرفق بالمدعو تأسياً بإمام الدعاة وسيدهم وهو محمد بن عبد الله ﷺ.

٣ - **الطبقة الثالثة من الناس من له شبهة** قد حالت بينه وبين فهم الحق والانقياد له فهذا يحتاج إلى مناقشة وجدال بالتي هي أحسن حتى يفهم الحق وتنزاح عنه الشبهة. ومثل هذا يجب على الداعي أن يرفق به أكثر من الذين قبله وأن يصبر على مناقشته واقتلاع جذور الشبهة من قلبه، وذلك بإيضاح الأدلة الدالة على الحق وتنويعها وشرحها شرحاً وافياً جلياً على حسب لغة المدعو وعرفه، إذ ليس كل أحد يفهم اللغة العربية فهماً جيداً، وإن كان من أهل العلم فإنه قد يدخل عليه من لغته وعادته وعادة قومه ما يلبس عليه المعنى الذي أراده الشارع فيحصل بذلك خطأ كبير وقول على الله ورسوله بغير علم. ولا يخفى على من له أدنى بصيرة ما يترتب على ذلك من الفساد الكبير في الدنيا والآخرة. ومن هنا يعلم الداعي إلى الله تعالى أنه في حاجة شديدة إلى الفقه في الدين، والبصيرة بأحكام الشريعة، والمعرفة بلغة المدعوين وعرفهم، وذلك يوجب عليه التوسع في فهم الكتاب والسنة والعناية بمعرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ، والعناية أيضاً بدراسة اللغة العربية

وسيرة النبي ﷺ من حين بعثه الله إلى أن قبضه إليه دراسة وافية حتى يتمكن بذلك من إرشاد الأمة إلى ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أخلاق وأعمال، وعلى حسب اجتهاده وعمله وصبره يكون حظه من الثناء»[(١)].

وقال في شأن جميع المكلفين ممن هو على ظهر هذه الأرض: «**فالواجب على جميع المكلفين من الرجال والنساء والذكور والإناث والشباب والشيب والجن والإنس والعرب والعجم** أن يعبدوا الله وحده ويخصوه بأنواع العبادة، وأن يطيعوه سبحانه وتعالى، ويتبعوا شريعته وذلك بإخلاص العبادة له وحده واتباع رسوله ﷺ في ذلك»[(٢)] «**فالواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس الحذر من ذلك والتحذير منه وبيان بطلانه**، وأنه يخالف ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له»[(٣)].

ونصح الشيخ العلماء وطلاب العلم ووجههم إلى أن يسلكوا الطريق القويم في دعوة المخالفين، وأن يراعوا نوعية المخالف، وحاله وإمكانياته، واستطاعته، وفقه الواقع، فقال رحمه الله: «والعوامل والمجتمعات تختلف، فالمجتمع المحارب للدين، والذي ليس فيه قائد يعينك على الإصلاح والتوجيه تعمل فيه كما عمل رسول الله ﷺ في مكة، تدعو إلى الله بالحسنى وبالأسلوب الحسن، وبالكلمات اللينة، حتى يدخل ما تقول في القلوب، وحتى يؤثر فيها فيحصل بذلك انجذاب القلوب إلى طاعة الله وتوحيده، وتتعاون مع إخوانك ومن سار على نهجك في دعوة الناس وإرشادهم بالطرق اللينة في المجتمعات التي يمكن حضورها حتى يثبت هذا الإيمان

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٢/ ٣٤١ - ٣٤٢).
(٢) المرجع السابق (٥/ ١٢٠).
(٣) المرجع السابق (٧/ ٤٦).

في القلوب، وحتى ينتشر بين الناس بأدلته الواضحة. وفي المجتمع الإسلامي، ووجود القائد الإسلامي الذي يعينك يكون لك نشاط أكثر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاتصال بالمسئولين عند وجود المعاندين، والذين يخشى من عنادهم الخطر على المجتمع، وتكون مع ذلك سالكاً المسلك القويم بالرفق والحكمة والصبر، . . . . فلا بد من صبر وتواص بالحق، ودعوة إليه، حتى تنجح في مهمتك، وكذلك المسئولون والكبار الذين يخشى من شرهم على الدعوة، ينصحون بالأسلوب الحسن، ويوجهون، ويدعون بالكتابة والمشافهة من أعيان الأمة ورجالها وقادتها وأمرائها، . . . . فالواجب على المصلحين والدعاة أن يسلكوا هذا السبيل، وأن يعالجوا مشكلات المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يخاطبوا كل إنسان بما يليق به، حتى ينجحوا في مهمتهم، ويصلوا إلى غايتهم. . . وكل من سلك مسلك الرسل من الدعاة والمصلحين، نجح في دعوته، وفاز بالعاقبة الحميدة والنصر على الأعداء. . . .»[(١)].

ويمكن القول من خلال هذا العرض السابق ومن خلال استقراء مؤلفات الشيخ وفتاويه بأن المخالفين الذين وجه الشيخ دعوته لهم ينقسمون بحسب المعتقد إلى: مسلمين، وينقسمون إلى: الراغب في الخيرات، والمعرض عن الحق، وأصحاب الشبه، وأهل كتاب: وهم اليهود والنصارى، وكفار ومشركين وثنيين.

وينقسمون بحسب المكانة إلى: الملأ: وهم الحكام والولاة والوجهاء، وعامة الناس من الكبار والشباب والصغار، والرجال والنساء.

وقد سلك الشيخ في دعوة من يخالف الكتاب والسنة المنهج الذي أمر

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١/ ٢٥١ - ٢٥٣).

به ربنا سبحانه وتعالى، وحث عليه نبينا ﷺ، فسلك في دعوتهم المنهج النبوي، فأنزل أهل الملأ منازلهم، وقدم لهم النصيحة مستصحباً الأسلوب والوسيلة والمنهج الذي يرجى من خلاله التأثير فيهم. وهذا سيتضح من خلال المنهج الذي سأبينه في الصفحات المقبلة إن شاء الله.

* * *

المبحث الأول

منهج الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وحكمته الدعوية

ويشتمل على عدة مطالب:

- المطلب الأول: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في دعوة المخالف.
- المطلب الثاني: الاهتمام بالعقيدة والبدء بالأهم فالمهم ومراعاة الأولويات.
- المطلب الثالث: التجرد للحق والبعد عن الهوى.
- المطلب الرابع: التعامل مع المخالف وفق ضوابط الشرع.
- المطلب الخامس: مراعاة آداب الحوار مع المخالف.
- المطلب السادس: التأني في إطلاق الأحكام والتثبت والتحقق قبل الحكم والبيان على المخالف.
- المطلب السابع: عدم الإنكار على المخالف في مسائل الاجتهاد السائغ.
- المطلب الثامن: إنزال المخالف منزلته ومعرفة فضله إن كان من أهله.

- المطلب التاسع: السعي في كسب المخالف والبعد عن جعله عدو للدعوة.
- المطلب العاشر: العدل والإنصاف في الحكم على المخالف.
- المطلب الحادي عشر: التوازن في التعامل مع المخالف.

المبحث الأول

منهج الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وحكمته الدعوية

للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ منهج واضح المعالم في دعوة المخالف، سلك فيه المنهج النبوي مراعياً نوعية المخالف، والوقت المناسب، مع وضعه في الحسبان فقه الواقع، وتقديم أسلوب الرفق واللين في أغلب الأوقات على الشدة والخصومة وإن استعملها فيما تستدعية الحاجة ويتطلبه المقام، ويمكن بيان هذا المنهج وإظهار الحكمة من ذلك من خلال المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في دعوة المخالف.**
- **المطلب الثاني: الاهتمام بالعقيدة والبدء بالأهم فالمهم ومراعاة الأولويات.**
- **المطلب الثالث: التجرد للحق والبعد عن الهوى.**
- **المطلب الرابع: التعامل مع المخالف وفق ضوابط الشرع.**
- **المطلب الخامس: مراعاة آداب الحوار مع المخالف.**
- **المطلب السادس: التأني في إطلاق الأحكام والتثبت والتحقق قبل الحكم والبيان على المخالف.**

- المطلب السابع: عدم الإنكار على المخالف في مسائل الاجتهاد السائغ.
- المطلب الثامن: إنزال المخالف منزلته ومعرفة فضله إن كان من أهله.
- المطلب التاسع: السعي في كسب المخالف والبعد عن جعله عدو للدعوة.
- المطلب العاشر: العدل والإنصاف في الحكم على المخالف.
- المطلب الحادي عشر: التوازن في التعامل مع المخالف.

المطلب الأول:

الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في دعوة المخالف

من أبرز سمات منهج الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في دعوة المخالف اعتماده على الكتاب والسنة، وقد ظهر هذا بوضوح في رسائله وأقواله، فكان هذا دأبه ومنهجه في دعوة المخالف، يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً أهمية الاعتماد على الكتاب والسنة في دعوة المخالف: «**إنما السبيل إلى إصلاح الناس وإقامتهم على الطريق السوي**، هو السبيل الذي درج عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، ودرج عليه صحابته الكرام ثم أتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا، وهو **العناية بالقرآن العظيم، والعناية بسنة رسول الله** ﷺ، ودعوة الناس إليهما والتفقه فيهما، ونشرهما بين الناس عن علم وبصيرة وإيضاح ما دل عليه هذان الأصلان من الأحكام»[(١)]. ويقول: «فالرد إلى الله القرآن، والرد إلى الرسول الحديث، فلا علم ولا فتوى إلا عن طريق القرآن والحديث هذا هو العلم»[(٢)].

وبين الشيخ أن منهجه في دعوة المخالف الاستدلال بالكتاب والسنة، وكذلك يلاحظ هذا من خلال كثرة استشهاده بهما، وقدرته الفائقة على الاستحضار لهما وتمكنه من ذلك. يقول الشيخ عن نفسه: «ولا آلو جهداً في تطبيق ما يصدر مني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا آلو جهداً في

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١/ ٢٤٤).

(٢) سيرة وحياة الشيخ عبد العزيز بن باز، إبراهيم بن عبد الله الحازمي، (٣/ ١٠٥٧)، دار الشريف، ١٤٢٢هـ.

استنباط ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل ما يصدر مني من قليل أو كثير، هذا هو جهدي. . . . وأهل العلم هم علماء الكتاب والسنة، وهم الذين يرجعون في فتاويهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. . . . وليس من أهل العلم من يقلد الرجال ولا يبالي بالكتاب والسنة»[(١)]. وقال: «**أما السنة فلا نزاع ولا خلاف على أنها أصل مستقل، وأنها هي الأصل الثاني من أصول الإسلام**، وأن الواجب على جميع المسلمين، **بل على جميع الأمة: الأخذ بها، والاعتماد عليها، والاحتجاج بها إذا صح السند عن رسول الله** عليه الصلاة والسلام»[(٢)]. فمنهج الشيخ في دعوة المخالف «قائم على التزام النص في كل ما يتصل به»[(٣)].

ومما يدلل على اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة في دعوة المخالف ما يلي:

١ - عند التأمل في ردود الشيخ على مخالفيه نجد حرص الشيخ على بيان الدليل من كتاب ربنا وسنة نبينا والاستفاضة في ذلك.

فكان الشيخ لا يخرج عن ذلك إلا لبيان معنى، أو ذكر تفسير، أو توضيح غامض على أفهام بعض الناس، أو تأييد من أقوال أهل السنة والجماعة، والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

٢ - إنكاره على من خالف الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، والإنكار على من وقع في ذلك المنكر بضوابطه.

فكان اعتماد الشيخ في تقرير هذه المسألة وبيانه على الكتاب والسنة، فيقول رحمه الله: «أما ما خالف النص من الكتاب والسنة فالواجب الإنكار على

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/ ٣٢ - ٣٣).
(٢) المرجع السابق (٨/ ١٣٣).
(٣) علماء ومفكرون عرفتهم، ص ٩٨، محمد المجذوب، عالم المعرفة، ١٤٠٣هـ.

من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[(٢)]، وقوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[(٣)]، وقول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(٤)] وقوله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[(٥)]. . . . والآيات والأحاديث في هذا كثيرة[(٦)].

وفي رد الشيخ على بعض المخالفين له تحت عنوان: ما هكذا الدعوة إلى إصلاح الأوضاع يا حمد[(٧)]، اعتمد الشيخ على بيان الحق معتمدا على نصوص الوحيين، وقد جاء في الرد ما يلي: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فقد اطلعت على ما نشر في جريدة السياسة بعددها ٦٦٨ في ١٩/ ٨/ ١٤٠٤هـ لكاتبه حمد السعيدان، وقد نسب إلي هداه الله كلاماً عن حلق اللحية تجرأ فيه بشيء لم أقله، ومما ذكر أني قلت: أي فتوى تصدر باسمي يجب أن تكون ممهورة بخاتمي ومصدقة من وزارة الأوقاف الإسلامية. وهذا الكلام ظاهر البطلان لأني لم أشترط يوماً

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم الحديث (٤٩).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، بَابُ فَضْلِ إِعَانَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَرْكُوبٍ وَغَيْرِهِ، وَخِلَافَتِهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، رقم الحديث (١٨٩٣).

(٦) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ٥٩).

(٧) نشرت في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٥ ص ١٢ - ١٥.

ما تصديق وزارة الأوقاف الإسلامية على ما يصدر مني من الفتاوى. ثم استرسل في الكلام عن حلق اللحية وغيرها وزعم أن قول النبي ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللِّحَى»[(١)] يقتضي بهذا العصر أن نحلق اللحى؛ لأن المجوس واليهود والسيخ وغيرهم يطلقون اللحى، وقال: (وعليه يجب مخالفة هذه الفئات نحلق لحانا). وقد قام رجال الأزهر بتطبيق هذا الحديث وهو مخالفة المشركين وغيرهم وحلقوا لحاهم، إلى آخر ما قال.

ولا شك أن هذا جرأة من الكاتب وسوء أدب منه مع سنة رسول الله ﷺ، فبيانه ﷺ واضح وأمره واجب الامتثال والتنفيذ ويخشى على مخالفه من العاقبة السيئة، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٢)] وأمره ﷺ بإعفاء اللحية واضح، وتنفيذه واجب إلى قيام الساعة سواء وفر الكفار لحاهم أم حلقوها، وموافقتهم لنا في شيء من شرعنا كإعفاء اللحية لا يقتضي أن نخالف شرعنا، كما أن دخولهم في الإسلام أمر واجب عليهم ومحبوب لنا ونحن مأمورون بدعوتهم إلى ذلك ولا يقتضي ذلك خروجنا من الإسلام إذا دخلوا فيه حتى نخالفهم، بل علينا أن ندعوهم إلى دين الله وألا نتشبه بهم فيما خالفوا فيه شرع الله، وهذا أمر معلوم عند جميع أهل العلم. وهذه الجرأة من الكاتب في حمل الحديث الشريف على وجوب حلقها؛ لأن بعض المشركين تركوا حلقها جرأة شنيعة في نشر الباطل والدعوة إليه، ثم هي مخالفة للواقع فليس كل الكفار قد وفروا لحاهم بل فيهم من يعفيها وفيهم من يحلقها. ولو فرضنا أنهم كلهم أعفوها لم يجز لنا أن نخالف أمر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر، رقم الحديث (٥٨٩٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم الحديث (٢٥٩) واللفظ له.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

الرسول ﷺ فنحلقها لمخالفتهم، وهذا لا يقوله من له أدنى علم وبصيرة بشرع الله ﷻ، ويلزم عليه لوازم باطلة ومنكرات كثيرة. وأما ما ذكره عن شيوخ الأزهر من كونهم حلقوا لحاهم لما رأوا بعض الكفار قد أعفاها فهذا لو سلمنا صحته لا حجة فيه، فإن مخالفة بعض المسلمين لما شرعه الله لا يحتج بها على ترك الشرع المطهر، بل الواجب الإنكار على من خالف الشرع والتحذير من الاقتداء به، لا أن يحتج بعمله على مخالفة الشرع. وكثير من العلماء قد خالفوا الشرع المطهر في مسائل كثيرة إما لجهل بالدليل، وإما لأسباب أخرى، ولا يجوز أن يكونوا حجة في جواز مخالفة ما علم من الشرع لكونهم لم يأخذوا به، بل غاية ما هناك أن يعتذر عنهم بأن الشرع لم يبلغهم أو بلغهم من وجه لم يثبت لديهم أو لأعذار أخرى، كما بسط ذلك الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الجليل: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) وقد أجاد فيه وأفاد وأوضح أعذار أهل العلم فيما خالفوا من الشرع فليراجع، فإنه مفيد جدا لطالب الحق.

وإني أنصح الكاتب (حمد) بأن يتقي الله ويحذر لمز الملتحين وسوء الظن بهم، كما أنصحه بأن يحسن الظن بجميع إخوانه المسلمين الذين يحرصون على تطبيق الشريعة ويتتبعون سنة الرسول ﷺ ويتأسون به في أقواله وأعماله، وأن يحملهم على أحسن المحامل عملا بقول الله ﷻ في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]، ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾، أي: لا يلمز بعضكم بعضا، واللمز: العيب، ثم قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾[2]

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

الآية، فأمر سبحانه باجتناب كثير من الظن وأخبر أن بعضه إثم وهو الظن الذي لا دليل عليه ولا أمارة شرعية ترشد إليه. ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ»(١) وهذا كله لا يمنع من نصيحة من أخطأ من أهل العلم أو الدعاة إلى الله في شيء، من عمله أو دعوته أو سيرته، بل يجب أن يوجه إلى الخير ويرشد إلى الحق بأسلوب حسن، لا باللمز وسوء الظن والأسلوب العنيف، فإن ذلك ينفر من الحق أكثر مما يدعو إليه، ولهذا قال ﷻ لرسوليه موسى وهارون لما بعثهما إلى أكفر الخلق في زمانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٢) وأخبر الله عن نبيه ﷺ بما جبله عليه من الرفق والحكمة واللين واللطف في الدعوة فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾(٣) الآية، وأمره سبحانه أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾(٤)، وهذا الأمر ليس خاصاً به ﷺ بل هو موجه إليه وإلى جميع علماء الأمة وإلى كل داع يدعو إلى حق؛ لأن أوامر الله سبحانه لنبيه ﷺ لا تخصه بل تعم الأمة جميعاً، إلا ما قام الدليل على أنه خاص به، ولقول الله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٥) الآية، ولقوله ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، بَابُ لَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَدَعَ، رقم الحديث (٥١٤٤)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، رقم الحديث (٢٥٦٣).

(٢) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(٢)] . . . . . »[(٣)].

فعاب الشيخ على ذلك الكاتب ما فعله ودلل على خطئه، واستند في الرد على الكتاب والسنة، بل يتضح أن أكثر كلام الشيخ من كتاب الله وسنة رسوله. ولم ينس الشيخ في هذا المقام توجيه من لا يرفقون في دعوتهم ولا يصبرون على أذيتهم ويستعملون أسلوب الشدة في الدعوة، فبين أن الأصل في الدعوة إلى الله البدء بالرفق في دعوة المخالف خاصة في هذا العصر الذي انتشر فيه الشرك، وبعد كثير من الناس عن الشرع والدين.

٣ - أوصى الشيخ طلابه في وصيته لهم في طريقة مقاومة أهل البدع والضلالات بهذا المنهج.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا سبيل إلى السلامة من ذلك، إلا بأن يقوم العلماء العارفون بدين الله سبحانه وتعالى، والمتبصرون بسنة رسول الله ﷺ بتوجيه المسلمين إلى التمسك بحقيقة دينهم، ونبذ كل بدعة وكل خرافة من طرق التصوف المختلفة والمتنوعة والمخالفة لشرع الله ومن سائر أنواع البدع التي روجها كثير من الناس، والواجب على علماء المسلمين أيضاً أن يحثوا المسلمين ويؤكدوا عليهم **أنه لا سبيل إلى نجاتهم، وإلى اجتماع شملهم إلا بالتمسك بكتاب الله العظيم وسنة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام**، وترك ما خالف ذلك من سائر الأهواء والبدع. المنهج واحد: وقد أكمل الله

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٢/ ٣٤٧ - ٣٥١).

الدين، وأتم النعمة، فلا حاجة إلى التمسك بما خالف ذلك والتعصب لذلك والاختلاف من أجل ذلك. بل **يجب أن يكون المنهج واحداً وهو التمسك بالقرآن العظيم والسنة المطهرة**، . . . . وكل منهج يخالف شرع الله يجب تركه ويجب أن يسير الناس جميعاً على المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ في حياته ثم سار عليه صحابته والخلفاء الراشدون من بعده ثم تابعهم الأئمة المهتدون والسلف الصالحون، تابعوهم على المنهج القويم، والصراط المستقيم. هذا هو المنهج الذي يجب الأخذ به والتمسك به والسير عليه، والدعوة إليه وكل ما يخالف ذلك مما أحدثه الناس يجب أن يترك وأن يرفض مع البيان والإيضاح حتى لا يهلك هالك إلا عن بينة»[(١)].

٤ - أنكر الشيخ على بعض طلابه العدول عما صح من حديث النبي ﷺ بقول قائل آخر أياً كانت مكانته ومنزلته.

فقد صنف أحد طلبة العلم كتاباً حول موضع إعفاء اللحية، وقد ذكر فيه مذهب أبي هريرة وابن عمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم في جواز أخذ ما زاد عن القبضة، فعلق الشيخ وقال: «وإن كان هذا الرأي لأبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما إلا أن المقدم هو قول الله وقول رسول الله، وفعل رسول الله، فلا قول لأبي هريرة ولا لابن عمر مع قول رسول الله»[(٢)]، وفي إحدى دروس الشيخ قرر جواز نكاح الكتابيات بشرطه، فرد أحد الطلاب، وقال يا شيخ بعض الصحابة كان ينهى عن ذلك، فالتفت الشيخ إليه مغضباً وقال: هل قول الصحابي يضاد الكتاب والسنة، ليس لأحد قول بعد كلام الله وكلام رسوله»[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ١٣١ - ١٣٣).
(٢) منهج الإمام عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله تعالى، ص ١٠٦.
(٣) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة ص ٢٢٠.

ويذكر الشيخ عبدالله العتيبي أن الشيخ كان يغضب غضباً يظهر عليه إذا رد الكتاب والسنة لقول أحد، فيقول: «الموقف الذي غضب فيه الشيخ حتى ظهر ذلك عليه، هو أنه عندما عارضه سائل في مسألة بعد أن ذكر الشيخ فيها الأدلة من الكتاب والسنة، فقال السائل: يقول فلان كذا. فغضب الشيخ، وقال: ليس لأحد قول بعد كلام الله وكلام رسوله»[(١)]. ويقول أيضاً: «أحفظ من مواضع غضبه إذا رد كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ بأقاويل الناس وأقيستهم»[(٢)].

وأنكر الشيخ على من يدعو إلى جماعة بعينها ويتعصب لها، أو لشيخ أو حزب بعينه، أو لمذهب، وبين أن **الواجب على الجميع أن تكون طريقتهم واحدة وهي الاعتماد على الكتاب والسنة**، فقال رحمه الله: «**العلم: قال الله قال رسوله، هذا هو العلم الشرعي، هو العلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وما يعين على ذلك. فالواجب على أهل العلم، أن يتمسكوا بهذا الأساس العظيم، وأن يدعوا الناس إليه، وأن يوجهوا طلابهم إليه، وأن يكون الهدف دائماً العلم بما قال الله، وقال رسوله، والعمل بذلك، وتوجيه الناس وإرشادهم إلى ذلك**. ولا يجوز التفرق والاختلاف ولا الدعوة إلى حزب فلان وحزب فلان، ورأي فلان، وقول علان. **وإنما الواجب أن تكون الدعوة واحدة إلى الله ورسوله، إلى كتاب الله وسنة رسوله** - عليه الصلاة والسلام -، لا إلى مذهب فلان، أو دعوة علان، ولا إلى الحزب الفلاني، والرأي الفلاني. يجب على المسلمين أن تكون طريقتهم واحدة، وهدفهم واحداً، وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام -. وأما ما جرى من الاختلاف بين أهل العلم في المذاهب

(١) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة ص ٣٢١.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٠.

الأربعة وغيرها، فالواجب أن يؤخذ منه ما هو أقرب إلى الصواب، وهو القول الذي هو أقرب إلى ما قاله الله ورسوله نصاً أو بمقتضى قواعد الشريعة. فإن الأئمة المجتهدون إنما هدفهم ذلك، وقبلهم الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم -، وهم الأئمة بعد الرسول ﷺ، فهم أعلم الناس بالله وأفضلهم وأكملهم علماً وخلقاً. فقد كانوا يختلفون في بعض المسائل، ولكن دعوتهم واحدة، وطريقهم واحد، يدعون إلى كتاب الله وسنة الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وهكذا من بعدهم من التابعين، وأتباع التابعين: كالإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الهدى: كالأوزاعي والثوري وابن عيينة وإسحاق بن راهويه، وأشباههم من أهل العلم والإيمان، دعوتهم واحدة، وهي **الدعوة إلى كتاب الله، وسنة الرسول ﷺ، وكانوا ينهون أتباعهم عن تقليدهم، ويقولون: خذوا من حيث أخذنا، يعنون من الكتاب والسنة**»[(١)].

لقد اعتمد الشيخ ابن باز في دعوة المخالف على الاعتماد على الكتاب والسنة، فكان لا يصدر قولاً إلا قال الله قال رسوله، وجعلهما المقدمين على كل قول، بل بين أن العلم إنما هو قال الله قال رسوله، فقال رحمه الله: «العلم قال الله، قال رسوله، هذا هو العلم الشرعي، هو العلم بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وما يعين على ذلك»[(٢)]. وعندما سأل الشيخ عن سبب الاعتناء بالحديث قراءة واستدلالاً فقال رحمه الله: «وهل العلم إلا الحديث؟، يا فلان التقليد ليس بعلم، التقليد ليس بعلم»[(٣)].

وبين الشيخ أن صلاح المجتمعات ودعوة المخالفين وإقامتهم على

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٢/ ٣٠٩ - ٣١٠).

(٢) شرف العلم وآداب أهله من بديع محاضرات الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، ص ٢٥.

(٣) منهج الإمام عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله تعالى، ص ١٠٦.

الطريق السوي لن يكون إلا بالاعتماد على الكتاب والسنة، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم أن العوامل التي بها صلاح المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي، هي العوامل التي قام بها إمام المرسلين، وخاتم النبيين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وقام بها صحابته الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي المرتضى أبو الحسن، ثم من معهم من الصحابة رضي الله عن الجميع، وجعلنا من أتباعهم بإحسان. ومن المعلوم أن هذه العوامل قام بها نبينا محمد ﷺ في مكة أولاً، ثم في المدينة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي صلح به أولها كما قال أهل العلم والإيمان، ومن جملتهم الإمام المشهور مالك بن أنس إمام أهل الهجرة في زمانه، والفقيه المعروف، أحد الأئمة الأربعة قال هذه المقالة، وتلقاها أهل العلم في زمانه وبعده، ووافقوا عليها جميعاً: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها). **والمعنى: أن الذي صلح به أولها وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ هو الذي يصلح به آخرها إلى يوم القيامة. ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي، أو صلاح المجتمعات الأخرى في هذه الدنيا بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون فقد غلط، وقال غير الحق، فليس إلى غير هذا من سبيل، إنما السبيل إلى إصلاح الناس وإقامتهم على الطريق السوي، هو السبيل الذي درج عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، ودرج عليه صحابته الكرام ثم اتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا، وهو العناية بالقرآن العظيم، والعناية بسنة رسول الله ﷺ**، ودعوة الناس إليهما والتفقه فيهما، ونشرهما بين الناس عن علم وبصيرة وإيضاح ما دل عليه هذان الأصلان من الأحكام في العقيدة الأساسية الصحيحة»[(١)].

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١/ ٢٤٤).

فمما تميز به الشيخ ابن باز اعتماده في دعوة المخالف على نصوص الوحيين، ويعد هذا المنهج «أصل في منهجه الدعوي والعلمي، وطريقة في الإصلاح والتغيير والبناء، وهو أهم المقومات عنده في بناء الشخصية المسلمة، وتكوين الأمة الراشدة. . . . وضلال الأمم وانحراف الناس بسبب جهلها بالحق، أو تلقي العلم من غير أهله، وأخذه من غير مظانه، مراجعهم عقولهم القاصرة، بعدوا عن الوحي الإلهي، والعلم الشرعي، فضلوا وأضلوا، ولم يتخذوا منهاج السلف الصالح طريقاً، ولا سبيل القرون المفضلة سبيلاً»(١).

وعناية الشيخ في الرد على المخالف بالدليل من نصوص الوحيين، تربية على الارتباط بالنصوص الشرعية الكتاب والسنة، وشحذ للذهن في إدراك وجوه الدلالة وأنواع الاستدلال، وتعليم للمدعو، وتربية لطلاب العلم(٢). وفيه تعظيمه للنصوص الشرعية «ولله در سماحته فكم أحيا سنناً، وأمات بدعاً، ونشر علماً، وأزال جهلاً»(٣).

ولو أردنا الاستقصاء لاحتاج ذلك إلى مجلدات لكن بالمثال يتضح المقال، ومن خلال ما سبق يتضح اعتماد الشيخ في دعوة المخالف على نصوص الوحيين وهذا ما ظهر من خلال الأمثلة السابقة، وسيتضح معنا أكثر من خلال المطالب التالية.

ويظهر حكمة الشيخ الدعوية في حرصه واعتماده في دعوة المخالف

---

(١) علامة الأمة ابن باز دراسة في المنهج والعمل، سليمان بن عبد الله الطريم، ص ١١٤ وما بعدها، دار الصميعي، ط١/ ١٤٢١هـ.

(٢) انظر: الإبريزية في التسعين البازية، ص ١٥، د حمد بن إبراهيم الشتوي، دار العاصمة، ط١/ ١٤٢٠هـ.

(٣) الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز، عبد الرحمن الرحمة ص ١٦٨.

على الكتاب والسنة، وما فهمه سلف الأمة، إذ بهذا الأسلوب تظهر الحجة وتتضح، ويقطع الخلاف ويدحضه، ويفحم الخصم ويلزمه بالدليل، فلا يكون حجة لأحد بعد ذلك[(١)]. لذلك حرص الشيخ في دعوة المخالف على الاعتماد على نصوص الوحيين.

(١) كذلك الالتزام بنصوص الوحيين يهدي للتي هي أقوم، ومن الأمور المسلمة عند أهل السنة والجماعة أن نصوص الوحيين لا يجوز معارضتهما برأي أو عقل أو ذوق أو قياس، لذلك يقول شيخ الإسلام عن أهل السنة والجماعة: «وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ اعْتِصَامُهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَكَانَ مِنْ الْأُصُولِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ لَا بِرَأْيِهِ وَلَا ذَوْقِهِ وَلَا مَعْقُولِهِ وَلَا قِيَاسِهِ وَلَا وَجْدِهِ، فَإِنَّهُمْ ثَبَتَ عَنْهُمْ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَأَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَهُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَهُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَهُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُزِيغَهُ إلَى هَوَاهُ، وَلَا يُحَرِّفَ بِهِ لِسَانَهُ، وَلَا يَخْلَقَ عَنْ كَثْرَةِ التَّرْدَادِ، فَإِذَا رُدِّدَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لَمْ يَخْلَقْ وَلَمْ يُمَلَّ كَغَيْرِهِ مِنْ الْكَلَامِ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إلَيْهِ هُدِيَ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. فَكَانَ الْقُرْآنُ هُوَ الْإِمَامَ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ؛ وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ أَنَّهُ عَارَضَ الْقُرْآنَ بِعَقْلٍ وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ وَلَا بِذَوْقٍ وَوَجْدٍ وَمُكَاشَفَةٍ وَلَا قَالَ قَطُّ قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقُولَ: فَيَجِبُ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ. وَالنَّقْلُ - يَعْنِي الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ وَأَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ -» مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (١٣/ ٢٨ - ٢٩)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

المطلب الثاني:

الاهتمام بالعقيدة والبدء بالأهم فالمهم ومراعاة الأولويات

مراعاة الأولويات في دعوة المخالف والبدء بالأهم فالمهم منهج مهم على الداعية إلى الله مراعاته في دعوته للمخالف، هذا المنهج طبقه الشيخ ابن باز في دعوة المخالف لأهميته، فحرص رحمه الله على الرد على المبتدعة وكشف الستار عنهم، وفضح سرائرهم، «وأوقف حياته رحمه الله على إزالة الخرفات من عقائد المسلمين، وهذه مهمة عظيمة في عصرنا الذي كثرت فيه الخرافات والانحرافات عن عقيدة السلف»[(١)]. «إنه تميز بقوة تمثيله لمنهج السلف الصالح في الدعوة والعلم، ورعاية المصالح ودرء المفاسد»[(٢)].

لقد كان الشيخ يدرك أهمية العناية بالتوحيد ومسائل الاعتقاد في دعوة المخالف وتقديمها على ما سواهما، حيث يقول رحمه الله: «فكتاب الله فيه الهدى والنور، وفيه العظة والذكرى. **فوصيتي لنفسي وللجميع ومن يسمع كلمتي أو تبلغه: العناية بهذا الكتاب العظيم**، فهو أشرف كتاب، وأعظم كتاب، هو خاتم الكتب المنزلة من السماء ومن تدبره وتعقله بقصد طلب الهداية، ومعرفة الحق، وفقه الله وهداه. **وأهم ما اشتمل عليه هذا الكتاب العظيم: بيان حق الله على عباده، وبيان ضد ذلك. هذا أعظم موضوع اشتمل عليه القرآن، وهو بيان حقه سبحانه على عباده من توحيده،**

---

(١) سيرة وحياة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، (١/ ٤٤٥) إبراهيم الحزمي، دار الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) المرجع السابق، (١/ ٤٦٥).

وإخلاص العبادة له، وإفراده بالعبادة، وبيان ضد ذلك من الشرك الأكبر، والذنب الذي لا يغفر، وأنواع الكفر والضلال. ولو لم يكن في تدبر هذا الكتاب العظيم إلا العلم بهذا الواجب العظيم، وتدبر ما ذكره الله في ذلك، لكان ذلك خيراً عظيماً، وفضلاً كبيراً»[(١)].

ووصى الشيخ طلابه بالبدء بالدعوة إلى التوحيد وعدم التساهل في هذا الشأن العظيم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرسول ﷺ أول عمل عمله، وأول أساس رسمه، أنه دعا الناس إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له. هذا أول عمل، وهذا أول أساس تكلم به ودعا إليه وسار عليه، هو دعوة الناس إلى توحيد الله، وإرشادهم إلى تفاصيل ذلك. والكلمة التي دلت على هذا المعنى هي قول: لا إله إلا الله هذه هي الأساس المتين، ومعها شهادة أن محمداً رسول الله. هذان الأصلان والأساسان المهمان: هما أساس الإسلام، وهما أساس صلاح هذه الأمة، من أخذ بهما واستقام عليهما عملاً وعلماً ودعوة وصبراً، استقام له أمره وأصلح الله به الأمة، على قدر جهاده وقدرته وأسبابه، ومن أضاعهما أو أضاع أحدهما ضاع وهلك. . . . وبسبب تساهل الكثير من العلماء وطلبة العلم، وأعيان أهل الإسلام الذين فقهوا توحيد الله، بسبب التساهل في هذا الأصل الأصيل، انتشر الشرك في بلدان كثيرة، وعبدت القبور وأهلها من دون الله، وصرف لها الكثير من عبادة الله»[(٢)].

لقد حرص الشيخ كل الحرص على البدء بالأهم فالمهم في دعوة المخالف، ولما كانت مسائل العقائد من أهم المسائل وأخطرها فقد أولاها الشيخ عناية فائقة، وظل الشيخ طيلة حياته يحذر منها، وينابذ أهل البدع والأهواء بكل ما أوتي من قوة، بل لم «ينس الشيخ أن يذكر إخوانه العلماء

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ٢٩ - ٣٠).
(٢) المرجع السابق، (١/ ٢٤٥ - ٢٤٦).

من أخطار البدع والخرافات التي لا تقل أثراً عن أخطر التيارات الهدامة لأنها تحجب حقيقة الإسلام وتشوه معالمه حتى تنفر منه النفوس التي تجهله، فهي لذلك تستدعي من علماء الإسلام الاهتمام البالغ برصدها والقضاء عليها لإنقاذ الإسلام والمسلمين من شرها»[(١)].

ولما كثر وقوع كثير من الناس في أخطاء كثيرة في العقيدة وبلغ الشيخ ذلك، اهتم بهذا الأمر، وأولاه أهمية عظمى، على الرغم من وقوعهم في كثير من المعاصي غيرها، فوجه رسالة لجميع المسلمين جاء فيها: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين وفقهم الله لما فيه رضاه وزادهم من العلم والإيمان، آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

بلغني أن كثيراً من الناس يقع في أخطاء كثيرة في العقيدة، وفي أشياء يظنونها سنة وهي بدعة، ومن ذلك إنكار علو الله واستوائه على عرشه، ومعلوم أن الله سبحانه بين ذلك في كتابه الكريم حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(٢)] الآية، ذكر ذلك سبحانه في سبع آيات من كتابه العظيم منها هذه الآية، ولما سئل مالك عن ذلك رحمه الله قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، وهكذا قال غيره من أئمة السلف. ومعنى الاستواء معلوم، يعني: من جهة اللغة العربية: وهو العلو والارتفاع، وقال سبحانه: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾[(٣)]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[(٤)]، وقال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[(٥)]، في آيات كثيرة

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، (١/ ١٠٤).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٣) سورة غافر، الآية: ١٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١٠.

كلها تدل على: علوه وفوقيته، وأنه سبحانه فوق العرش فوق جميع الخلق، وهذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم. فالواجب اعتقاد ذلك، والتواصي به، وتحذير الناس من خلافه.

ومن ذلك: اتخاذ المساجد على القبور والصلاة عندها وجعل القباب عليها، وهذا كله من وسائل الشرك، وقد لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى على ذلك، وحذر منه فقال ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[(١)] متفق على صحته، وقال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[(٢)] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جندب، وخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»[(٣)]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك، والتواصي بتركه؛ لتحذير النبي ﷺ من ذلك، ولأن ذلك من وسائل الشرك بأصحاب القبور ودعائهم والاستغاثة بهم وطلبهم النصر. إلى غير ذلك من أنواع الشرك. ومعلوم أن الشرك هو أعظم الذنوب وأكبرها وأخطرها، فالواجب: الحذر منه، ومن وسائله وذرائعه، وقد حذر الله عباده من ذلك في آيات كثيرات، منها قوله

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة، بَابُ الصَّلَاةِ فِي البِيعَةِ، رقم الحديث (٤٣٥)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، رقم الحديث (٥٢٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، رقم الحديث (٥٣٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ، رقم الحديث (٩٧٠).

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[١]، ومنها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[٢]، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن أنواع الشرك الأكبر: دعاء الأموات والغائبين والجن والأصنام والأشجار والنجوم، والاستغاثة بهم، وسؤالهم شفاء المرضى والنصر على الأعداء. وهذا هو دين المشركين الأولين من كفار قريش وغيرهم، كما قال الله سبحانه عنهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[٤] الآية، وقال سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[٥]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾[٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل على أن المشركين الأولين يعلمون أن الله هو الخالق الرازق النافع الضار، وإنما عبدوا آلهتهم ليشفعوا لهم عند الله، ويقربوهم لديه زلفى، فكفرهم سبحانه بذلك، وحكم بكفرهم وشركهم، وأمر نبيه بقتالهم حتى تكون العبادة لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾[٧] الآية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.
(٤) سورة يونس، الآية: ١٨.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٢.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٧) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

وقد كتب العلماء في ذلك كتباً كثيرة، وأوضحوا فيها حقيقة الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وبينوا فيها دين الجاهلية وعقائدهم وأعمالهم المخالفة لشرع الله، كعبد الله بن الإمام أحمد، والإمام الكبير: محمد بن خزيمة في (كتاب التوحيد)، ومحمد بن وضاح، وغيرهم من الأئمة. ومن أحسن ما كتب في ذلك ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتبه الكثيرة، ومن أخصرها كتابه (القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة)، ومن ذلك ما كتبه الشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في كتابه (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد).

ومن الأعمال المنكرة الشركية: الحلف بغير الله؛ كالحلف بالنبي ﷺ، أو بغيره من الناس، والحلف بالأمانة، وكل ذلك من المنكرات ومن المحرمات الشركية؛ لقول النبي ﷺ: . . . . . والأحاديث في ذلك كثيرة.

والحلف بغير الله من الشرك الأصغر عند أهل العلم، فالواجب: الحذر منه، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهكذا قول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، وهذا من الله ومن فلان، والواجب: أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، أو لولا الله ثم فلان، أو هذا من الله ثم من فلان؛ . . . . .

ومن المحرمات الشركية التي قد وقع فيها كثير من الناس: تعليق التمائم والحروز من العظام أو الودع أو غير ذلك، وتسمى: التمائم، . . . إلا الرقى فإن الرسول ﷺ استثنى منها ما ليس فيه شرك، . . . وقد رقى ﷺ بعض أصحابه، فالرقى لا بأس بها، فهي من الأسباب الشرعية إذا كانت من القرآن الكريم أو مما صحت به السنة أو من الكلمات الواضحة التي ليس بها شرك ولا لفظ منكر.

ومن المنكرات المبتدعة: الاحتفال بالموالد سواء كان ذلك بمولد النبي ﷺ أو غيره؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا

بقية الصحابة رضي الله عنهم، ولا أتباعهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضلة، وإنما حدث في القرن الرابع وما بعده؛ بسبب الفاطميين وغيرهم من الشيعة، ثم فعله بعض أهل السنة؛ جهلاً بالأحكام الشرعية، وتقليداً لمن فعله من أهل البدع، فالواجب: الحذر من ذلك؛ لكونه من البدع المنكرة الداخلة. . . . والأحاديث في هذا الباب كثيرة. ولأن الاحتفال بالموالد من وسائل الغلو والشرك، فالواجب الحذر منها، والتحذير منها، والتواصي بالاستقامة على السنة وترك ما خالفها. والله المسئول أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين لما فيه رضاه، وأن يمنحنا جميعاً الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن ونزغات الشيطان، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

وكذلك أولى الشيخ اهتماماً بالغاً في مواجهة ما يقدح في عقيدة المسلم ووقف سداً منيعاً في مواجهة النوازل العقدية التى تلم بالمسلمين في شتى بقاع الأرض من وقت لآخر، ولا شك أن المعتقدين والداعين لهذه الأفكار مخالفين للشيخ فما كان منه إلا أن أولى هذه القضايا وقدمها على غيرها من القضايا، لأنها تمس العقيدة، فحذر من اعتقاد هذه الأفكار وبين سبل مواجهة هذه الأفكار، مع فضحه لمخططات الأعداء في هذا الباب، ومن أمثلة ذلك:

لما انتشر الشرك والبدع في مسجد رسول الله ﷺ خاصة أماكن الزيارة أرسل رسالة للشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية وقتها يشرح له خطورة الأمر، ويطلب من سماحته رفع الأمر لولاة الأمر لمواجهة هذه البدع والشركيات، وكان مما جاء فيها: «وقد عظم الأمر واشتدت المصيبة في السنوات الأخيرة بظهور كثير من الشرك والبدع والمنكرات الخطيرة في

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (٨/ ٢٨ - ٣٣).

مسجد الرسول ﷺ أو في أنحاء المدينة، ولا سيما مواضع الزيارة كالبقيع والشهداء وقباء، وكذا المزارات المحدثة. وليس في المسجد النبوي من يراقب هذه الشرور سوى شخصين مشغولين بأعمال أخرى، ولو كانا مفرغين لم يستطيعا القيام بعمل المراقبة لكل هذه الشرور؛ فرأيت أن من الواجب عَلَيَّ أن أشرح الواقع لسماحتكم؛ لما أعلمه من غيرتكم، ونصحكم لله ولعباده، ولما يجب علي من التعاون مع سماحتكم في هذا الأمر العظيم، ولما يجب على الحكومة وفقها الله من العناية بهذا الأمر، والقيام بجميع الوسائل التي تقضي على الشرور، وتعيد الحق إلى نصابه، وتوقف أهل الباطل عند حدهم. . . . والأمر والله عظيم وخطير، ولقد تألم منه كثيراً؛ الغيورون من سكان المدينة، وزوارها من الداخل والخارج، ووصل إلي في هذا الصدد رسائل كثيرة من الداخل والخارج مضمونها استنكار ما شاهدوا في المدينة من البدع والمنكرات، والمطالبة بمناصحة ولاة الأمر في هذا الأمر الخطير، فأرجو أن يقوم سماحتكم كعادتكم الكريمة بعرض هذا الأمر على جلالة الملك وفقه الله، واستصدار أمر جلالته إلى سماحتكم في تعيين نخبة من العلماء مفرغة للمراقبة، والعناية بإنكار هذه الأمور، والتعاون مع المحكمة والإمارة والهيئة في هذا السبيل»[(١)].

ولما انتشرت بعض الأفكار الهدامة بين أوساط بعض المسلمين في بعض البلدان الإسلامية، انتفض الشيخ وحذر، وبين الواجب على العلماء والدول الإسلامية، ووضح خطر هذه المذاهب، وواجب المسلمين تجاهها، وبين أضرارها الدينية والدنيوية على الفرد والمجتمع، ومن ذلك تحذيره من الشيوعية، والبهائية والقاديانية، والإلحاد، والعلمانية، والقومية العربية، يقول الشيخ عن «جنوب شرق آسيا ولا شك أن هذه المنطقة من

(١) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز، ص ٤٦١ - ٤٦٣.

الدنيا في أشد الحاجة إلى النشاط الإسلامي وتكاتف الدعاة إلى الله ﷻ وإنشاء الجمعيات الإسلامية والمراكز الإسلامية والجامعات الإسلامية والمدارس والمعاهد الإسلامية وتوفر النشاطات الإسلامية من منشآت ومستشفيات وغير ذلك مما يعين المسلمين هناك على معرفة دينهم ويساعدهم على كفاح أعدائهم. وإن هذه المنطقة مبتلاة بأفكار هدامة وجهود مكثفة من أعداء الله من تنصير ومن دعوة إلى النحلة الشيوعية والبوذية وإلى نحل أخرى هدامة خبيثة يدعو إليها جمع غفير من أعداء الله سبحانه. وإن الواجب على علماء الإسلام في هذه الدول دول جنوب شرق آسيا أشد من الواجب على غيرهم؛ لأنهم يباشرون هذه الحركات الهدامة ويرونها ويسمعونها. فالواجب عليهم الجهاد الصادق بالدعوة والتصدي لهذه الأفكار الهدامة والمذاهب الشيطانية والنحل المنحرفة وبيان بطلانها، وعليهم أن يتكاتفوا ضدها وأن يتعاونوا مخلصين لنشر الإسلام والدعوة إليه وبيان أحكامه ومحاسنه والرد على خصومه، وبيان باطلهم وضلالهم وما ينتهي إليه أمرهم. وإن على جميع الدول الإسلامية في جميع أقطار الدنيا أن يساعدوا المسلمين في هذه المنطقة التي ابتليت بهذه المذاهب الهدامة من تنصير وشيوعية، وبوذية وإباحية، وغير ذلك. وعلى علماء الإسلام في كل مكان أن يبذلوا الوسع في مساعدة إخوانهم من العلماء والدعاة في هذه المنطقة حتى يكافحوا جميعاً هذا الخطر الداهم وحتى يتعاونوا جميعاً في محاربته بكل وسيلة من الوسائل الشرعية. ولا ريب أن تثبيت الإسلام في هذه المنطقة والدعوة إليه ومكافحة خصومه يحتاج إلى جهود عظيمة وعناية مستمرة ونرجو أن يكون له المستقبل فيها وفي غيرها وأن يكلل الله جهود الدعاة إليه والمصلحين والعلماء بكل نجاح وتوفيق. لكن يجب على العلماء والدعاة إلى الله أينما كانوا أن ينظروا في الأدواء أولاً ويجتهدوا في جمع المعلومات عنها في هذه المنطقة التي نحن بصددها وهي منطقة شرق آسيا، على العلماء والدعاة إلى الله المحليين وغيرهم من الدعاة الوافدين إلى هذه

الدول أن يعنوا بمعرفة الأدواء ومعرفة أساليب الأعداء في التنصير وغيره حتى يضعوا الدواء على الداء وحتى يتوصلوا إلى العلاج الناجع بإذن الله. ولا شك أن هذا يحتاج إلى جهود مكثفة وصبر ومصابرة في جميع الدول ولا سيما دولة أندونيسيا فإنها أكبر دولة إسلامية في المنطقة والجهود التنصيرية مكثفة فيها، فالواجب على العلماء في أندونيسيا والواجب على الدعاة إلى الله من أبنائها وغيرهم من الوافدين إليها أن يتكاتفوا ويتعاونوا في وضع الحلول المناسبة ووصف العلاج المناسب لعلاج هذه الأدواء ومكافحة هذه الشرور وهذه الأفكار والمذاهب الخبيثة لعلهم يوفقون وينجحون. ومتى صدقوا في التعاون ومتى أخلصوا لله العمل ومتى تكاتفوا جادين مخلصين فإن الله ينصرهم ويعينهم ويكفيهم شر أعدائهم»[(١)].

ولما شهدت بعض البلاد الإسلامية دعوات مشبوهة لوضع العروبة مكان الإسلام ولإحلال الرابطة القومية محل الأخوة الإسلامية بين الشيخ لمخالفيه العلاقة الصحيحة والسليمة بين العروبة والإسلام، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه نداءات باطلة، القومية والعروبة، أو الاشتراكية أو الشيوعية أو أي دعوة سوى الإسلام كلها دعاوى باطلة ونعرات جاهلية يجب أن يقضى عليها، ولا يجوز أن تبقى أبداً، يجب على أعيان البلد ورؤسائها وعلمائها أن يحاربوا هذه الدعوات، والعروبة خادمة لشرع الله وليست أساساً يطلب التجمع حوله، ولقد نزل القرآن بلغة العرب؛ لينفذوا حكم الله وليخدموا شريعته بما أعطاهم الله من اللغة والقوة، أما هم فليسوا بشيء بدون الإسلام وبدون الحكم بالإسلام كانوا متمزقين في غاية من الجهالة والتناحر والاختلاف، فجمعهم الله بالإسلام والهدى وباتباع الرسول ﷺ، لا بعروبتهم، فإذا ضيعوا هذا ضاعوا وهلكوا»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٥/ ١٩٤ - ١٩٦).
(٢) المرجع السابق، (٣/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

ولما انتشر خطر الغزو الفكري بين كثير من أبناء المسلمين، بين الشيخ خطره، وبعض أساليبه ووسائله، وعرف حقيقته، يقول الشيخ: «الغزو الفكري هو مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية، وسلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منها أن تكرهه. وهو داء عضال يفتك بالأمم، ويذهب شخصيتها، ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها، ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً. وهذا الغزو يقع بواسطة المناهج الدراسية والثقافية العامة ووسائل الإعلام والمؤلفات الصغيرة والكبيرة وغير ذلك من الشئون التي تتصل بالأمم، ويرجو العدو من ورائها صرفها عن عقيدتها والتعلق بما يلقيه إليها، نسأل الله السلامة والعافية. . . . نعم، يتعرض المسلمون عامة ومنهم العرب وغيرهم، والمملكة وغيرها لغزو فكري عظيم تداعت به عليهم أمم الكفر من الشرق والغرب ومن أشد ذلك وأخطره: الغزو النصراني الصليبي، والغزو الصهيوني، والغزو الشيوعي الإلحادي. أما الغزو النصراني الصليبي فهو اليوم قائم على أشده ومنذ أن انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين الغازين لبلاد المسلمين بالقوة والسلاح؛ أدرك النصارى أن حربهم هذه وإن حققت انتصارات فهي وقتية لا تدوم؛ ولذا فكروا في البديل الأنكى وتوصلوا بعد دراسات واجتماعات إلى ما هو أخطر من الحروب العسكرية وهو أن تقوم الأمم النصرانية فرادى وجماعات بالغزو الفكري لناشئة المسلمين؛ لأن الاستيلاء على الفكر والقلب أمكن

من الاستيلاء على الأرض. فالمسلم الذي لم يلوث فكره لا يطيق أن يرى الكافر له الأمر والنهي في بلده، ولهذا يعمل بكل قوته على إخراجه وإبعاده ولو دفع في سبيل ذلك حياته وأغلى ثمن لديه، وهذا ما حصل بعد الانتصارات الكبيرة للجيوش الصليبية الغازية.

أما المسلم الذي تعرض لذلك الغزو الخبيث فصار مريض الفكر عديم الإحساس فإنه لا يرى خطراً في وجود النصارى أو غيرهم في أرضه، بل قد يرى أن ذلك من علامات الخير ومما يعين على الرقي والحضارة، وقد استغنى النصارى بالغزو الفكري عن الغزو المادي لأنه أقوى وأثبت، وأي حاجة لهم في بعث الجيوش وإنفاق الأموال مع وجود من يقوم بما يريدون من أبناء الإسلام عن قصد أو عن غير قصد وبثمن أو بلا ثمن، ولذلك لا يلجأون إلى محاربة المسلمين علانية بالسلاح والقوة إلا في الحالات النادرة الضرورية التي تستدعي العجل كما حصل في غزوه أوغندة أو الباكستان، أو عندما تدعو الحاجة إليها لتثبيت المنطلقات وإقامة الركائز وإيجاد المؤسسات التي تقوم بالحرب الفكرية الضروس كما حصل في مصر وسوريا والعراق وغيرها قبل الجلاء. أما الغزو الصهيوني فهو كذلك لأن اليهود لا يألون جهدا في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم، ولليهود مطامع في بلاد المسلمين وغيرها، ولهم مخططات أدركوا بعضها، ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى، وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلاح واستولوا على بعض أرضهم فإنهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم، ولذلك ينشرون فيهم مبادئ ومذاهب ونحلا باطلة. كالماسونية والقاديانية والبهائية والتيجانية وغيرها، ويستعينون بالنصارى وغيرهم في تحقيق مآربهم وأغراضهم. أما الغزو الشيوعي الإلحادي فهو اليوم يسري في بلاد الإسلام سريان النار في الهشيم نتيجة للفراغ وضعف الإيمان في الأكثرية، وغلبة الجهل وقلة التربية الصحيحة والسليمة. فقد استطاعت

الأحزاب الشيوعية في روسيا والصين وغيرهما أن تتلقف كل حاقد وموتور من ضعفاء الإيمان أو معدومي الإيمان وتجعلهم ركائز في بلادهم ينشرون الإلحاد والفكر الشيوعي الخبيث وتعدهم وتمنيهم بأعلى المناصب والمراتب، فإذا ما وقعوا تحت سيطرتها أحكمت أمرها فيهم وأدبت بعضهم ببعض وسفكت دماء من عارض أو توقف حتى أوجدت قطعاناً من بني الإنسان حرباً على أممهم وأهليهم وعذاباً على إخوانهم وبني قومهم، فمزقوا بهم أمة الإسلام وجعلوهم جنوداً للشيطان يعاونهم في ذلك النصارى واليهود بالتهيئة والتوطئة أحياناً، وبالمدد والعون أحياناً أخرى، ذلك أنهم وإن اختلفوا فيما بينهم فإنهم جميعاً يد واحدة على المسلمين يرون أن الإسلام هو عدوهم اللدود ولذا نراهم متعاونين متكاتفين بعضهم أولياء بعض ضد المسلمين فالله سبحانه المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[(١)].

ثم بين الشيخ الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره فبين أنها كثيرة، وذكر سبل التصدي لها، فذكر من وسائل الغرب لترويج أفكاره ما يلي:

١ - محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين وترسيخ المفاهيم الغربية فيها لتعتقد أن الطريقة الفضلى هي طريقة الغرب في كل شيء، سواء فيما يعتقده من الأديان والنحل أو ما يتكلم به من اللغات أو ما يتحلى به من الأخلاق، أو ما هو عليه من عادات وطرائق.

٢ - رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين في كل بلد وعنايته بهم وتربيتهم حتى إذا ما تشربوا الأفكار الغربية وعادوا إلى بلادهم أحاطهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات في بلدانهم، وبذلك يروجون الأفكار الغربية وينشئون المؤسسات التعليمية المسايرة للمنهج الغربي أو الخاضعة له.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ٣٣٨ - ٤٤١).

٣ - تنشيطه لتعليم اللغات الغربية في البلدان الإسلامية وجعلها تزاحم لغة المسلمين وخاصة اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي أنزل الله بها كتابه، والتي يتعبد بها المسلمون ربهم في الصلاة والحج والأذكار وغيرها، ومن ذلك تشجيع الدعوات الهدامة التي تحارب اللغة العربية، وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام في الدعوة إلى العامية، وقيام الدراسات الكثيرة التي يراد بها تطوير النحو وإفساده وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبي والتراث القومي.

٤ - إنشاء الجامعات الغربية والمدارس التبشيرية في بلاد المسلمين ودور الحضانة ورياض الأطفال والمستشفيات والمستوصفات وجعلها أوكاراً لأغراضه السيئة وتشجيع الدراسة فيها عند الطبقة العالية من أبناء المجتمع ومساعدتهم بعد ذلك على تسلم المراكز القيادية والوظائف الكبيرة حتى يكونوا عوناً لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين.

٥ - محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها، إما: بطريق مباشر كما حصل في بعض بلاد الإسلام حينما تولى [دنلوب] القسيس تلك المهمة فيها، أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس دنلوب وتخرجوا فيها فأصبح معظمهم معول هدم في بلاده وسلاحاً فتاكاً من أسلحة العدو، يعمل جاهداً على توجيه التعليم توجيهاً علمانياً لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله وإنما يسير نحو الإلحاد ويدعو إلى الفساد.

٦ - قيام طوائف كبيرة من النصارى واليهود بدراسة الإسلام واللغة العربية وتأليف الكتب وتولي كراسي التدريس في الجامعات؛ حتى أحدث هؤلاء فتنة فكرية كبيرة بين المثقفين من أبناء الإسلام بالشبه التي يلقونها لطلبتهم أو التي تمتلئ بها كتبهم وتروج في بلاد المسلمين، حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها بعض الكاتبين والباحثين في الأمور

الفكرية أو التاريخية، ولقد تخرج على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء المسلمين رجال قاموا بنصيب كبير في إحداث الفتنة الكبرى، وساعدهم في ذلك ما يحاطون به من الثناء والإعجاب، وما يتولونه من مناصب هامة في التعليم والتوجيه والقيادة، فأكملوا ما بدأه أساتذتهم وحققوا ما عجزوا عنه لكونهم من أبناء المسلمين ومن جلدتهم ينتسبون إليهم ويتكلمون بلسانهم، فالله المستعان.

٧ - انطلاق الأعداد الكثيرة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين وقيامهم بعملهم ذلك على أسس مدروسة وبوسائل كبيرة عظيمة يجند لها مئات الآلاف من الرجال والنساء وتعد لها أضخم الميزانيات، وتسهل لها السبل، وتذلل لها العقبات: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وإذا كان هذا الجهد منصباً على الطبقة العامية غالباً فإن جهود الاستشراق موجهة إلى المثقفين كما ذكرت آنفاً وأنهم يتحملون مشاق جساماً في ذلك العمل في بلاد إفريقيا وفي القرى النائية من أطراف البلدان الإسلامية في شرق آسيا وغيرها، ثم هم بعد كل حين يجتمعون في مؤتمرات يراجعون حسابهم وينظرون في خططهم، فيصححون ويعدلون ويبتكرون، فلقد اجتمعوا في القاهرة سنة ١٩٠٦م، وفي أدنمبرج سنة ١٩١٠م، وفي لكنو سنة ١٩١١م وفي القدس ١٩٣٥ م، وفي القدس كذلك في عام ١٩٣٥م ولا زالوا يوالون الاجتماعات والمؤتمرات، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله.

٨ - الدعوة إلى إفساد المجتمع المسلم وتزهيد المرأة في وظيفتها في الحياة وجعلها تتجاوز الحدود التي حد الله لها وجعل سعادتها في الوقوف

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

عندها وذلك حينما يلقون بين المسلمين الدعوات بأساليب شتى وطرق متعددة إلى أن تختلط النساء بالرجال، وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال، يقصدون من ذلك إفساد المجتمع المسلم والقضاء على الطهر والعفاف الذي يوجد فيه، وإقامة قضايا وهمية ودعاوى باطلة في أن المرأة في المجتمع المسلم قد ظلمت، وأن لها الحق في كذا وكذا ويريدون إخراجها من بيتها وإيصالها إلى حيث يريدون، في حين أن حدود الله واضحة وأوامره صريحة وسنة رسول الله ﷺ جلية بينة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[(١)]، ويقول سبحانه: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾[(٢)] الآية. ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾[(٣)]، ويقول: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾[(٤)]. ويقول ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ»»[(٥)]. . . .

٩ - إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين، وصرف الأموال الكثيرة عليها وتزيينها وجعلها بارزة واضحة في أحسن الأماكن، وفي أكبر الميادين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، بَابُ لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا ذُو مَحْرَمٍ، وَالدُّخُولُ عَلَى المُغِيبَةِ، رقم الحديث (٥٢٣٢)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، رقم الحديث (٢١٧٢).

١٠ - تخصيص إذاعات موجهة تدعو إلى النصرانية والشيوعية، وتشيد بأهدافهما، وتضلل بأفكارها أبناء المسلمين السذج الذين لم يفهموا الإسلام، ولم تكن لهم تربية كافية علمية، وخاصة في أفريقيا حيث يصاحب هذا الإكثار من طبع الأناجيل وتوزيعها، في الفنادق وغيرها، وإرسال النشرات التبشيرية والدعوات الباطلة إلى الكثير من أبناء المسلمين.

هذه بعض الوسائل التي يسلكها أعداء الإسلام اليوم من الشرق والغرب، في سبيل غزو أفكار المسلمين. وتنحية الأفكار السليمة الصالحة، لتحل محلها أفكار أخرى غربية، شرقية أو غربية، وهي كما ترى. . . . جهود جبارة، وأموال طائلة، وجنود كثيرة، كل ذلك لإخراج المسلمين من الإسلام، وإن لم يدخلوا في النصرانية أو اليهودية أو الماركسية، إذ يعتقد القوم أن المهمة الرئيسية في ذلك هي إخراجهم من الإسلام، وإذا تم التوصل إلى هذه المرحلة فما بعدها سهل وميسور. ولكننا مع هذا نقول: إن الله سيخيب آمالهم ويبطل كيدهم، إذا صدق المسلمون في محاربتهم والحذر من مكائدهم، واستقاموا على دينهم لقوله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[(١)]؛ لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[(٢)] وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾[(٣)] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[(٤)] ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[(٥)]، وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٢) سورة الأنفال: الآية: ٣٠.
(٣) سورة الطارق، الآية: ١٥.
(٤) سورة الطارق، الآية: ١٦.
(٥) سورة الطارق، الآية: ١٧.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢]، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة. ولا شك أن الأمر يحتاج من المسلمين إلى وقفة عقل وتأمل، ودراسة في الطريق التي يجب أن يسلكوها، والموقف المناسب الذي يجب أن يقفو هو أن يكون لهم من الوعي والإدراك ما يجعلهم قادرين على فهم مخططات أعدائهم، وعاملين على إحباطها وإبطالها. ولن يتم لهم ذلك إلا بالاستعصام بالله والاستمساك بهديه والرجوع إليه والإنابة له والاستعانة به، وتذكر هديه في كل شيء وخاصة في علاقة المؤمنين بالكافرين، وتفهم معنى سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[٤]، وما ذكره سبحانه في قوله: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾[٦]، أسأل الله سبحانه أن يهيئ لهذه الأمة من أمرها رشدا وأن يعيذها من مكائد أعدائها ويرزقها الاستقامة في القول والعمل حتى تكون كما أراد الله لها من العزة والقوة والكرامة، إنه خير مسؤول وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» أ.هـ[٧].

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤١.
(٤) سورة الكافرون، الآية: ١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٧) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ٤٤١ - ٤٤٦).

ثم فضح الشيخ طائفة الصوفية المتسولة[١]، وكذلك القومية العربية[٢]، والعلمانية، والداعين إلى وحدة الأديان، والمتسرعين في تكفير المسلمين، وبين الحكم بغير ما أنزل الله، وغيرها من القضايا العقدية التى أولاها الشيخ اهتمامه.

ولما أهمل تطبيق الشريعة في كثير من البلاد الإسلامية حذر الشيخ من ذلك، وبين الواجب على هذه البلدان الإسلامية من التحاكم لشرع الله ونبذ القوانين الوضعية، وظلت دعوات الشيخ المتتابعة لتطبيق الشريعة في واقع حياة المسلمين والعمل بأحكامها، ونبذ الأحكام الوضعية طيلة حياته، ووجه الشيخ رحمه الله رسالة لتلك البلاد التى تتحاكم للقوانين الوضعية جاء فيها: «إن الواجب أن تحكم الدول المنتسبة للإسلام شريعة الله، وأن تدع القوانين الوضعية التي وضعها الرجال، فإن الله جل وعلا أوجب على المسلمين أن يحكموا شرع الله، فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٣]، فالواجب على جميع المسلمين أن يحكموا شرع الله وأن يتركوا التحاكم إلى القوانين الوضعية التي وضعها الشرق أو الغرب، ففي شرع الله ما يكفي والحمد لله، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤]، نعم إذا وجد نظام أو قانون يوافق الشرع في أية مسألة من مسائل القانون فلا بأس. ويمكن أن تضع الدول قوانين يعرفها الناس ويستفيدون منها بشرط موافقتها للشرع. وهذا ليس من تحكيم القوانين بل هذا عمل بالشرع، ومثلما وضع العلماء أبواباً يوضحون

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ٤٤٧ - ٤٤٨).
(٢) انظر: المرجع السابق، (٤/ ١٧٣).
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

فيها الأحكام الشرعية، فإذا وضعت الدولة قانوناً يعرفه الناس في مجال التجارة، أو في مجال البيوع، أو فيما يتعلق بالأوقاف، أو النكاح، إذا وضعت شيئاً واضحاً في أبواب معينة يسير عليها الناس على هدي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذا لا يسمى قوانين، بل هي مثلما وضع الفقهاء في كتبهم أبواباً يوضحون فيها أحكام الله، فإذا وضعت الدولة شيئاً يوضح حكم الله في مسألة من المسائل وبينت الشروط فليس هذا ببدع من القول ولا يضر إذا لم يكن مخالفاً لشرع الله»[(١)]. «وقال رحمه الله «الواجب على مستوى الشعوب ورؤساء الدول الإسلامية، أن يتناصحوا وأن يتواصوا بالحق، وأن يحكموا بشرع الله لا بالقوانين التي يضعونها بأنفسهم»[(٢)].

وقد نصح الشيخ ابن باز رحمه الله الأمة شرقاً وغرباً **في ضرورة تطبيق الشريعة**، والعمل بأحكامها، ووجوب الالتزام بالدين اعتقاداً وقولاً وعملاً، وأن الدين شامل للحياة جميعها»[(٣)].

ووجه الشيخ رسالة إلى الشعب العراقي يحثهم فيها على **اختيار الحاكم الصالح الذي يحكم فيهم شرع الله، ويحارب البدع والإلحاد**، حيث جاء فيها: «أوصيكم أيها الشعب بتقوى الله والتوبة إليه مما سلف منكم من شر وخطأ وظلم وعدوان، وأن تجتهدوا في اختيار الحاكم الصالح الذي يحكم فيكم شرع الله ويقودكم إلى الجنة والكرامة، وأن تحذروا شر صدام وأمثاله، وأن تحرصوا على عدم بقائه في الحكم، وأن تجتهدوا في كل ما يقرب إلى الله ويبعد عن غضبه، **ومن أسباب ذلك اختيار الحاكم الصالح الذي يحكم شرع الله، ويدعو إلى دين الله، ويحارب البدع والأهواء،**

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/ ١٧٥ - ١٧٦).

(٢) المرجع السابق، (٦/ ١٥٥).

(٣) علامة الأمة ابن باز دراسة في المنهج والعمل، ص ٧٠، سليمان الطريم، دار الصميعي بالرياض، ١٤٢١هـ.

ويبتعد عن الإلحاد والدعوة إليه، وينبغي لكم أن تختاروا الحاكم من أهل السنة لا من البعثيين ولا من غيرهم ممن يخالف شرع الله حتى يقودكم إلى طاعة الله ويباعدكم عن أسباب غضبه وانتقامه»[(١)].

ووجه الشيخ لجماعة الإخوان نصيحة وهي الحرص على الدعوة إلى توحيد الله، وإنكار الشرك والبدع وعبادة القبور والتعلق بالأموات والاستغاثة، وبين سبب انتقاد خواص أهل العلم لها، فقال رحمه الله: «حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع، لهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط في الدعوة إلى الله، وعدم التوجيه إلى العقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة. **فينبغي للإخوان المسلمين أن تكون عندهم عناية بالدعوة السلفية، الدعوة إلى توحيد الله، وإنكار عبادة القبور والتعلق بالأموات والاستغاثة بأهل القبور** كالحسين أو الحسن أو البدوي، أو ما أشبه ذلك، **يجب أن يكون عندهم عناية بهذا الأصل الأصيل بمعنى لا إله إلا الله، التي هي أصل الدين، وأول ما دعا إليه النبي ﷺ في مكة دعا إلى توحيد الله، إلى معنى لا إله إلا الله**، فكثير من أهل العلم ينتقدون على الإخوان المسلمين هذا الأمر، أي: عدم النشاط في الدعوة إلى توحيد الله، والإخلاص له، وإنكار ما أحدثه الجهال من التعلق بالأموات والاستغاثة بهم، والنذر لهم والذبح لهم، الذي هو الشرك الأكبر، وكذلك ينتقدون عليهم عدم العناية بالسنة: تتبع السنة، والعناية بالحديث الشريف، وما كان عليه سلف الأمة في أحكامهم الشرعية، وهناك أشياء كثيرة أسمع الكثير من الإخوان ينتقدونهم فيها، ونسأل الله أن يوفقهم ويعينهم ويصلح أحوالهم»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ١٨٠ - ١٨١).
(٢) المرجع السابق، (٨/ ٤١).

ومما يدل أيضاً على اهتمام الشيخ في دعوة المخالف بتقديم الأهم فالمهم، كثرة المؤلفات التي ألفها لتصحيح عقيدة المخالف، وبيان ما يضاد العقيدة الصحيحة، وبيان بعض الأعمال التي تنقض هذه العقيدة، فإذا سمع ما يوهن عقيدة المسلم قام فنصح وأرشد، وبين وأوضح، ومن تلك المؤلفات: العقيدة الصحيحة وما يضادها، وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، وإقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين، وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة، وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها، حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله ﷺ، الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب، نقد القومية العربية، حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله، لا دين حق إلا دين الإسلام، الأجوبة المفيدة على بعض مسائل العقيدة، فتاوى مهمة تتعلق بالعقيدة.

وما يدل على اهتمام الشيخ بقضايا التوحيد وتقديمها على ما سواها أنه لم ينس لما زاره مفتى لبنان دعوته إلى الاهتمام بالعقيدة، فـ«سماحته لما زاره مفتي لبنان ومعه مفتي جبل لبنان أوصاهما بكل صدق وشفافية بالعناية بالدروس العلمية وكتب التوحيد من الأصول الثلاثة وغيرها، وأن هذا من أعظم المطالب السنية، وأفضل الأعمال المرضية، وأن ذلك واجب على العلماء الناصحين والمفتين الصادقين فيما يتعلق بتصحيح العقيدة وتقريرها»[(١)].

وقام الشيخ متصدياً ومدافعاً لكل من ينقض التوحيد وحتى لا أطيل سأذكر بعض الردود التى قام بها الشيخ في الرد على من نقض الإيمان، ومن ذلك:

---

(١) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، ص ٢٦٢.

رد الشيخ على صحيفة المجتمع[١] وصحيفة الشرق الأوسط[٢] وصحيفة الرياض[٣] في نشرهم قصائد تتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى، وأرسل الشيخ إلى وزير الإعلام رسالة يعلق على صحيفة المدينة[٤] لنشرها مقالاً فيه مخالفة للعقيدة.

ورد الشيخ على من طعن في أحكام القرآن والسنة أو الرسول ﷺ وشريعته، ومن ذلك رده على صحيفة الشهاب اللبنانية[٥]، وأرسل برقية لكاتب المقال بين له وجوب التوبة من هذا الفعل الشنيع[٦]، ورد على مطاعن نشرتها جريدة الصباح[٧]، ورد الشيخ على مقال بصحيفة اليمامة يطعن في تعدد الزوجات وبين حكم الإسلام فيمن أنكر تعدد الزوجات[٨]. ورد على من يسخر من القرآن وأهله[٩]، ورد على صحيفة المساء المصرية في استهزائها بالرسول ﷺ وتنقصه، وبين حكم من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سبه أو تنقصه أو استحل شيئاً مما حرمه[١٠]، ورد على رشاد خليفة حول إنكاره للسنة المطهرة[١١].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ١٥١ - ١٥٧).
(٢) انظر: المرجع السابق، (٢/ ٤١٠ - ٤١٣).
(٣) انظر: المرجع السابق، (٢/ ٤٠٥ - ٤١٠).
(٤) انظر: المرجع السابق، (٨/ ١٨٦).
(٥) انظر: المرجع السابق، (١/ ٨٢ - ٨٤).
(٦) انظر: المرجع السابق، (١/ ٨٥).
(٧) انظر: المرجع السابق، (١/ ١١٣ - ١٢٩).
(٨) انظر: المرجع السابق، (٣/ ٢٢٩ - ٢٣٥).
(٩) انظر: المرجع السابق، (٣/ ١٦٥ - ١٦٩).
(١٠) انظر: المرجع السابق، (٦/ ٣٢٦ - ٣٤٠).
(١١) انظر: المرجع السابق، (٢/ ٤٠٠ - ٤٠٤).

ونستطيع أن نقول جازمين بأن من أهم القضايا التي أولاها الشيخ ابن باز في دعوة المخالف هو البدء بالدعوة إلى التوحيد وبيان ما يناقضه ظهر ذلك من خلال مؤلفاته، ورسائله، وفتاويه، ومحاضراته.

وتظهر حكمة الشيخ الدعوية في اعتنائه في دعوة المخالف بقضايا التوحيد، وتقديمها على ما سواها من القضايا؛ لأهميتها وإتباعاً لسبل الأنبياء والمرسلين، فقد أولوا هذه القضية اهتماماً بالغاً، والمتأمل في كتاب الله يجد أن دعوة كل الأنبياء والرسل لقومهم التوحيد، ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[(١)]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[(٢)].

فكل الأنبياء والرسل بدؤوا دعوتهم لقومهم بهذا التوحيد، وكانت وصيتهم لهم سلامة عقيدتهم، ألم يقل نوح وهود وصالح وشعيب كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[(٣)]، ألم تكن وصية إبراهيم ويعقوب عند موتهما لبنيهم بالتمسك بالتوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[(٤)]. ألم تكن أول

(١) سورة النحل، جزء الآية: ٣٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الأعراف، جزء الآية: ٥٩، ٨٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٠ - ١٣٢.

وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه ويربيه؛ غرس العقيدة الصحيحة في نفسه، حيث قال له كما عبر القرآن الكريم على لسانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[(١)]، ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[(٢)]، فحرص لقمان على بث التوحيد وإرساء قواعده، وتطهير القلب من الشرك وشوائبه، ومن الكفر وتوابعه، ولما أطمأن من تحقيق التوحيد وبث العقيدة بعدما طهر الأرض، وهيأ المنبت، وتأكد من سلامة المعتقد، أخذ يغرس ويبني البنيان بعدما أحكم القاعدة ورسخ الأساس[(٣)].

وظل ﷺ يدعوا قومه عشر سنين إلى التوحيد يقول لقومه: أيها الناس اعبدوا رباً تعالى شأنه ووحدوا، واستطاع ﷺ تحويل هذه العقيدة إلى حقيقة سلوكية قائمة في عالم الواقع، حتى أصبحت يقيناً قلبياً انبنى عليه سلوكهم وواقعهم، فقد رباهم ﷺ على عقيدة لم يزلزلها الابتلاء والشدة، ولم يؤثر فيه الرخاء والسعة.

ولما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن كان أول ما أوصاه به غرس العقيدة في نفوسهم، والتي يكون منها المنطلق، وتربية الأجيال؛ ليحدد المنطلق، وترسخ القاعدة، وتبني المجتمعات، وتشيد الحضارات، حيث قال له ﷺ حين بعثه: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٦.
(٣) انظر: معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء، سيد سعيد عبد الغني، ص ١١، دار طيبة الخضراء، ط١/ ١٤١٩هـ.

فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(١).

فغرس العقيدة الصحيحة هي الأساس الأول الذي يجب على كل مربٍ أن يرسخه في نفوس المسلمين، إنه منهج التربية الذي سلكه النبي ﷺ وبين أنه طريق النجاة والصلاح والإصلاح، لذلك ظهرت حكمة لشيخ ابن باز في دعوة المخالف في الاعتناء به، والدعوة إليه، وتنقيته مما يشوبه مما ينقضه أو يزعزعه، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: «واعلم أن فقر العبد إلى أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به، . . . فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلاهها الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، ولو حصل للعبد لذات وسرور بغير الله فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، وأما إلهه فلابد منه في كل حال وكل وقت وأينما كان فهو معه»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة بَاب أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنْ الْأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، رقم الحديث (١٤٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (١/ ٢٤).

المطلب الثالث:

التجرد للحق والبعد عن الهوى

كان من منهج الشيخ في دعوة المخالف التجرد للحق والبعد عن الهوى وعدم التعصب لرأيه، بل كان مخلص النية لربه، مريداً بدعوته وجه الله، بغض النظر عن لفت الأنظار إليه، والاعتماد عليه، وإبراز مقدرته على إفحام المحاور، وإظهار البراعة، فقد كان صافي السريرة، حسن السيرة، مترفعاً عن المطامع الدنيوية والأغراض الشخصية، والوجاهات القبلية، فكان مبتغاه هو إقامة الحجة وهداية الناس، لا يريد المال ولا الجاه ولا زخارف الحياة الدنيا، نحسبه كذلك والله حسيبه.

ومما يدل على ذلك ما حدث في درس من دروسه قرر رحمه الله حرمة التصوير، وساق الأدلة على ذلك، واستفاض رحمه الله في بيان ذلك الحكم مفنداً كل شبهة تعارض الأدلة، فلما انتهى من تقرير ذلك، قال أحد الطلاب: هذه صورك تخرج في التلفاز والجرائد نراها كل يوم. فرد عليه: اتبع الأدلة واترك فعل ابن باز، هل أنا معصوم؟ـ عليك بالأدلة خذها واعمل بها، ولا تنظر إلى فعلي وأفعال الرجال، وأنا لست راضياً عنها، سبحان الله[(١)].

لقد كان الشيخ رحمه الله في دعوة المخالف «يزن نفسه دائماً بميزان الكتاب

(١) انظر: سيرة وحياة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إبراهيم بن عبد الله الحازمي (١/ ٣٢٨).

والسنة، فأي زيغ واعوجاج وميل قومه في الحال بالرجوع والإنابة والعودة إلى المصدرين الأصليين والمنبعين العظيمين. ومما أوصله إلى تلك المكانة المتميزة أنه يرد كل ما اختلف فيه إلى الكتاب والسنة، تاركاً آراء العلماء، وأقوال الفقهاء والتي يرى أنها بعيدة عن الكتاب والسنة، لأن الحق واحد لا يتعدد»[(١)]. ويشهد لذلك ما نشرته مجلة الدعوة فتوى لسماحته وذكرت فيها ألفاظاً لم يقلها الشيخ، بأن الشيخ قال: إن في المذهب كذا وكذا، «فدعا الشيخ كاتب الفتوى، وقال له اقرأ عليَّ، فقرأ عليه، وإذا فيها: في المذهب كذا وكذا، قال سماحة الإمام رحمه الله: نحن لا نقول: جاء في المذهب كذا وكذا، نحن نقول قال الله وقال رسول الله، وما أوصل سماحته إلى هذه المكانة العلمية، والمنزلة الرفيعة، أنه يرى نفسه مستحفظ على كتاب الله، ومؤتمن على سنة رسوله في العمل بها وتبليغها كما هي»[(٢)].

لقد كان الشيخ رحمه الله بعيداً كل البعد عن التعصب للرأي والانتصار للنفس، والبعد عن الدليل، ومن النماذج التي تضرب في هذا الباب ما ذكره الشيخ محمد المجذوب عن تجرد الشيخ للحق، حيث يذكر: في التمهيد لإحدى المحاضرات في دار الحديث تلا مقرئ سورة البلد وقرأ على طريقة ورش قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ . . .﴾[(٣)] فقاطعه الشيخ طالبا منه أن يتلوها كما في مصحف عثمان رضي الله عنه، ولكن المقرئ لم يفعل، ولعله لم ينتبه لما قاله للشيخ حتى أتم السورة. وهناك وقف معرف الحفل، وهو أحد نوابغ طلابنا المتخرجين في كلية الشريعة، يعقب على طلب الشيخ ببيان جميل يؤكد به صحة القراءة على أنها إحدى المتواترات السبع، وضرورة

(١) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ٨٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٦.
(٣) سورة البلد، الآيات: ١١ - ١٥.

إشعار الناس بها، وبخاصة في مثل هذه المناسبات، كي لا يكونوا على جهل بالقراءات التي يسمعونها في العادة، ومع أن الشيخ حجته في الوقوف عند القراءات المشهورة خشية التشويش كما قرر مجمع البحوث في القاهرة. مع ذلك تلقى ملاحظات تلميذه بصمت الراضي عما سمع، وإنها لإحدى المزايا التي لا يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم(١).

لقد كان الشيخ رحمه الله ينأى بنفسه عن التعصب، ومما أثر عنه في ذلك: «وأنا والحمد لله لست بمتعصب، ولكن أحكم الكتاب والسنة، وأبني فتاواي على ما قاله الله ورسوله، لا على تقليد الحنابلة ولا غيرهم، الفتاوى التي تصدر مني إنما أبنيها على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة حسب ما ظهر لي، وهذا هو الذي سرت عليه منذ عرفت العلم، منذ أن كنت في الرياض قبل القضاء وبعد القضاء، وكذلك في المدينة، وما بعد المدينة، وإلى الآن والحمد لله»(٢).

وفي إحدى الردورد التي يرد فيها على أحد المخالفين له بين له ما ينبغي على المخالف فعله وهو النظر بعين البصيرة والتجرد عن الهوى والتقليد، فيقول رحمه الله: «ومن تأمل أدلة الكتاب والسنة **ونظر في ذلك بعين البصيرة وتجرد عن الهوى والتقليد عرف قطعاً بطلان هذا القول وأنه لا أساس له**، ومما جاء في السنة في هذا الباب مؤيدا للكتاب العزيز»(٣). وقال في إحدى رسائله: «والكتاب والسنة بحمد الله كفيلان بذلك»(٤).

---

(١) انظر القصة بأكملها في: علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، (١/ ٩٦ - ٩٧).

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٨/ ٣٨).

(٣) المرجع السابق، (٣/ ١٩٩).

(٤) جوانب من سيرة الإمام بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد ص ٣٥٨.

لقد كان هدف الشيخ في دعوة المخالف الأسمى هو بيان الحجة والإعذار إلى ربه، لم يكن رَحِمَهُ اللَّهُ «باحثا عن سمعة، أو لاهثا وراء المديح، أو متطلعا للثناء، بل كان في كل ما يعمل وما يذر يقصد وجه الله كما نحسبه والله حسيبه، . . . . لم يكن الشيخ ممن يحب التصدر أو الظهور، . . . . يهرب من الأضواء، ويكره الضجيج، ويبتعد عن مواطن الشبه، مهما أولت له التأويلات، وذكرت له المبررات»[(١)]. «لقد كان الشيخ صادقاً. . . . لا يقول إلا ما يؤمن به، ولا ينطق إلا ما يعتقد، ولذلك فإن ما يمكن أن يدعو به لملك، أو يثني به على أمير لا ينافقه به في وجهه وينطق به أمامه فقط، أو يتزلف به في منتدى لأجل حضوره فيه، فما قال في العلن يقوله في السر، وما يعتقده سراً يصدع به جهراً، فليس لذرة من محاباة أو مجاملة كاذبة، أو نفاق طريق إلى قلبه»[(٢)].

وتظهر حكمة الشيخ في التحلي بالبعد عن التعصب والتجرد للحق في دعوة المخالف حيث يظهر جلياً هدف الشيخ السامي، وغايته النبيلة، وإخلاص دعوته لربه، وسلامة مقصده ووضوح هدفه، فيتأثر المخالف، ويتربى على هذا المنهج.

فالإخلاص هو الركن الأعظم في جميع الأعمال، وهو سر من أسرار النجاح والتوفيق في قبول المخالف للحق، وهو الأساس الذي يتقبل الله به الأعمال. وإذا أخلص المرء في دعوته كان له الأثر والقبول عند المخالفين له. فالمخلص إذا نَصَحَ أصْغت له الآذان، وارتاحت له القلوب، واطمأنت لكلامه النفوس، وعملت وتمسكت بما يقول، وذلك بسبب قصده. وكلما

---

(١) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ١١١ - ١١٢، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٦.

عظمت نية الداعية الخالصة لله كلما كانت أقرب إلى القبول وأعظم أجرا. فعماد الأعمال ولبّها وروحها وأساسها إخلاص النية لله جل وعلا.

فالداعية إن كان يرجو ما عند الله فتح الله عليه في كلامه، وألهمه البصيرة وكان موفقاً مسدداً ملهماً، ولا يزال المخلص يجد من الله معونة وكفاية للمئونة وقبولاً لكلامه عند المحاور. ورحم الله ابن القيم حين قال: «**فمن خلصت نيته في الحق كفاه الله ما بينه وبين الناس**، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله، وهاتان الكلمتان من كنوز العلم، ومن أحسن الإنفاق منهما نفع غيره، وانتفع غاية الانتفاع، **فأما الكلمة الأولى: فهي منبع الخير وأصله**، والثانية: أصل الشر وفصله، والله سبحانه لا غالب له، **فمن كان معه فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء، فإن كان الله مع العبد فمن يخاف، وإن لم يكن معه فمن يرجو وبمن يثق ومن ينصره من بعده,فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولا وكان قيامه بالله ولله لم يقم له شيء ولو كادته السماوات والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتها، وجعل له فرجاً مُخرجاً**، وإنما يؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة أو في اثنين منها أو في واحد، فمن كان قيامه في باطل لم ينصر، وإن نصر نصراً عارضاً فلا عاقبة له، وهو مذموم مخذول، وإن قام في حق لكن لم يقم فيه لله وإنما قام لطلب المحمدة والشكور والجزاء من الخلق أو التوصل إلى غرض دنيوي كان هو المقصود أولا والقيام في الحق وسيلة إليه فهذا لم تضمن له النصرة، فإن الله إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا لمن كان قيامه لنفسه ولهواه، فإنه ليس من المتقين ولا من المحسنين، وإن نصر فبحسب ما معه من الحق فإن الله لا ينصر إلا الحق، وإذا قام العبد في الحق لله ولكن قام بنفسه وقوته ولم يقم بالله مستعيناً به متوكلاً عليه مفوضاً إليه بريأً من الحول والقوة إلا به فله من الخذلان وضعف النصرة بحسب ما قام به من ذلك، و تجريد

التوحيدين في أمر الله لا يقوم له شيء البتة وصاحبه مؤيد منصور ولو توالت عليه زمر الأعداء»[(١)].

فقد كان الشيخ في دعوته للمخالف يريد وجه الله والوصول إلى الحق، فكان من أشد الناس قبولا للحق ودعوة إليه، وهذا من أقوى الأسباب في نجاح الداعية في دعوته، فالتحلي به سعادة الدنيا والآخرة، وبعكسه تعاسة الدارين، حيث إحباط العمل وخسارة الآخرة، فقد أمر الله عباده بإخلاص النية له حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[(٢)]، وقال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[(٣)]. ورحم الله ابن القيم حين قال: «الكلام في مسألة النية شديد الارتباط بأعمال القلوب ومعرفة مراتبها وارتباطها بأعمال الجوارح وبنائها عليها وتأثيرها فيها صحة وفساداً، **وإنما هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبع ومكملة ومتممة، وأن النية بمنزلة الروح والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات** وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث. فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح إذ هي أصلها وأحكام الجوارح متفرعة عليها»[(٤)]، «ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (٢/ ١٧٨ - ١٧٩ باختصار)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد دار الجيل، بيروت، ط/ ١٩٧٣م.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. . . . ، رقم الحديث (١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، رقم الحديث (١٥١٥).

(٤) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (٣/ ١٨٧ - ١٨٨)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

أعمال الجوارح بأعمال القلوب وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما؟، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الإيمان القلب ومركب الإسلام الجوارح»[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (٣/ ١٩٣).

المطلب الرابع:

التعامل مع المخالف وفق ضوابط الشرع

تعامل الشيخ في دعوته للمخالف وفق ضوابط الشرع، فسلك الشيخ مسلك منهج سلفه من أئمة السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق، فكُتب الشيخ وأشرطته ورسائله ومعامتله وردوده مع المخالف له ناطقة على تعامل الشيخ مع المخالف له وفق ضوابط الشرع، فإن استلزم الأمر للسرية فعل، وإن استلزم الأمر للعلنية فعل، وإن دعت المصلحة للشدة سلكها وإن دعت لعدمها اتبع ذلك وفق المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يكاد يُذكر فاعل منكر إلا خالفه الشيخ وقام بدعوة صاحبه حسب الاستطاعة والطاقة، ورحم الله مدير مكتب بيت سماحة الشيخ حين قال عن الشيخ ابن باز: «سماحة الشيخ إمام عصره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا دأبه ومنهج حياته، فلا يكاد يذكر له معروف إلا أيده، ودعا لصاحبه، ودعمه بكل ما يستطيع. ولا يكاد يذكر له منكر صغيراً كان أم كبيراً، خاصاً أم عاماً، وسواء كان من فرد أو جماعة إلا بادر إلى إنكاره، وتغيير ما يستطيع»[(١)].

لقد كان الشيخ يؤمن إيماناً لا يرتابه شك أن إنكار المنكر ودعوة المخالفين للكتاب والسنة من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، لذلك يقول الشيخ: «هذه الفريضة من أهم الواجبات، فالله سبحانه أوجب على

(١) جوانب من سيرة الإمام بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد ص ٣٤٢.

أهل الإيمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك من أسباب صلاح الجميع، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1] فجعله من إيمانهم كالصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2] وتوعد بني إسرائيل ولعنهم على عدم تناهيهم عن المنكر فقال سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3]، . . . إذا كان في قرية أو قبيلة أو في هجرة أو في أي محل وقام به بهذا الواجب من يكفي صار من حق الباقين سنة، من باب التعاون على البر والتقوى؛ لأن المقصود حصل، وهو أن هذا قام به نهاهم فانتهوا، إذا نهاهم عن المنكر فانتهوا حصل المطلوب[4]. ويقول الشيخ أيضاً: «فإن من أهم المهمات وأفضل القربات التناصح والتوجيه إلى الخير والتواصي بالحق والصبر عليه، والتحذير مما يخالفه ويغضب الله ﷻ، ويباعد من رحمته، . . . . أيها المسلمون: إن موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضوع عظيم، جدير بالعناية؛ لأن في تحقيقه مصلحة الأمة ونجاتها، وفي إهماله الخطر العظيم والفساد الكبير، واختفاء الفضائل، وظهور الرذائل، وقد أوضح الله جل وعلا في كتابه العظيم منزلته في الإسلام، وبين سبحانه أن منزلته عظيمة، حتى إنه سبحانه في بعض الآيات قدمه على الإيمان، الذي هو

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٨ - ٧٩.

(٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٢٤/ ٨٨ - ٩٠).

أصل الدين وأساس الإسلام، . . . . ولا نعلم السر في هذا التقديم إلا عظم شأن هذا الواجب، وما يترتب عليه من المصالح العظيمة العامة، ولا سيما في هذا العصر، فإن حاجة المسلمين وضرورتهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شديدة؛ لظهور المعاصي، وانتشار الشرك والبدع في غالب المعمورة، وقد كان المسلمون في عهده ﷺ وعهد أصحابه وفي عهد السلف الصالح يعظمون هذا الواجب، ويقومون به خير قيام، فالضرورة إليه بعد ذلك أشد وأعظم، لكثرة الجهل وقلة العلم وغفلة الكثير من الناس عن هذا الواجب العظيم. وفي عصرنا هذا صار الأمر أشد، والخطر أعظم، لانتشار الشرور والفساد، وكثرة دعاة الباطل، وقلة دعاة الخير في غالب البلاد كما تقدم، ومن أجل هذا أمر الله سبحانه وتعالى به، ورغب فيه، وقدمه في آية آل عمران على الإيمان، . . . يعني أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فهي خير الأمم وأفضلها عند الله»[(١)].

ويظهر لنا من خلال ما سبق اهتمام الشيخ بدعوة المخالف ومعرفته بأهمية القيام بهذا الواجب وأنه من أعظم فرائض الإسلام، لذلك حرص الشيخ على القيام بهذه المهمة العظيمة، لكن مع مراعته لضوابط الشرع، **وأهم الضوابط التي قررها الشيخ وتعامل بها مع المخالف ما يلي:**

راعي الشيخ نوعية المخالف، فإذا كان ممن له ولاية عليه كانت دعوته للمخالف ببيان حكم الله في المسألة وإن استدعى الأمر للتغير باليد فعل، وإن لم تكن له عليه ولاية وجه إليه الدعوة بالقول والبيان، وإن كان المخالف له وجاهة وسلطان دعاه بما يرقق قلبه ويدفعه لمتابعة الصواب، ولا ينفره من اتباع الحق.

وقد قرر الشيخ أن السنة النبوية جاءت لتقرر أن مراتب النهي عن المنكر

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٥/ ٥٨ - ٥٩).

والأمر بالمعروف ثلاثة مراتب، يقول الشيخ مبيناً أهمية مراعاة هذه المراتب وبيانها: «وهذا هو الواجب على كل مسلم، وهذا الواجب العظيم أوضح الله شأنه في كتابه الكريم، ورغب فيه، وحذر من تركه، ولعن من تركه. فالواجب على أهل الإسلام أن يعظموه، وأن يبادروا إليه، وأن يلتزموا به طاعة لربهم ﷻ، وامتثالا لأمره، وحذر من عقابه سبحانه وتعالى. وقد جاءت سنة رسول الله ﷺ تؤيد هذا الأمر، وتبين ذلك أعظم بيان وتشرحه، فيقول المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[1] خرجه الإمام مسلم في صحيحه، فبين ﷺ مراتب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الثلاث:

المرتبة الأولى: الإنكار باليد مع القدرة، وذلك بإراقة أواني الخمر، وكسر آلات اللهو، ومنع من أراد الشر بالناس وظلمهم من تنفيذ مراده إن استطاع ذلك كالسلطان ونحوه من أهل القدرة، وكإلزام الناس بالصلاة، وبحكم الله الواجب اتباعه ممن يقدر على ذلك، إلى غير هذا مما أوجب الله.

وهكذا المؤمن مع أهله وولده، يلزمهم بأمر الله ويمنعهم مما حرم الله باليد إذا لم ينفع فيهم الكلام.

وهكذا من له ولاية من أمير أو محتسب، أو شيخ قبيلة أو غيرهم ممن له ولاية من جهة ولي الأمر، أو من جهة جماعته، حيث ولوه عليهم، عند فقد الولاية العامة يقوم بهذا الواجب حسب طاقته، فإن عجز انتقل إلى:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم الحديث (٤٩).

المرتبة الثانية: وهي اللسان، يأمرهم باللسان وينهاهم كأن يقول: يا قوم اتقوا الله، يا إخواني اتقوا الله، صلوا وأدوا الزكاة، اتركوا هذا المنكر، افعلوا كذا، دعوا ما حرم الله، بروا والديكم، صلوا أرحامكم، إلى غير هذا، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر باللسان، ويعظهم ويذكرهم، ويتحرى الأشياء التي يفعلونها، حتى ينبههم عليها، ويعاملهم بالأسلوب الحسن، مع الرفق، . . . فهكذا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر الموفق، يتحرى الرفق والعبارات المناسبة، والألفاظ الطيبة عندما يمر على من قصر في ذلك، في المجلس أو في الطريق أو في أي مكان يدعوهم بالرفق والكلام الطيب، حتى ولو جادلوه في شيء خفي عليهم، أو كابروا فيه يجادلهم بالتي هي أحسن، . . . . لكن ما دام المقام مقام تعليم ودعوة وإيضاح للحق، فإنه يكون بالتي هي أحسن لأن هذا أقرب إلى الخير، قال سفيان الثوري رحمه الله: ينبغي للآمر والناهي أن يكون رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهي عنه، عدلاً فيما يأمر به، عدلا فيما ينهي عنه، عالماً بما يأمر به، عالماً بما ينهى عنه. وهذا معنى كلام السلف رحمهم الله، تحري الرفق مع العلم والحلم والبصيرة، لا يأمر ولا ينهي إلا عن علم، لا عن جهل. ويكون مع ذلك رفيقاً عاملاً بما يدعوه إليه تاركاً ما ينهى عنه، حتى يقتدى به. . . . فتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وإقامة الحدود والتعزيرات الشرعية، حتى يستقيم الناس، ويلزموا الحق، ويقيموا عليهم الحدود الشرعية، ويمنعوهم من ارتكاب ما حرم الله حتى لا يتعدى بعضهم على بعض، أو ينتهكوا محارم الله. وقد ثبت «عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، الخليفة الراشد أنه قال: إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ويروى عن عمر رضي الله عنه أيضاً. وهذا صحيح، كثير من الناس لو جئته بكل آية، لم يمتثل، لكن إذا جاءه وازع السلطان بالضرب والسجن ونحو ذلك أذعن وترك باطله. . . . لماذا؟! لأن قلبه مريض، ولأنه ضعيف

الإيمان أو معدوم الإيمان. فلهذا لا يتأثر بالآيات والأحاديث، لكن إذا خاف من السلطان ارتدع ووقف عند حده، ووازع السلطان له شأن عظيم، ولهذا شرع الله لعباده القصاص والحدود والتعزيرات لأنها تردع عن الباطل، وأنواع الظلم، ولأن الله يقيم بها الحق، فوجب على ولاة الأمور أن يقيموها، وأن يعينوا من يقيمها، وأن يلاحظوا الناس، ويلزموهم بالحق، ويوقفوهم عند حدهم حتى لا يهلكوا، وينقادوا مع تيار الباطل، ويكونوا عونا للشيطان وجنده علينا.

فإذا عجز المؤمن عن الإنكار باليد واللسان انتهي إلى القلب، يكره المنكر بقلبه، ويبغضه ولا يكون جليساً لأهله. . . . .»[(١)].

ثم بين الشيخ أن دعوة المخالف حسب هذه المراتب واجبة كل على حسب مكانته واستطاعته، يقول الشيخ: «وقد يكون هذا الواجب فرض عين على بعض الناس، إذا رأى المنكر، وليس عنده من يزيله غيره، فإنه يجب عليه أن يزيله مع القدرة، لما سبق من قوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(٢)]. . . .

أما إن كانوا جماعة فإنه يكون في حقهم فرض كفاية في البلد أو القرية أو القبيلة، فمن أزاله منهم حصل به المقصود وفاز بالأجر. وإن تركوه جميعاً أثموا كسائر فروض الكفايات. وإذا لم يكن في البلد أو القبيلة إلا عالم واحد وجب عليه عينا أن يعلم الناس، ويدعوهم إلى الله، ويأمرهم

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/ ٦٣ – ٦٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم الحديث (٤٩)

بالمعروف، وينهاهم عن المنكر حسب طاقته، لما تقدم من الأحاديث، ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[(١)].

فتتضح حكمة الشيخ في بيان حكم دعوة المخالف، فهي ليست تلزم حالة واحدة، فبين متى تكون دعوة المخالف فرض عين، ومتى تكون فرض كفاية، وبين رَحِمَهُ اللَّهُ ضوابط دعوة المخالف.

فالشيخ يرى وجوب دعوة المخالف، حيث يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أخلاق المؤمنين والمؤمنات وصفاتهم الواجبة التي لا يجوز لهم التخلي عنها أو التساهل بها، والآيات في هذا المعنى كثيرة»[(٢)]. ويقول الشيخ: «والمقصود أن الشاب والشيخ وغيرهما كلهم عليهم واجب إنكار المنكر»[(٣)].

فالشيخ قرر أن دعوة المخالف واجبة ومع ذلك قرر أنها لابد أن تكون بضوابط الشرع فيقول: «والنصيحة ودعوة الناس إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالأسلوب الحسن والكلمات الطيبة، والرفق حتى يعم الخير ويكثر وحتى يزول الشر ويندثر. وهذا مطلوب من الجميع من الدولة، ومن العلماء، ومن أهل الخير، ومن أعيان المسلمين، ومن العامة كل بحسب طاقته، ولكنه يتحرى العبارات الطيبة، والأسلوب الحسن حتى يحصل الخير ويزول الشر»[(٤)]. ويقول: فـ«الواجب على الداعي إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون على علم وبينة حتى لا

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/ ٧١ - ٧٢).

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٢٦٥).

(٣) حوار من القلب مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نبيل بن محمد محمود، ص ٦٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٣٢.

يأمر بما يخالف الشرع، وحتى لا ينهى عن ما هو موافق للشرع. **والواجب أيضاً أن يكون ذلك بالرفق وعدم العنف وعدم الكلمات البذيئة، بل يكون بكلام طيب وأسلوب حسن ورفق**، . . . .»[(١)]. ويقول: «وأما أصحاب الحسبة وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فعليهم أن يلتزموا بالآداب الشرعية، ويخلصوا لله في عملهم، ويتخلقوا بما يتخلق به الدعاة إلى الله من حيث الرفق وعدم العنف، إلا إذا دعت الحاجة إلى غير ذلك من الظلمة والمكابرين والمعاندين فحينئذ تستعمل معهم القوة الرادعة. . . . أما غيرهم فيعامل في إنكار المنكر والدعوة إلى المعروف بمثل ما يفعل الداعي: ينكر المنكر بالرفق والحكمة، ويقيم الحجة على ذلك حتى يلتزم صاحب المنكر بالحق، وينتهي عما هو عليه من الباطل، وذلك على حسب الاستطاعة، . . . .»[(٢)].

وكان الشيخ يحرص على الستر على المخالفين والسبب مثل هذا المنهج أدعى في استقامتهم، وقبولهم الحق، والعمل به، يقول الدكتور ناصر الزهراني: «وكان رحمه الله يحب الستر على ما يقع فيه الناس من خلل في العبادة والعمل، وينصح ويوجه برفق فتلين معه القلوب؛ لأن ما صدر من القلب استقر في القلب، لا يستعجل ولا يتأثر بكلام الآخرين»[(٣)].

وإن كان الشيخ قرر مراعاة الضوابط الشرعية في دعوة المخالف قولا فإنه رحمه الله طبقها على أرض الواقع، تشهد لذلك رسائله في الردود على المخالف، ويشهد لذلك معاملته للمخالف، يقول أحد تلاميذه عن الشيخ: «ولقد كان سماحة الشيخ رحمه الله تعالى من أرفق الناس في معاملة الناس

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٧/ ٣٢٩).
(٢) المرجع السابق، (٤/ ٢٣٠).
(٣) بين الولاة والدعاة، د/ ناصر الزهراني، ص ٢٩١.

وبخاصة من جفا طبعه وساء خلقه، وهذا مشاهد بل متواتر في أخلاق الشيخ»[(١)].

وإن كان الشيخ راعى ضوابط الشرع في دعوة المخالف عامة، فإنه رعاها بوجه خاص مع وجهاء القوم، فقد كان للشيخ منهج فريد في دعوة هؤلاء الوجهاء وفق ما جاء به الشرع الحكيم، فقد كان يستخدم الأسلوب النبوي في دعوتهم، مستصحباً اللين والرفق، معترفاً بقدرهم، منزلهم منزلتهم اللائقة بهم، ولم يكتف بهذا بل بين الطريقة الشرعية في التعامل معهم ودعوتهم فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا بد من صبر وتواص بالحق، ودعوة إليه، حتى تنجح في مهمتك، **وكذلك المسئولون والكبار الذين يخشى من شرهم على الدعوة، ينصحون بالأسلوب الحسن، ويوجهون، ويدعون بالكتابة والمشافهة من أعيان الأمة ورجالها وقادتها وأمرائها**، . . . .»[(٢)]. ويبين الشيخ الطريقة المثلى في دعوتهم فيقول: «النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير، أما إنكار المنكر بدون ذكر الفاعل فينكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا دون ذكر من فعله، فذلك واجب لعموم الأدلة»[(٣)]. ويقول: «النصيحة لولاة الأمور، وتوجيههم للخير، والتعاون معهم حتى يحكموا شرع الله، أما أن الآمر والناهي يمد يده فيقتل أو يضرب فلا يجوز، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن حتى يحكموا شرع الله في عباد الله، وإلا فواجبه النصح، وواجبه التوجيه إلى الخير، وواجبه إنكار المنكر بالتي

---

(١) الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر، عبد العزيز السدحان، ص ٥٦، دار طيبة، ط١/ ١٤٢١هـ.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١/ ٢٥١).

(٣) حوار من القلب مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نبيل بن محمد محمود، ص ١٦٢.

هي أحسن، هذا هو واجبه، . . . . لأن إنكاره باليد بالقتل أو الضرب يترتب عليه شر أكثر وفساد أعظم بلا شك ولا ريب لكل من سير هذه الأمور وعرفها»[(١)]. ويقول: «الواجب على جميع المؤمنين والمؤمنات التعاون على البر والتقوى، والتعاون مع ولاة الأمور في الدعوة إلى الخير، وإبلاغ ولاة الأمور بما قد يخفى عليهم بالمكاتبة الصالحة بالنصيحة حتى يكون ولاة الأمور والمسئولون على علم بما يقع من الشر مما قد يخفى عليهم، والمقصود أن التعاون على الخير بين المسلمين حكاماً ومحكومين من أهم الواجبات. . فلا بد من التعاون بين المسئولين وبين العلماء وبين الدعاة إلى الحق في إظهار الحق والدعوة إليه وفي قمع الباطل وفي القضاء عليه، نسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه رضاه ولما فيه صلاح الجميع»[(٢)].

ويقرر الشيخ أن الحاكم ليس معصوماً فقد يقع في بعض المخالفات فيجب النصح له بالرفق واللين ومع ذلك لا ننزع يداً من الطاعة في المعروف، ولا ينسى لهم فضلهم ولا تنكر حقوقهم، يقول الشيخ رحمه الله: «أما أهل الخير والتقوى فينشرون الخير ويدعون إليه ويتناصحون بينهم فيما يخالف ذلك حتى يحصل الخير ويحصل الوفاق والاجتماع والتعاون على البر والتقوى. . . . ومعلوم ما يحصل من ولاة الأمر المسلمين من الخير والهدى والمنفعة العظيمة من إقامة الحدود، ونصر الحق، ونصر المظلوم وحل المشاكل، وإقامة الحدود، والقصاص والعناية بأسباب الأمن والأخذ على يد السفيه والظالم، إلى غير هذا من المصالح العظيمة، **وليس الحاكم معصوماً** إنما العصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغون عن الله عز وجل، لكن الواجب التعاون مع ولاة الأمور في الخير والنصيحة فيما قد

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٨/ ٢٠٧).
(٢) المرجع السابق، (٧/ ٢٨٦).

يقع من الشر والنقص، هكذا فهم المؤمنون، وهكذا أمر الرسول ﷺ، أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور، والنصيحة لهم. . . .»[(١)].

وكان الشيخ يقرر أن تكون دعوة الوجهاء سراً دون التشهير بهم وبأخطائهم ويبن أن ذلك منهج السلف الصالح، ولا يعنى ذلك السكوت عن دعوتهم ونصحهم والإنكار عليهم، يقول الشيخ: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير. . . . ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر من فعلها»[(٢)].

وقد بين الشيخ كيفية دعوة المخالفين من الوجهاء فيقول: «التعاون يكون بالسر ويكون بالجهر، والأصل أنه بالجهر، حتى يعلم السامع ما يقال ويستفيد، فالتعاون والإرشاد نصيحة جهرية للمجتمع هذا هو الأصل إلا إذا اقتضت المصلحة الشرعية عدم الجهر خوفاً من الشر من بعض الناس؛ لأنه لو نصح أو وجه جهراً قد لا يقبل وقد يتكبر، فالنصيحة سراً مطلوبة حينئذ. والناصح والموجه والمرشد يتحرى ما هو الأصلح، فإذا كانت النصيحة والدعوة والإعانة على الخير جهراً تنفع الحاضرين وتعم بها المصلحة - فعل ذلك، وإذا كانت المصلحة تقتضي أن يكون التناصح في حالة السر - فعل ذلك؛ لأن المقصود حصول الخير والنفع للمنصوح وللمجتمع، فالوسيلة المؤدية إلى ذلك هي المطلوبة سواء كانت سرية أو جهرية،

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٩/ ٩٦).
(٢) المرجع السابق، (٨/ ٢١٠).

والناصح والداعي إلى الله كالطبيب يتحرى الوقت المناسب والكمية والكيفية المناسبة، فهكذا يكون الداعي إلى الله والناصح لعباده يتحرى ما هو الأنسب وما هو الأصلح وما هو الأقرب للنفع»[(١)].

لقد كان الشيخ في أغلب أحيانه ينصح المخالفين لبعض الأمور الشرعية من الولاة سراً ويصعب علينا تتبع هذه الأمور والسبب أنها كانت سراً ولم يفصح عنها، حتى «لما جاء بعض الغيورين وحثوه على الأوضاع ولاموه، وأغلظوا عليه بالقول، وقالوا: الواجب عليك أكبر مما تقوم به؛ لأنك إمام قدوة، ولك مكانتك عند الجميع، وما علم أولئك بعظم الدور الذي يقوم به. ولما سمع سماحة الشيخ منهم ذلك الكلام تأثر تأثراً كبيراً، ولم ير أن يطلعهم على ما يقوم به»[(٢)].

ويبين الشيخ مقدار ما يبذله لولاة الأمر من النصح والدعوة فيقول: «وأما المناصحة فيعلم الله أنا بذلنا لولاة الأمر وغيره ما فيه الكفاية، ونسأل الله أن يوفقهم لقبول النصح، والقضاء على الشر والفساد، وأن يكثر أعوانهم في الخير؛ إنه سميع قريب»[(٣)].

ويتضح من كلام بعض الحكام أنه كان يكثر من الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله في برقية رفع بها لأبناء الشيخ بعد وفاته: «لقد فقدنا بوفاة والدكم إنساناً من أعز الناس بالنسبة لنا، ومن **أصدق الناس معنا، ومن أحرص الناس على نصحنا**، والدعوة إلى الخير والنصح للناس وتوجيههم»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٢٧٢).

(٢) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٥٩١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٩٦.

ويدلل على ما ذكرنا أيضاً أن الشيخ سئل عن قلق المسلمين القادمين إلى الحرمين الشريفين من تدفق غير المسلمين إلى هذه البلاد، وخطر هذا الأمر على عقائد أهل التوحيد، قال: **وقد نبه ولي الأمر** على أنه يجب تطهير الجزيرة من الكفر والعناية بعدم دخولهم فيها، وعدم إقامتهم فيها، وقد وافق ولي الأمر على التقليل منهم، ووعد وفقه الله بالعناية التامة بهذا الشأن، وأن لا يستقدم إلا من تدعو الضرورة أو الحاجة الشديدة إليهم[(١)].

وبين واجب الولاة وحثهم على القيام بالحفاظ على سلامة المعتقد للرعية من أي مؤثر فيقول: «فالواجب على ولاة الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين ونحوهم ومنع من يتعاطى شيئاً من ذلك في الأسواق وغيرها، والإنكار عليهم أشد الإنكار، والإنكار على من يجيء إليهم، ولا يجوز أن يغتر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يأتي إليهم من الناس فإنهم جهال لا يجوز التأسي بهم؛ لأن الرسول ﷺ قد نهى عن إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم لما في ذلك من المنكر العظيم والخطر الجسيم والعواقب الوخيمة ولأنهم كذبة فجرة»[(٢)].

فتظهر حكمة الشيخ رحمه الله في أنه نصح الوجهاء والأمراء لكن بآداب النصيحة، مراعياً شروطها وضوابطها، والحال والمآل، فأدت الثمرة المرجوة منها بإذن الله سبحانه وتعالى.

ومع ذلك ربما أظهر النصح في دعوته للوجهاء والولاة المخالفين له إذا اقتضت المصلحة ذلك، خاصة إذا لم يتب ويرجع بعد نصحه إذا كانت مسائل تتعلق بالاعتقاد، ومن أمثلة ذلك: «لما نشرت صحيفة الجيش السورية كلاماً كفرياً يتضمن إنكار وجود الله سبحانه وتعالى كتب سماحة

---

(١) حوار من القلب مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ص٢٧.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٢٧٥).

الشيخ للرئيس السوري آنذاك وهو نور الدين الأتاسي، بين له الحكم في ذلك، وأن الواجب التوبة، وإعلانها في الصحف. ومن ذلك أنه لما نشرت بعض الصحف الخارجية أن بعض الرؤساء طعن في القرآن، وذكر أنه متناقض، وتكلم في شخص الرسول ﷺ كتب إليه سماحة الشيخ وبين له فداحة ما قال، وأوضح له أن ذلك كفر وردة، وأن الواجب عليه إعلان التوبة في الصحف التي نشرت كلامه. ولما لم ينشر ذلك الشخص ما أشار به سماحة الشيخ ولم يعلن توبته ورجوعه كتب سماحته مقالاً مطولاً بين فيه كفر ذلك الشخص وردته، ونشرت ذلك بعض الصحف»[(١)].

ولما تجاوزت إحدى الصحف وتجرأت ونشرت كلاماً كفرياً، يعد ناقضاً من نواقض الدين، أنكر الشيخ وبين واجب وجهاء القوم من الأمراء والمسؤولين، وكان مما جاء فيه: «وأن هذه الصحيفة قد تجاوزت الحدود، واجترأت على محاربة الدين، والطعن في هذا المقال الشنيع جرأة لا يجوز السكوت عنها، ولا يحل لوزارة الإعلام ولا للحكومة الإغضاء عنها بل يجب قطعاً معاقبتها معاقبة بإيقافها عن الصدور، ومحاكمة صاحب المقال، والمسؤول عن تحرير الصحيفة، وتأديبهما تأديباً رادعاً، واستتابتهما عما حصل منهما، لأن هذا المقال يعتبر من نقائض الإسلام، ويوجب كفر وردة من قاله، أو اعتقده، أو رضي به»[(٢)].

وكثيراً ما كان يكاتب ويدعو حكام الدول الإسلامية «ويناصحهم بتطبيق الشريعة، ويبين لهم فضائل ذلك، ويحذرهم من الظلم، والحكم بغير ما أنزل الله، وكان يناصحهم كثيراً في أمور شتى، كإقامة صلاة الاستسقاء

---

(١) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) الشيخ ابن باز وقضايا المرأة، ص ٤٣، أحمد الناصر، دار أطلس دمشق، ط١/ ١٤٢٥هـ.

حال الجدب، وكرفع الظلم عن المضطهدين، وكان يكاتبهم بشأن الشفاعة لبعض الدعاة ونحو ذلك من الأمور التي كان يكاتبهم بشأنها. وكم حقق الله على يديه بهذا المنهج من خير، وكم درأ الله به من فتنة، فرحمه الله وأجزل مثوبته»[(١)].

ومن أمثلة دعوته للمخالفين من الحكام، تلك البرقية التي أرسلها سماحته في ١٨/ ٩/ ١٣٨٢هـ لما كان نائباً لرئاسة الجامعة الإسلامية، حيث بعثها للرئيس العراقي عبدالسلام محمد عارف، وهذه نصها: «سيادة الأخ عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية بغداد، سرنا انتصاركم على الملحدين والشيوعين أعداء الإسلام، ونرجو أن من شكركم لهذه النعمة العظيمة **تحكيم كتاب الله، والسير على هدي رسول الله** ﷺ فهما كفيلان بسعادة المجتمعات والأفراد، وباتباع تعاليم الإسلام يسود العدل، وتحصل الطمأنينة والاستقرار لجميع المواطنين، وفقكم الله والعاملين معكم لما فيه رفعة الإسلام والمسلمين، وسعادة الشعب»[(٢)].

وحذر الشيخ ولاة الأمر علانية من معاملتهم مع أعداء الإسلام وبين خطر مؤامراتهم ومكائدهم، خاصة بعدما فتحت مدارس ومستشفيات في بعض البلدان العربية، فحذر الشيخ قادة هذه البلاد بقوله: «إنني أنصح ولاة الأمر وأهل الحل والعقد فيهم خاصة من الرؤساء والأمراء والعلماء وغيرهم؛ بأن يكونوا على حذر في معاملتهم مع أعداء الإسلام الذين يتسللون إلى صفوف المسلمين باسم الصحافة أو الاستشراق، أو غيرهما، وأن يكونوا متيقظين لكل مؤامراتهم ومكائدهم، وأن لا يسهلوا

---

(١) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

لهم القيام بمهامهم في بلاد المسلمين، أو يتعاونوا معهم لإنجاحها، ولهذا ينبغي أن لا تستجاب طلبات أولئك إلا بعد دراستها دراسة وافية ومعرفة أبعادها ونتائجها، والتأكيد من خلوها مما يلحق الضرر بالإسلام والمسلمين، وأسأل الله أن يوفق المسلمين ورؤساءهم وأهل الحل والعقد فيهم ليكونوا دعاة إلى الله وحماة لدينه، وأن يعلي كلمته، وأن يخذل أعداءه ويبطل كيدهم»[(١)].

وكذلك نصح الشيخ رحمه الله الحكام جهراً في العناية بإصلاح الإعلام لأن الحاجة داعية إلى ذلك، وتظهر حكمة الشيخ في الجهر في مناصحة الحكام على حسب مقتضى الحاجة، فلم تكن كل الدعوة لهم سراً، ولم تكن كلها جهراً.

فلما أفسد الإعلام في كثير من البدان الإسلامية وجه الشيخ دعوته لولاة الأمر والحكام في تلك البلاد جهراً إلى العناية بإصلاح هذه الأجهزة، وسد الطرق الموصلة إلى فساد الأخلاق والمعتقدات، حيث قال لهم: «الواجب على حكام هذه البلاد والمسؤولين فيهم وفقهم الله جميعاً أن يمنعوا منعاً باتاً فتح دور السينما مطلقاً؛ لما يترتب على السماح بذلك من الفساد العظيم والعواقب الوخيمة، والرقابة في مثل هذه الأمور لا يحصل بها المقصود، ومعلوم أن الوقاية مقدمة على العلاج، وأن الواجب سد الذرائع وحسم مواد الفساد، وفي واقع غيرنا عبرة لنا كما سلف، كما يجب تطهير الإذاعة والتلفاز من جميع ما يخالف الشرع المطهر ويفضي إلى فساد الأخلاق»[(٢)].
وبين الشيخ ضرورة «إصلاح أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية، وأن تطهر مما فيه من الدعوة إلى الإباحية، والأخلاق غير الإسلامية، وأنواع الإلحاد

(١) الشيخ ابن باز وقضايا المرأة، أحمد الناصر، ص ١١٧ باختصار.
(٢) المرجع السابق، ص ١٣٣.

والفساد إذا كان القائمون عليها صادقين في دعوى الإسلام، والرغبة في توجيه الشعوب والشباب إليه»[(١)].

وكذلك وجه الشيخ رسالة في قضية توظيف النساء في الجهات الحكومية في غير محيطهن، كان نصها: «الواجب على المسؤولين منع توظيف النساء في غير محيطهن؛ سواء كن سعوديات أو غيرهن، وفي ذوي الكفاية من الرجال ما يغني عن توظيف النساء في ميادين الرجال»[(٢)]. «ألا فليتق الله المسؤولين في ديوان الخدمة المدنية، والرئاسة العامة لتعليم البنات، وليراقبوه سبحانه فلا يفتحوا على الأمة باباً عظيماً من أبواب الشر إذا فتح كان من الصعب إغلاقه، وليعلموا أن النصح لهذا البلد حكومة وشعباً هو العمل على ما يبقيه مجتمعاً متماسكاً قوياً»[(٣)].

ووجه الشيخ دعوته لقادة الأمة وحكامها بسبب تخاذل الكثير منهم في عدم الاهتمام بمصائب الأمة الإسلامية التي تحل بهم، وذكرهم بأن ذلك من واجباتهم، وحذرهم من غضب الله وسخطه، فكان مما وجهه لهم: «فالواجب على قادة المسلمين من العلماء والأمراء وغيرهم الاهتمام بكل مصيبة تحل أو نكبة تقع، وتذكير الناس وبيان ما وقعوا فيه، وأن يكون ولاة الأمر من العلماء والحكام هم القدوة الصالحة في العمل الصالح والبحث عن مسببات غضب الله ونقمته، وعلاجها بالتوبة والاستغفار وإصلاح الأوضاع، والأمة تبع لهم؛ لأن هداية العالم وحكمة الوالي وصلاحهما من أهم المؤثرات في الرعية. . . . وإذا استمرأ المسلمون المعاصي ولم ينكرها من بيده الأمر والحل والعقد يوشك أن يعم الله الأمة بغضب منه، وإذا وقع

(١) حوار من القلب مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ص ١٧٥.
(٢) الشيخ ابن باز وقضايا المرأة، أحمد الناصر، ص ١٣٣.
(٣) المرجع السابق، ص ١٠٣.

غضب الله وحلت نقمته فإن ذلك يشمل المحسن والمسيء، عياذا بالله من ذلك، . . . . »[١].

إن الحب المتبادل بين الشيخ ووجهاء القوم لم يكن مانعاً له في يوم من الأيام أن يصدع بالحق على حسب ما يقتضيه المصلحة، «لقد وقف الشيخ وقفات حازمة ضد كثير من الأمور والاجتهادات والتصرفات التي تخالف الشريعة، وما نشر من ذلك فلا يمثل إلا جزءاً يسيراً مما لم ينشر على الملأ تمشياً مع سياسة الشيخ التناصحية، وإن دعاة الشر وسدنة الباطل الذين يتصيدون الفرص، ويحيكون المؤتمرات لإيقاع هذه البلاد في كثير من الشرور والمخالفات كانت تتكسر مجاديفهم البائسة أمام صمود الشيخ ووقوفه بالمرصاد وتنبيهه وتذكيره لولاة الأمور، لقد كان جبلاً شامخاً تحطمت على أعتابه كثير من دعوات الضلال، وسفن الانحلال، ولم يكن الشيخ يتردد في إصدار كثير من الفتاوى الجريئة حتى ولو كان ذلك يتعلق بالطبقات الحاكمة في المجتمع الإسلامي، فانظر مثلاً إلى إنكاره على الإحداد من الملوك والزعماء»[٢]. بل تأمل ما فعله أحد العوام الجهلة حيث «ذبح الذبائح عند عجلات سيارة الملك سعود رحمه الله بالصفا ابتهاجاً بقدومه، فقام الشيخ ابن باز رحمه الله يدور والدمعة تخنقه، ويصيح بأعلى صوته: إنها حرام حرام لا يجوز أكلها. . . . ولما علم الملك سعود رحمه الله بفعل الجاهل غضب، وأظنها نقلت لحديقة الحيوانات، وشكر للشيخ فعله»[٣]. وصدقت شهادة معاصر للشيخ واصفاً إياه بقوله: «رحمك الله فقد حفظت للولاة حقوقهم، وشاركت الدعاة همومهم فما أحرجت ولا أحرقت»[٤].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٤/ ١٣٥).

(٢) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ٢٢٠.

(٤) من مقال لمعالي الدكتور عبد الله العبيد، مجلة رابطة العالم الإسلامي، ص ٣، العدد ٤١٢، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

ومن هنا تظهر حكمة الشيخ في التعامل مع المخالف في دعوته حيث تعامل معه وفق ضوابط الشرع، وكان الشيخ يغلب الدعوة للمخالف له سراً، فإذا اقتضت المصلحة الشرعية علانية فعل لكن في حدود ضيقة، وهذا منهج السلف الصالح(١).

فالناصح الأمين غرضه إزالة عيب أخيه المؤمن واجتنابه له، أما الآخر فغرضه مجرد إشاعة العيب في أخيه المؤمن، ومقصوده تنقصه، وإظهار عيوبه ومساوئه للناس، ليدخل عليه الضرر في الدنيا، ولما كان الأمر كذلك وجب عليه نصحه سراً. وليتذكر الجميع أن عقوبة من يشيع السوء عن أخيه

---

(١) فقد حرص سلفنا الصالح رضوان الله عليهم على النصح في السر دون العلن، وكان سلفنا الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًا، قال بعضهم: «من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الخلائق فإنما يريد الشنعة» تاريخ دمشق، (٦/ ١٨). وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير» فيض القدير، المناوي، (٢/ ٤١٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١/ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م. ويقول ابن حبان رحمه الله: «النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا قبل، ولكن إبداءها لا يجب إلا سراً، لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه، ومن وعظه سراً فقد زانه، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه» روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان أبو حاتم، ص ١٩٦، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م. قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «وإذا نصحت فانصح سرًا لا جهرًا، وبتعريض لا تصريح، إلا ألا يفهم المنصوح تعريضك، فلابد من التصريح» الأخلاق والسير، ص ١٠٣. قال يحيى بن معين رحمه الله: «أخطأ عفان في نيف وعشرين حديثاً ما أعلمت بها أحدًا، وأعلمته فيما بيني وبينه، ولقد طلب إلى خلف بن سالم فقال: قل لي أي شيء هي؟، فما قلت له، وكان يحب أن يجد عليه، قال يحيى: ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته وأحببت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك وإلا تركته» تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، (١٤/ ١٨٤)، دار الكتب العلمية، بيروت. يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه في وعظه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه» شرح النووي على صحيح مسلم، (٢/ ٢٤).

المؤمن ويتتبع عيوبه ويكشف عورته عقوبة خطيرة؛ إذ إن الله يتبع عورة المتبع لأخيه المؤمن ويفضحه ولو في جوف بيته، . . . .[(١)].

وتظهر حكمة الشيخ ابن باز في عدم توجيه إنكار المنكر للوجهاء أمام العامة في الغالب، وعدم التشهير بذوي الهيئات، إذ هذا ليس من أخلاق العلماء الربانيين، فإن فعل مثل هذا يُفضى إلى نذير شر وحصول سوء، بسبب ظن السوء والتقليل من مكانتهم عند العامة، ومع ذلك لن تؤتي النصيحة ثمرتها المرجوة.

فيجب أن يُراعى أن تكون المناصحة سراً حتى لا يكون المرء عوناً للشيطان على أخيه، فإن الناصح في الملأ يعين الشيطان على أخيه، وربما دفعه ذلك إلى الانتقام لنفسه، وأيقظ في نفسه مداخل الشرور وأغلق أبواب الخير على الغير، وضعفت قابلية الانتفاع بنصيحة الناصح. فإذا كانت النصيحة سراً كانت أدعى إلى الاستجابة عند المخالف، وعندها تؤتي ثمرتها المرجوة.

❊ ❊ ❊

(١) انظر الحديث الذي رواه الترمذي في سننه، رقم الحديث (٢٥٠٦)، والطبراني، رقم الحديث (١٢٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث (٦٧٧٧) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

المطلب الخامس:

مراعاة آداب الحوار مع المخالف

يتطلب الحوار مع المخالف مراعاة المكان والزمان والكيفية، فلكل حوار ناجح، ومحاور بارع، وداعية مؤثر آداب يحسن التحلي بها في دعوة المخالف، لتؤتي الدعوة ثمرتها المرجوة منها، وهذه الآداب ترفع من شأن الداعية، وتعلي قدره، ولقد كان من أهم أسباب نجاح حوار الشيخ ابن باز مراعاته لآداب الحوار مع كافة أطياف المجتمع بـ «سجيته السمحة التي يُعامل بها حتى المخالفين»[(١)]. وأهم هذه الآداب التي تحلى بها في محاورته للمخالف ما يلي:

● الحلم والشفقة في دعوة المخالف

مما تميز به الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في دعوة المخالف الحلم والشفقة به، يظهر ذلك جلياً في رسائله التي وجهها إلى مخالفيه، حيث يظهر منها حرصه وخوفه وشفقته عليهم بسبب ما ارتكبوه من مخالفات يحادون بها الله ورسوله، أو بسبب فعلهم الذي يعرضهم لغضب الله وسخطه، أو انتهاكهم لحرمة من حرمات الله.

كذلك كان الشيخ يظهر الحلم والصبر مع مخالفيه في مناقشة بعض المسائل، يقول الشيخ عبيد الله محمد أمين كردي: «تعلمت من سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ أن أزيد ترفقاً كلما زاد محدثي حدة، لأن

(١) علماء ومفكرون عرفتهم، ص ٧٠.

حواري معه كان عن زكاة الفطر، والأصناف التي يجب إخراج الزكاة منها، فلاحظت أنه كلما زادت حدتي معه يلاطفني بدعاء الهداية للجميع مع ابتسامة لها سموها الخلقي ومعناها التربوي»[(١)]. بل يدخل عليه رجل فيختلف مع الشيخ في وجهة نظر فيسب الشيخ سباً شديداً فما رد عليه[(٢)].

● الرفق واللين مع المخالف في الغالب

يقرر الشيخ أن «الأسلوب الحكيم والطريق المستقيم في الدعوة أن يكون الداعي حكيماً في الدعوة، بصيراً بأسلوبها، لا يعجل ولا يعنف، بل يدعو بالحكمة، وهي المقال الواضح المصيب للحق من الآيات والأحاديث، وبالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن هذا هو الأسلوب الذي ينبغي لك في الدعوة إلى الله عز وجل، أما الدعوة بالجهل فهذا يضر ولا ينفع، كما يأتي بيان ذلك إن شاء الله عند ذكر أخلاق الدعاة، لأن الدعوة مع الجهل بالأدلة، قول على الله بغير علم، وهكذا الدعوة بالعنف والشدة ضررها أكثر، وإنما الواجب والمشروع هو الأخذ بما بينه الله عز وجل. . . . إلا إذا ظهر من المدعو العناد والظلم، فلا مانع من الإغلاظ عليه. . . .»[(٣)].

وكان الشيخ كثيراً ما ينصح العاملين في مجال الدعوة بالرفق واللين وحسن الكلام مع المخالف لتكون أدعى في قبول الحق، يقول الشيخ: «نصيحتي لهم أن يتثبتوا في الأمر، وأن يتعلموا أولا حتى يتيقنوا أن هذا الأمر معروف أو منكر، بالدليل الشرعي، حتى يكون إنكارهم على

---

(١) رواه الترمذي في سننه، رقم الحديث (٢٥٠٦)، والطبراني، رقم الحديث (١٢٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث (٦٧٧٧) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) ابن باز في الدلم قاضياً ومعلماً، ص ٩٤، عبد العزيز البراك، ط٣/ ١٤٢١هـ.

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

بصيرة. . . . **مع نصيحتي لهم بأن يكون الإنكار بالرفق والكلام الطيب والأسلوب الحسن، حتى يقبل منهم، وحتى يصلحوا أكثر مما يفسدون**، . . . والأحاديث في هذا الباب كثيرة صحيحة»[(١)].

وإن كان الشيخ قرر أهمية الرفق واللين في دعوة المخالف فإنه طبقها في واقع دنيا الناس، ومما يدلل على ذلك ما ذكره د. محمد سعد الشويعر: حيث قال: «كنت في إحدى السنوات في مجمع الفقه بمكة وكنت جالساً بجانبه، وجاء موضوع يتحدث عن علو الله تعالى واستوائه على عرشه كما جاء في الأسماء والصفات، وكان الشيخ يتحدث في هذا فقام شخص من إحدى الدول الإفريقية. . . متعصباً ليدخل في إثارة سماحته للحديث عن الوهابية، وأنتم الوهابية تقولون كذا وتقولون كذا حول استواء الله على عرشه. . . . عندها كان سماحة الشيخ يحاول تهدئته، والرجل يتحدث ويواصل، فكان الشيخ يقول: هداك الله يا شيخ فلان، هداك الله يا شيخ فلان. . . سبح سبح، أي: سبح الله، وهذه أشد كلمة عنده تجاهه، وعندها طلب مني سماحته أن أسجل اسم كتابين ألفهما علماء المالكية، والمالكية هي المذهب الذي ينتمي إليه ذلك الرجل، وقال سماحته: أمن من هذا الكتاب ثلاثين كتاباً، فقمنا في اليوم الثاني بتوزيعه في المجمع الفقهي، ثم قال سماحته: إن الكتاب هذا من تأليف المالكية، وقال: إن وجد في كلامهم ما يخالف كلامنا وكلام مالك فإننا نرحب بذلك، وبذلك قام بإقناع ذلك الرجل دون إثارة، وبطريقة عرفها الرجل»[(٢)].

لقد تحلى الشيخ في دعوة المخالف بالرفق واللين، فكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كما قيل عنه: «لا ينهر أحداً، ولا يقهره، مع ما يلاقيه سماحته من كزازة،

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/ ٧٥).

(٢) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ١٨٧.

وسوء أدب، وكثرة إلحاح، ومقاطعة. . . حتى إن الذي يحضر المجلس أول مرة ليعجب أشد العجب، ويظن سماحته يتكلف ما يقوم به، ولكن ذلك هو دأبه وأدبه»[(١)]. بل من العجب العجاب ما ذكره مدير مكتب بيت سماحة الإمام: «ولم أسمع منه كلمة فيها شيء من الفظاظة، أو الغلظة»[(٢)]. بل كان رحمه الله «إذا لاحظ ملحوظة على أحد من أهل العلم أبداها له بكل لطف وأدب»[(٣)]. وكان رحمه الله «يتيح للسائل والمستوضح الفرصة للتعبير عما لديه ثم يقوم الشيخ رحمه الله بالرد عليه بأسلوب أبوي عطوف، اقتداء بما كان يفعله سيدنا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام في تعامله مع من يفدون إليه مهما كانت جلافتهم وسوء تصرفاتهم، وهكذا كان الشيخ مع من يفدون إليه، ويتصلون ممن لا يخلو بعضهم من جلافة»[(٤)]. «ما أروع أساليب الشيخ في تقديمه النصيحة، وما ألطفها، وما أمضى وقعها في النفوس، لا تجريح ولا تعنيف ولا تأنيب، بل هو اللطف والعطف والرفق»[(٥)].

● الإسرار في دعوة المخالف في الغالب

إن مما سلكه الشيخ في دعوة المخالف السرية في دعوته في الغالب خاصة إن لم يكن مجاهر بما يفعل أمام الناس، أو فعل الذي فعله بجهل أو بدون قصد، كما قررنا قبل ذلك في المطلب السابق، والسبب أنها أدعى إلى قبول الحق والإذعان إليه، وأوقع في النفس، يقول الدكتور عبدالحليم

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٦٧.
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٥.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٢.
(٤) مواقف مضيئة من حياة الإمام عبد العزيز بن باز، ص ١٦.
(٥) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ١١٦ - ١١٧.

عويس: «زرته يوماً مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة فاستقبله أيضاً أحسن استقبال وأكرمه غاية الكرم، وتكلم في بعض الأمور بطريقة عامة كريمة جعلت الشيخ الغزالي يقول للشيخ ابن باز بود وحب: اكتب ما تشاء في ضوء النصوص الشرعية وأنا مستعد للعدول عن أي رأي كنت قد رأيته أو اجتهدت فيه»(١).

وقد قرر الشيخ أن منهج السلف ليس التشهير بالأشخاص وإنما الهدف زوال المنكر، يقول الشيخ: «فالنصح يكون بالأسلوب الحسن والكتابة المفيدة والمشافهة المفيدة، وليس من النصح التشهير بعيوب الناس، ولا بانتقاد الدولة على المنابر ونحوها، لكن النصح أن تسعى بكل ما يزيل الشر ويثبت الخير بالطرق الحكيمة وبالوسائل التي يرضاها الله عَزَّوَجَلَّ، ونحن في نعمة عظيمة نعمة الإسلام، ونعمة الأمن، ونعمة الصحة والعافية، ثم النعمة الكبرى التي من الله بها علينا في حادثة الخليج بعد عدوان عدو الله صدام وجنده واجتياحه لبلد الكويت، ثم يسر الله للدولة أن قامت بدورها في هذا الأمر وقامت بجهود عظيمة لرفع هذا الظلم واستعانت بالله العظيم ثم بالجنسيات المتعددة، التي ساعدت في رفع هذا الظلم»(٢). ويقول أيضاً: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير. أما إنكار المنكر بدون ذكر الفاعل: فينكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله، فذلك واجب؛ لعموم

(١) مواقف مضيئة من حياة الإمام عبد العزيز بن باز، ص ١٦.
(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٧/ ٣٠٦).

الأدلة. ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر من فعلها لا حاكماً ولا غير حاكم. ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه قال بعض الناس لأسامة بن زيد رضي الله عنه: ألا تكلم عثمان؟ فقال: إنكم ترون أني لا أكلمه، إلا أسمعكم؟ إني أكلمه فيما بيني وبينه دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من افتتحه. ولما فتح الخوارج الجهال باب الشر في زمان عثمان رضي الله عنه وأنكروا على عثمان علنا عظمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان وعلي رضي الله عنهما بأسباب ذلك، وقتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علنا، حتى أبغض الكثيرون من الناس ولي أمرهم وقتلوه»[(١)].

أما إذا أعلن المخالف وجاهر بمعصيته بين الناس بعناد، أو نشر منكره أو معصيته على الملأ فقد كان الشيخ يسلك مسلكاً آخر، وهو دعوته والإنكار عليه علنا، ومن أمثلة ذلك حينما نفخ الشيطان في خلد أحد الحكام، فأعلن ترهات وشبهات خبيثة في مقصدها، ضالة في منطلقها وتوجهاتها، دائرة في مجمل أمرها على الطعن في كتاب الله وعلى رسوله الكريم، بأمور تقيأها في مؤتمر عقده في بلاده باسم مؤتمر المعلمين وكان ذلك عام ١٣٩٤هـ. فسارعت الجامعة الإسلامية ممثلة بمجلسها الاستشاري إلى إنكار ذلك، حملت توقيع الأعضاء ومن ضمنهم سماحته، لكن سماحته لم يكتف بذلك، فخلا إلى كاتبه يملي عليه مقالاً في تفنيد تلك الأباطيل، وفضح مزاعم الطاغية، التي تنم عن منتهى الجهل بالإسلام ولغة العرب. وقد نشرت الصحف والمجلات ذلك البيان الذي كان قطعة رائعة بارعة من فقه الشيخ وأدبه وغيرته اللاهبة على دين الله»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٨/ ٢١٠ - ٢١١).

(٢) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ٢٥٦ - ٢٧٥.

وأيضاً تلك الرسالة التي رد فيها الشيخ على إحدى المقالات التي دعا فيها صاحبها لحلق اللحى في إحدى الجرائد[(١)]، جاء فيها: «من عبدالعزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم رئيس تحرير جريدة عكاظ حفظه الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فقد نشر في العدد الصادر بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٣٩٣ هـ من جريدتكم في صفحة: (مجتمعنا) كلمة قصيرة بعنوان: (الإهمال تدمير للحياة الزوجية) وقد جاء فيها: (وبالمثل قد يصيب الإهمال الرجل الزوج فلا يحلق ذقنه يوم العطلة فيبدو رثاً مهلهلاً مكتئباً) وبما أن هذا قول منكر، ودعوة إلى مخالفة السنة النبوية تنشر علنا في صحيفتكم رأيت أن من الواجب الكتابة لكم نصحاً لكم وللمسلمين، وحذراً من العقوبة. ومعلوم لكل عاقل ذي بصيرة أن خير القرون قرن الرسول ﷺ، ولم يكن في ذلك القرن من يحلق ذقنه من الصحابة الكرام رضي الله عنهم اقتداء برسول الله ﷺ وامتثالاً لأمره. . . . وحذراً من الوقوع في مخالفته ﷺ ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولكنه التقليد الأعمى لأعداء الله والزهد في تعاليم الشريعة السمحة جعل الكثير من الناس يقع في استبدال الذي هو شر بالذي هو خير، ولم يقتصر ذلك على وقوعه في المحذور بمفرده بل تعدى ذلك إلى نشر الدعوة إليه كما جاء في جريدتكم، . . . فالواجب عليكم الحذر من نشر كل ما لا تقره الشريعة، والحرص على نشر هديها وتعاليمها، وأن تكون جريدتكم مفتاح هدى ودليل رشد، ولم أعلم بما ذكر إلا في ٥/ ١/ ١٣٩٤هـ ولهذا تأخر التنبيه. وفقنا الله وإياكم لما يرضيه وهدانا جميعاً صراطه المستقيم وأعاذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة»[(٢)].

---

(١) صدر الخطاب في ٧/ ١/ ١٣٩٤ برقم ٥٣٢/ ١/ ١.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٣٧٤ - ٣٧٥).

● إحسان الظن بالمخالف إن كان من أهل العلم والفضل

فقد تحلى الشيخ بهذا الأدب في دعوة المخالف إن كان من أهل العلم والفضل، فكان يأخذ الناس على ظواهرهم، وكان رحمه الله لا يتتبع عورات الناس وعثرات وزلات المخالفين، فكان هذا دأبه، وهو واضح من خلال تتبع سيرته ومعاملته للآخرين، وحواراته ورسائله لهم. يقول الشيخ في بعض المسائل التي خالفه فيها بعض طلبة العلم: «لا شك أنه وقع بعض الاختلاف في بعض المسائل من بعض المحاضرين وبعض الخطباء وفي بعض الندوات **عن حسن ظن أو عن جهل من بعض إخواننا**، والواجب على الجميع الرجوع إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ، كما أن الواجب على الخطيب وعلى المحاضر في الندوات أن يتثبت في الأمور، وألا يتعجل حتى يطمئن أنه على الحق والهدى بالأدلة الشرعية، فلا ينبغي أن يعجل في فتوى أو إصدار أحكام على غير بصيرة»[(١)].

وكذلك اجتهاد الشيخ في تعليقاته على فتح الباري لابن حجر كان يحمل معه حسن الظن بالحافظ رغبة في انتفاع الناس منه، فكان يظهر الأخطاء ويصوبها، مع بيانه أن هذا عمل البشر الذي لا يخلو من الخطأ والزلل[(٢)]. فقد كان الشيخ يحسن الظن بالمخالفين، ومما يدل على ذلك ما قاله أحد الباحثين: «إن اجتهاد الشيخ رحمه الله في عمله في كتاب الفتح، ورغبته بانتفاع الناس منه، إنما يحمل معه حسن الظن بالحافظ ابن حجر رحمه الله، وإن كان في الكتاب بعض الأخطاء التي حرص الشيخ على تصويبها، فهذا عمل البشر لا يخلو من الخطأ والزلل»[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ١٧٧ - ١٧٨).

(٢) انظر: منهج الإمام ابن باز في الدعوة إلى الله، ص ٥٣٣.

(٣) تعليقات الشيخ ابن باز على ابن حجر في فتح الباري في مسائل العقيدة ومنهجه فيها، سليمان العيد، ص ٣٦.

لقد كان الأصل عند الشيخ حسن الظن بالمخالف من المسلمين، «فالأصل عنده حسن الظن، ولا يحب التشكيك في أحد من المسلمين أو تخوينه، أو الكلام فيه بما لا يرضي حتى ولو بلغه أنه أخطأ عليه شخصياً أو نال منه، بل ذلك أدعى لجعله لا يهتم للأمر أصلا»[(١)].

لقد كان منهج الشيخ «أخذ كلام القائل على الظاهر، وحمله على أجمل المحامل، والتماس العذر للبعض أحيانا»[(٢)]، ومن أمثلة ذلك ما جاء في بعض ردوده على بعض المخالفين حيث قال: «**قد يكون هذا الاقتراح من الكاتب عن حسن نية ومقصد صالح**، ولكن الآراء والاستحسانات لا ينبغي للمؤمن الاعتماد عليها حتى يعرضها على الميزان العادل الذي يميز طيبها من خبيثها ألا وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولعل الكاتب حين كتب هذه الكلمة من أولها إلى آخرها لم يكن عنده علم بما جاءت به السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ حول القبور فلذلك وقعت منه الأخطاء السالفة، ووقع منه هذا الخطأ الأخير وهو: اقتراحه على إدارة الأوقاف ما تقدم ذكره...»[(٣)].

● عدم اليأس من دعوة المخالف

فقد تحلى الشيخ بهذا الخلق الكريم، وقد ضرب أروع الأمثلة في ذلك فكان يكرر دعوته مرات عديدة، مع اختيار الوسيلة والأسلوب وتخير الأوقات المناسبة، يقرر الشيخ هذا قولاً ويلتزم به في دعوته، يقول الشيخ رحمه الله: «يقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ

(١) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ١١٤.

(٢) الدرر البازية في الرد على الإنحرافات العقدية والشرعية، أبو العلاء بن راشد الراشد، ص٤٦.

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ٣٩٨).

الْإِيمَانِ»[(١)] وهذا عام لجميع المنكرات سواء كانت في الطريق، أو في البيت أو في المسجد أو في الطائرة أو في القطار أو في السيارة أو في أي مكان، وهو يعم الرجال والنساء جميعاً، المرأة تتكلم والرجل يتكلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن في هذا صلاح الجميع ونجاة الجميع. ولا يجوز السكوت عن ذلك من أجل خاطر الزوج أو خاطر الأخ أو خاطر فلان وفلان، لكن يكون بالأسلوب الحسن والكلمات الطيبة، لا بالعنف والشدة، ومع ملاحظة الأوقات المناسبة، فقد يكون بعض الناس في وقت لا يقبل التوجيه ولكنه في وقت آخر يكون متهيئاً للقبول، **فالمؤمن والمؤمنة يلاحظان للإنكار والأمر بالمعروف الأوقات المناسبة ولا ييأس إذا لم يقبل منه اليوم أن يقبل منه غداً، فالمؤمن لا ييأس، والمؤمنة لا تيأس، بل يستمران في إنكار المنكر، وفي الأمر بالمعروف وفي النصيحة لله ولعباده مع حسن الظن بالله والرغبة فيما عند الله** عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

يقول أحد تلاميذه عن أستاذه وشيخه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما حكام المسلمين **فكثيراً ما يكاتبهم ويناصحهم**»[(٣)]. وفي هذا دليل على عدم يأس الشيخ من مدعويه المخالفين له. فلم يكن الشيخ عجولاً متبرماً غضوباً، وإنما كان هدفه هداية الناس وتأدية المهمة والأمانة التي أخذها الله على العلماء، فلم ييأس فربما تؤدي دعوته أثرها ولو بعد حين، فيعود المخالف إلى الحق يوماً.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، مقدمة الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم الحديث (٤٩)

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٤/ ٥١).

(٣) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد/ د. محمد الحمد، ص ٢٧٦.

● عدم التجريح أو الغمز واللمز أو احتقار المخالف

لقد كان من الآداب التي سلكها الشيخ في دعوة المخالف احترامه وعدم تجريحه، ونستطيع أن نقول «حسب ما اطلعنا عليه من كتابات وأقوال في ردوده على المخطئين ومخاطبة للمخالفين لا نرمق فيها كلمة تحامل أو تجريح، أو لمز بعيب، أو ذم بريبة، أو رمي ببدعة، أو عبارة تهجم أو تشف حتى من الذين أخطأوا في حقه، أو سخروا منه، أو كذبوا عليه، فحينما سخر منه أحدهم لكون سماحته استمع إلى جني متلبس بامرأة، وأن هذا الجني أسلم في مجلسه، ذكر هذا الساخر باسمه ولقبه العلمي المعروف فقال: «وقد بلغني عن فضيلة الشيخ. . . .أنه أنكر حدوث هذا الأمر، وكلما أورد اسمه قدم له بفضيلة الشيخ، وفي أثناء الرد عليه كان لا يكف عن الدعاء له بالهداية والتوفيق»[(١)].

وفي إحدى ردوده على ما افترتها إحدى الإذاعات الغربية لا يعدو أن يكون رد الشيخ للبيان والتوضيح مبتعداً عن التجريح، حيث قال: «إن ما ذكرته هيئة الإذاعة البريطانية في إذاعتها الصباحية في لندن منذ أيام عني أني أقول بأن الاحتفال بالموالد كفر كذب لا أساس له من الصحة، وكل من يطلع على مقالي يعرف ذلك، وإني لآسف كثيراً لإذاعة عالمية يحترمها الكثير من الناس ثم تقدم هي أو مراسلوها على الكذب الصريح، وهذا بلا شك يوجب على القراء التثبت في كل ما تنقله هذه الإذاعة خشية أن يكون كذباً كما جرى في هذا الموضوع»[(٢)].

---

(١) الدرر البازية في الرد على الإنحرافات العقدية والشرعية، ص ٤٦ – ٤٧، أبو العلاء بن راشد الراشد، مكتبة الرشد، ط١/ ١٤٣١هـ.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٢/ ٣٨٠).

● عدم التعالي على المخالف

فعلى الرغم من مكانة الشيخ العالية، ومنزلتة الاجتماعية الرفيعة فإنك لا تشعر من كتاباته أو رسائله أو فتاويه أو ردوده على المخالفين أي لفظ يفهم منه تعاليه على من يخالفه، بل المتأمل في كل ردوده على المخالفين نجده يصدر كلامه بقوله: «الأخ، الأستاذ، فضيلة الشيخ، فضيلة الدكتور، . . . .»[(١)].

● وضوح الهدف وسلامة القصد

فقد سلك الشيخ في دعوة المخالف سلامة القصد مع وضوح الهدف، يقول الشيخ: «وإن أهم الأمور التي يجب التنبيه عليها دائماً هو إخلاص العبادة لله وحده، وأن يحاسب العبد نفسه حتى تكون أعماله وأقواله لله وحده في جميع تصرفاته في صلاته وفي صومه ودعوته إلى الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر إلى غير ذلك فيخلص لله في جميع أعماله، وأن يكون هدفه طاعة الله ورسوله وإرضاءه سبحانه، والفوز بكرامته، وأداء الحق الذي على العبد»[(٢)].

وينصح الشيخ الدعاة أن يكون قصدهم في دعوة المخالفين وجه الله والدار الآخرة، يقرر ذلك في قوله رحمه الله: «ومما يلزم الداعي إلى الله عز وجل الإخلاص لله، وأن يحذر الرياء، وأن يكون في دعوته يقصد وجه الله والدار الآخرة لا رياء الناس ولا مدحهم أو قصد عرض في الدنيا، فالمؤمن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة»[(٣)]. «الواجب على الداعي وعلى العالم أن يتحرى الألفاظ المناسبة، وأن يرفق في أمره كله، **وأن يحرص على**

---

(١) انظر على سبيل المثال: المرجع السابق، (١/ ٣٩١)، (٢/ ١٠٤).

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٧/ ٢٦٨).

(٣) المرجع السابق، (٧/ ٣٢٢).

الإخلاص لله بأن يكون هدفه إيصال دعوة الله إلى عباد الله، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه، لا لرياء ولا سمعة، ولا عن فخر وخيلاء، ولكن يريد وجه الله والدار الآخرة، ثم يريد بعد ذلك نفع الناس، وإصلاح أوضاعهم، وتقريبهم من الخير وإبعادهم عن الشر، وجمع كلمتهم على الحق، هذا هو المقصود من الداعي والعالم، وهو مقصود الرسل عليهم الصلاة والسلام»[(١)].

«لقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ باحثاً عن الأجر، مجتهداً في البذل، طامعاً في الثواب، مؤملاً في الوهاب، كان تعامله وتعاونه مع ولاة الأمر يطمع في كسب قلوبهم، وتثمير جهودهم، وفي الفوز بالأجر حينما يكون دليلاً لهم على خير، آمراً لهم بمعروف، ناهياً لهم عن منكر، يعرف مقدار الخير الذي يجريه الله على يدي الملك والأمير والوزير إذا أصلح الله قلبه، وبارك في عمله، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[(٢)].

لقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مبتغاه هداية المخالف وزوال المخالفة الشرعية التي قام بارتكابها المخالف، ومعرفة الحق والرجوع إليه واتباع سبيل المؤمنين، يقرر الشيخ هذا الأمر في أكثر من لقاء، ومما يدل على ذلك قوله: «فرحم الله هذه الأمة وجعل توبتهم الندم والإقلاع والعزيمة على عدم العودة إلى السيئة مع رد المظالم إلى أهلها، هذا من إحسان الله ورحمته جل وعلا لهذه الأمة، وهذا من محاسن هذه الشريعة أن جعلت لك أيها الإنسان فرجاً ومخرجاً من ذنوبك وسيئاتك بالتوبة النصوح والاستغفار والرجوع إليه عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)]. ويقول أيضاً: «فالواجب على الجميع التوبة إلى الله والرجوع

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٨/ ٤٩ - ٥٠).
(٢) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ٧٥ - ٧٦.
(٣) المرجع السابق، (٢/ ٢٤٤).

إليه والاستقامة على دينه والندم على ما مضى من السيئات والمخالفات والعدوان. هذا هو الواجب على جميع الدول الإسلامية والعربية وعلى جميع المسلمين، وعلى الجميع أن يتقوا الله وأن يعظموا شرعه، وأن يتوبوا إليه من تقصيرهم وذنوبهم، وأن يعلموا أن ما أصابهم فهو بسبب ذنوبهم وسيئاتهم، فالتوبة إلى الله فيها الخير العظيم والسعادة في الدنيا والآخرة، والله جل وعلا قد يملي للظالم ولا يأخذه بسرعة، بل يملي ولا يغفل سبحانه وتعالى، . . . .»[(١)]. ويقول: «فلما غير الناس غير الله عليهم وأخذ العدو بعض ما في أيديهم، ومتى رجعوا إلى ربهم وأنابوا إليه واعتصموا بدينه رجعوا إلى دينهم واستقاموا عليه - رد الله لهم ما كان شارداً وأصلح لهم ما كان فاسداً ونصرهم على عدوهم ورد عليهم ملكهم السليب ومجدهم الغابر. فالواجب على الحكام والأمراء والعلماء والأغنياء والفقراء الإنابة إلى الله والرجوع إليه والتمسك بالأخلاق التي أوصى الله بها عباده، والحذر الحذر من الأخلاق التي نهى الله عنها، فمتى استقام الجميع وتعاونوا على البر والتقوى وتواصوا بهذه الأخلاق في جميع الأحوال في الشدة والرخاء في السفر والإقامة أيدهم الله ونصرهم على أعدائهم وأعطاهم الملك العظيم ورد إليهم ما سلب منهم وأصلح لهم ما فسد وهابهم أعداؤهم وخضعوا لهم وأدوا لهم الجزية والخراج خوفاً من قهرهم لهم أو دخلوا في الإسلام كما جرى لسلفنا الصالح. فوصيتي لكل من قرأ هذه الكلمة أو سمعها، ولكل من تبلغه أن يتقي الله وأن يراقبه سبحانه أينما كان، وأن يتمسك بالأخلاق التي أمر الله بها وأثنى على أهلها في القرآن العظيم أو أقرها أو أثنى عليها رسول الله ﷺ في السنة المطهرة، فيشرع للمسلم أن يلزمها وأن يستقيم عليها وأن يوصي بها إخوانه وأن ينصحهم بها أينما كانوا، وأن يحذر

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١/ ١٤٤).

الأخلاق التي ذمها الله وعابها، أو ذمها رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ليحذرها ولينهى عنها وليوصي إخوانه بتركها»[(١)].

ويقول في أحد ردوده في دعوة أحد المخالفين له: «فعلم أن التوبة الخالية من البيان لا تكفي، بل لا بد من بيان الحق للناس حتى يخرج بذلك من عهدة الكتمان. ولا شك أن من قال هذا القول المنكر لو تأمل المقام حين قال ما قال لم يقدم على هذه المقالة الشنيعة؛ لأن أهل العلم الراغبين في بيان الحق للناس لا يخفى عليهم أمرها لو تأملوا. فالواجب على كل من قال هذا المقال الرجوع عن الخطأ وإظهار الحق كما هو سبيل أهل العلم، وليس في بيان الحق والرجوع إليه نقص ولا غضاضة على طالب العلم، بل ذلك دليل على فضله وإنصافه وإيثاره الحق على ما سواه»[(٢)].

● قبول الحق من مخالفيه والرجوع عن قوله إذا رأى وجاهة نظره وقوة أدلته

مما تميز به شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في دعوة المخالف قبول الحق منه والرجوع عن قوله إذا رأى وجاهة نظره وقوة أدلته. يقول أحد تلاميذه: «فلربما رد عليه أحد من الناس، أو ناقشه في مسألة ما فلا تراه يغضب لذلك بل يستمع لمن يرد عليه بكل هدوء وارتياح، **وربما رجع عن قوله إذا رأى وجاهة الرد، وربما قال: نتهم رأينا، نراجع الموضوع، أو المسألة مرة أخرى**، وربما ناقشه بعض الناس بصلف وجهل وغرور، وسماحته لا تفارقه سكينته، بل يتلطف بمن يناقشه، ويأخذه بالتي هي أرفق»[(٣)].

لقد كان الشيخ كما أخبر المقربون منه بأنه: «يحب الحوار الهادئ، ولا

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٧/ ١٧٢ - ١٧٣).

(٢) المرجع السابق، (٢٥/ ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٣) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٢١٧.

يغضب من الجدل الحق، ويرحب بالأقوال ولا يعتمد تخطئة أحد بل ينحى منحى شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يقسم الخلاف إلى قسمين: خلاف التضاد وخلاف التنوع، فأما خلاف التنوع فهو من المسائل التي فيها سعة؛ لأنه خلاف فرعي، وقد اختلف الإئمة، ولقد ارتضى لنفسه رحمه الله منهج التحقيق، واتباع الدليل الصحيح، وإن خالف المذهب الحنبلي الذي تتلمذ عليه، وهو مع هذا واسع الأفق، رحب الصدر للخلاف المبني على اجتهاد سائغ، يرد على مخالفيه، ولا يجرحهم ولا يغلظ عليهم»[(١)].

لقد كان الشيخ رحمه الله يقبل الحق من مخالفيه إذا ظهر الحق معه، وهذا دليل إيمانه وصدقه، وعلو شأنه، فإن النفس في الغالب تتطلع إلى حب الانتصار، ورغبة العلو، وشهوة الشهرة والمديح، وتمني التشفي والانتقام، وظهور الشماتة، فقبول الحق والسرور به كان من شيمة أخلاقه رحمه الله.

وكان هذا هو منهج سلف الأمة حتى وصل الأمر بالشافعي رحمه الله إلى قوله: «وَاللَّهِ مَا نَاظَرْتُ أَحَداً فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ»[(٢)]، وعن مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ رحمه الله قال: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: «مَا نَاظَرْتُ أَحَداً فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ، وَلْيَرْغَبْ إِلَى اللَّهِ فِي تَوْفِيقِهِ لِطَلَبِ الْحَقِّ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[(٣)] وَيَسْتَشْعِرُ فِي مَجْلِسِهِ الْوَقَارَ، وَيَسْتَعْمِلُ الْهُدَى، وَحُسْنَ السَّمْتِ وَطُولَ الصَّمْتِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْكَلَامِ»[(٤)]، وأبلغ من هذا أنه قال: «ما ناظرني أحد فما باليت

(١) منهج الشيخ عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله، ص ٣١٥.

(٢) الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (٢/ ٥٠)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢/ ١٤٢١هـ.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٤) الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (٢/ ٥٠).

أظهرت الحجة على لسانه أو على لساني»[(١)]. «وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه. ومن كانت هذه حاله فإنه لا يكره أن يُردَّ عليه قولُه ويتبين له مخالفته للسنة، لا في حياته ولا في مماته. وهذا هو الظن بغيره من أئمة الإسلام، الذابين عنه القائمين بنَصْرِه من السلف والخلف ولم يكونوا يكرهون مخالفة من خالفهم أيضاً بدليل عَرَضَ له ولو لم يكن ذلك الدليل قوياً عندهم بحيث يتمسكون به ويتركون دليلهم له»[(٢)]. ورحم الله أبو حامد الغزالي حين قال: «فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجهد في مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره»[(٣)] [(٤)].

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، ص ١٠، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، عمان، ط٢/ ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

(٢) الفرق بين النصيحة والتعيير، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، ص ١٠.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (١/ ٥٠)، دار المعرفة، بيروت.

(٤) وكان الشيخ يحث طلاب العلم على عدم التسرع في الفتوى والتعصب للرأي وحذرهم من الفتوى بغير علم والجرأة على ذلك، وحثهم على معرفة الحكم مع فهم الدليل، وعن الرجوع إلى الحق إذا ظهر له ذلك. وفي هذا الصدد يقول الشيخ: «لا تفتي إلا على بصيرة، وأرشدهم إلى غيرك ممن تظن في البلد أنه خير منك وأعلم بالحق، وإلا فقل: أمهلوني حتى أراجع الأدلة وأنظر في المسألة، فإذا اطمأننت إلى الصواب بالأدلة، فأفتهم بما ظهر لك من الحق. وأوصي المدرسين لأجل هذا السؤال وغيره: أن يعنوا بتوجيه الطلبة إلى هذا الأمر العظيم، وأن يحثوهم على التثبت في الأمور، وعدم العجلة في الفتوى والجزم في المسائل إلا على بصيرة، وأن يكونوا قدوة لهم في ذلك بالتوقف عما يشكل والوعد بالنظر فيه بعد يوم أو يومين، أو في الدرس الآتي، حتى يتعود الطالب ذلك من الأستاذ بعدم العجلة في الفتوى والحكم، إلا بعد التثبت والوقوف على الدليل، والطمأنينة إلى أن الحق ما يقوله الأستاذ، ولا حرج أن يؤجل إلى وقت آخر، حتى يراجع الدليل، وحتى يراجع كلام أهل العلم في ذلك. فقد أفتى مالك =

وتظهر حكمة الشيخ في تحليه بآداب الحوار والأخلاق الإسلامية لأنها أدعى لقبول الحق والعمل به والانصات إليه، فمن أهم نجاح الداعية في دعوة المخالف تحليه بالأخلاق الحسنة والتي أهمها: لين القول، وبسطة الوجه، وسعة الصدر، والتواضع وحسن الاستماع، والإحسان للغير، وحسن الإنصات له.

وقد كان الشيخ رحمه الله في دعوة المخالف متحلياً بالصبر، رفيقاً في القول، حليماً بالجاهل، يعفو عمن ظلمه، ويحلم على من جهل عليه، ويعرض عمن أساء إليه، لذلك كان لدعوته الأثر العظيم.

وقد كان متواضعاً لمن يقبل عليه، ولم يكن يستخف بالمخالف ولايتعالى عليه، كأن يشعرهم بأنه فوقه، أو أنه أفضل منه، فقد كان يعلم رحمه الله «أن طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً، هكذا جبلت طبائع الناس، فإنهم ينفرون من المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، فلا يصل إليها من قوله شيء بل قد يكون ذلك سبباً إلى كرههم الحق منه ومن غيره، وكذلك من طبائع الناس أنهم لا يحبون من يكثر الحديث عن نفسه ويكثر الثناء عليها»[(١)].

= في مسائل قليلة، ورد مسائل كثيرة، قال فيها: لا أدري. وهكذا غيره من أهل العلم. فطالب العلم من مناقبه أن لا يعجل، وأن يقول: لا أدري فيما يجهل. والمدرسون عليهم واجب عظيم، بأن يكونوا قدوة صالحة، في أخلاقهم وأعمالهم للطلبة، ومن الأخلاق الكريمة أن يعود الطالب كلمة لا أدري، وتأجيل المسائل. حتى يفهم دليلها وحتى يعرف حكمها. مع التحذير من الفتوى بغير علم، والجرأة عليها. والله ولي التوفيق» مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (٧/ ٢٤٢).

(١) أصول الدعوة، د/ عبدالكريم زيدان، ص ٣٦٣ باختصار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/ ١٤١٤هـ.

فينبغي للداعية ألا يحتقر المخالفين، ولا يقلل من شأنهم، ولا يتعالى عليهم، وليكن لين الجانب مقبلاً عليهم، متواضعاً مؤنساً مستأنساً، فإن ذلك أدعى لقبول دعوته. وكلما تواضع العبد لله رفعه الله، وكلما تكبر وضعه وقصمه، وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

وقد كان يقبل على محاوره المخالف له فيصغي إليه بأذنيه، وحضور قلبه، وإشراق وجه، وأنسه بمجلسه، وإعطائه فرصة للكلام، وهذه من أعظم آداب الحوار وأثمرها، فهي آداب راقية وعوامل من عوامل نجاح الدعوة، وأجداها نفعاً.

وقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في دعوته للمخالفين يغلب جانب اللين على الشدة، والعفو على الإساءة، وطول النفس على التسرع، وملاطفة من يرجى إتباعه للحق على التغليظ عليه. فكان يحرص على بناء جسر من التواصل والتودد للمخالفين حتى تجد دعوته طريقاً إلى آذانهم وقلوبهم، ويقبلوا على دعوته إقبالا حسناً، وتقبل توجيهاته دون إعراض أو نفور.

وكان الشيخ يعلم أن التودد في دعوة المخالفين بأساليب شتى منهج الأنبياء والدعاة، فنوح عليه السلام يتودد لقومه المخالفين له بقوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾(٢)، وخاطب مؤمن آل فرعون قومه المخالفين له بقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ إلى

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث (٢٠٠١).

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٠٦ - ١١٠.

أن قال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[١].

وكان الشيخ يضع نصب عينيه قول رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ»[٢]. ورحم الله ابن السماك لما حضرته الوفاة قال: «اللهم إنك تعلم أني لم أجلس مجلساً للناس إلا لأحببك إلى خلقك وأحبب خلقك إليك»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) سورة غافر، الآية: ٣٠ - ٤٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده، رقم الحديث (٩١٩٨). مؤسسة الرسالة بيروت، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجال أحمد رجال الصحيح، وإسناده جيد. مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٣ - ٢٧٤).

(٣) تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، (٥/ ٣٧٢)، دار الكتب العلمية، بيروت.

المطلب السادس:

التأني في إطلاق الأحكام والتثبت والتحقيق قبل الحكم والبيان على المخالف

كان من منهج الشيخ رحمه الله التأني في إطلاق الأحكام على المخالفين له، وكذلك كان يراعي المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار، فلم يكن رحمه الله كما ذكر عنه: «يصدر كلاماً إلا بعد أن يتحرى ويتروى فيه، وينظر نظرة اعتبار وتقدير في آرائه وفتاويه، ويجعل ميزان الترجيح داخلاً في أمور مهمة، من المصلحة والضرورة والزمان والمكان والحال، ودرء المفاسد، بل إنه يميز بين أقل الخيرين وأكثر الشرين كدفع أعلاهما ضرراً، وبين خير الخيرين وشر الشرين، لذلك غلب صوابه على خطأه»(١).

يقول الشيخ رحمه الله: «والواجب على الجميع الرجوع إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ، كما أن الواجب على الخطيب وعلى المحاضر في الندوات أن يتثبت في الأمور، **وألا يتعجل حتى يطمئن أنه على الحق والهدى بالأدلة الشرعية، فلا ينبغي أن يعجل في فتوى أو إصدار أحكام على غير بصيرة.** وعلى كل طالب علم، وعلى كل من يشارك في الندوات، أو يلقي المحاضرات، أو يقوم بخطب الجمعة، أو غيرها **أن يتثبت في الأمور وألا يحكم على أي شيء بأنه حرام أو واجب أو مستحب أو مباح أو مكروه إلا على بصيرة** حتى لا يضل الناس بسببه»(٢).

---

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٢١٧.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ١٧٨).

ومما يدل على تأني الشيخ في إطلاق الأحكام لما سأل عن مقولة قالها الشيخ حسن البنا رحمه الله، فبين المحمل الحسن للكلمة، والمحمل السيء لها، ولم يعمم في الحكم، فكان رد الشيخ على هذه المقولة: «نقل في المقال المذكور عن الشيخ حسن البنا رحمه الله ما نصه: (نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه). والجواب أن يقال: نعم يجب أن نتعاون فيما اتفقنا عليه من نصر الحق والدعوة إليه والتحذير مما نهى الله عنه ورسوله، أما عذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه بل هو محل تفصيل، فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى دليلها فالواجب عدم الإنكار فيها من بعضنا على بعض، أما ما خالف النص من الكتاب والسنة فالواجب الإنكار على من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن عملا . . . . والآيات والأحاديث في هذا كثيرة»[(١)]. فكان الشيخ رحمه الله يتأنى في إطلاق الحكم على مخالفيه، فيبين ما أخطؤا فيه بالدليل، ويظهر ما وفقوا فيه، ولم يعمم الشيخ في حكمه على أخطائهم، وهذا يدل على تأنيه في إطلاقه الأحكام على مخالفيه.

ومن النماذج التي تدلل على ذلك أنه رحمه الله اطلع على بحث يحلل فيه صاحبه المعاملات الربوية المصرفية، ويقول في مطلعه: «يمكن القول أنه لن تكون هناك قوة إسلامية بدون قوة اقتصادية، ولن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك، ولن تكون هناك بنوك بلا فوائد». فكان جواب الشيخ: «**يمكن تسليم المقدمة الأولى**؛ لأن المسلمين في كل مكان يجب عليهم أن يعنوا باقتصادهم الإسلامي بالطرق التي شرعها الله سبحانه؛ حتى يتمكنوا من أداء ما أوجب الله عليهم، وترك ما حرم الله عليهم، وحتى يتمكنوا بذلك من الإعداد لعدوهم وأخذ الحذر من مكائده. . . . . **وأما المقدمتان الثانية**

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٥٨ – ٥٩).

والثالثة وهما قوله: «ولن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك، ولن تكون هناك بنوك بلا فوائد» فهما مقدمتان باطلتان والأدلة الشرعية التي قدمنا بعضها وما درج عليه المسلمون من عهد نبيهم ﷺ إلى أن أنشأت البنوك، كل ذلك يدل على بطلان هاتين المقدمتين، فقد استقام اقتصاد المسلمين طيلة القرون الماضية وهي أكثر من ثلاثة عشر قرنا بدون وجود بنوك، وبدون فوائد ربوية، وقد نمت ثرواتهم واستقامت معاملاتهم وحصلوا على الأرباح الكثيرة والأموال الجزيلة بواسطة المعاملات الشرعية، وقد نصر الله المسلمين في عصرهم الأول على أعدائهم، وسادوا غالب المعمورة، وحكموا شرع الله في عباده، وليس هناك بنوك ولا فوائد ربوية، بل الصواب عكس ما ذكره الكاتب إبراهيم وهو أن وجود البنوك والفوائد الربوية صار سبباً لتفرق المسلمين وانهيار اقتصادهم، وظهور الشحناء بينهم وتفرق كلمتهم إلا من رحمه الله؛ وما ذاك إلا لأن المعاملات الربوية تسبب الشحناء والعداوة وتسبب المحق ونزع البركة وحلول العقوبات»[(١)].

وفي رد الشيخ ابن باز على الصابوني في عدة مسائل تتعلق بالعقيدة يظهر منها عدم إطلاقه الأحكام على مخالفيه، حيث يتحرى معهم العدل ولا يعمم في الحكم عليهم، يقول الشيخ رحمه الله في إحدى ردوده: «ذكر الصابوني في مقاله الثاني أن أهل السنة اشتهروا بمذهبين اثنين أحدهما مذهب السلف والآخر مذهب الخلف... إلخ. والجواب أن يقال: هذا غلط بين لم يسبقه إليه أحد فيما أعلم فإن مذهب أهل السنة واحد فقط وهو ما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان وهو إثبات أسماء الله وصفاته وإمرارها كما جاءت، والإيمان بأنها حق وأن الله سبحانه موصوف بها على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١٩/ ١٦ - ٢٠).

تمثيل ولا تأويل لها عن ظاهرها ولا تفويض، بل يؤمنون بأن معانيها معلومة وأنها حقا لائقة بالله سبحانه وتعالى لا يشابه خلقه في شيء منها، ومذهب الخلف بخلاف ذلك كما يعلم ذلك من قرأ كلام هؤلاء وكلام هؤلاء. ثم ذكر أن أهل السنة يفوضون علم معاني الصفات إلى الله وكرر ذلك في غير موضع وقد أخطأ في ذلك ونسب إليهم ما هم براء منه كما تقدم بيان ذلك فيما نقلناه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن جمع من أهل السنة - رحمة الله عليهم - وإنما يفوض أهل السنة إلى الله سبحانه علم الكيفية لا علم المعاني كما سبق إيضاح ذلك.

أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه: ثم ذكر الصابوني - هداه الله - تنزيه الله سبحانه عن الجسم والحدقة والصماخ واللسان والحنجرة، وهذا ليس بمذهب أهل السنة بل هو من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم، فإن أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ ولا يثبتون له إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ولم يرد في النصوص نفي هذه الأمور ولا إثباتها فالواجب الكف عنها وعدم التعرض لها لا بنفي ولا إثبات، ويغني عن ذلك قول أهل السنة في إثبات صفات الله وأسمائه أنه لا يشابه فيها خلقه وأنه سبحانه لا ند له ولا كفو له. قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث. وهذا هو معنى كلام غيره من أئمة السنة وأما ما وقع في كلام البيهقي رحمه الله في كتابه «الاعتقاد» من هذه الأمور فهو مما دخل عليه من كلام المتكلمين وتكلفهم، فراج عليه واعتقد صحته، والحق أنه من كلام أهل البدع لا من كلام أهل السنة.

أهل السنة يثبتون لله عز وجل ما أثبته لنفسه دون أن يشبهوه بخلقه. ثم قال الصابوني في مقاله الثاني ما نصه: «أما ما يتخيله بعض الجهلة من أدعياء العلم اليوم الذين يصورون الله بصورة غريبة عجيبة ويجعلون الله تعالى كأنه

جسم مركب من أعضاء وحواس له وجه ويدان وعينان وله ساق وأصابع وهو يمشي وينزل ويهرول، ويقولون في تقرير هذه الصفات أن الله يجلس كما يجلس الواحد على السرير وينزل كما ينزل أحدنا على الدرج - يريد بزعمه أن يقرر مذهب السلف الصالح للتلاميذ ويثبت لهم حقيقة معنى الاستواء والنزول وأنه جلوس حس لا كما يتأوله المتأولون، فهذا والعياذ بالله عين الضلالة لأنه شبه وجسم وهو كمن فر من حفرة صغيرة ليقع في هوة عميقة يتحطم فيها ويهوي فيها إلى مكان سحيق» أهـ.

وأقول: أن الأخ الصابوني - هداه الله - قد جمع في هذا الكلام حقاً وباطلاً يعلمه كل صاحب سنة. وإليك أيها القارئ المؤمن التفصيل في ذلك: . . . . .

والجواب أن يقال: قد أحسنت في اختيار مذهب السلف الصالح واعتقاد أنه الأسلم والأحكم والأعلم، ولكنك لم تثبت عليه بل تارة تختار مذهب التأويل وتارة تختار مذهب التفويض، والواجب على المؤمن الثبات على الحق وعدم التحول عنه، وما ذكرته عن السلف من تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[1] بالعلم ليس بتأويل ولكنه هو معنى آيات المعية عند أهل السنة والجماعة. كما حكى الإمام أبو عمر بن عبد البر وأبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على ذلك، وذلك لأن النصوص من الكتاب والسنة الدالة على علوه وفوقيته وتنزيهه سبحانه عن الحلول والاتحاد تقتضي ذلك، ومن تأمل الآيات الواردة في ذلك علم أنها تدل على أن المراد بالمعية العلم بأحوال عباده واطلاعه على شؤونهم مع دلالة المعية الخاصة على كلاءته ورعايته وحفظه ونصره لأنبيائه وأوليائه. مع علمه واطلاعه على أحوالهم، والعرب الذين نزل عليهم الكتاب وجاءت السنة بلغتهم يعلمون ذلك ولا

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

يشتبه عليهم، ولهذا لم يسألوا النبي ﷺ عن معاني هذه الآيات لظهورها لهم، أما النصوص الأخرى فلا تحتاج إلى تأويل لأن المعنى فيها ظاهر. . . . . وقد أنكر أهل السنة على من تأول نصوص الصفات وبدعوه لما يترتب على تأويلها من أنواع الباطل وتحريف الكلم عن مواضعه وتجريد الرب سبحانه من صفات الكمال وسوء الظن به، وأنه خاطب عباده بما ظاهره تشبيه وتمثيل وأن المراد غيره. وهذا هو التأويل المذموم وهذا هو الذي سلكه أهل الكلام وأنكره عليهم أهل السنة وضللوهم في ذلك، لكونهم أولوا النصوص عن ظاهرها وصرفوها عن الحق الذي دلت عليه بلا حجة ولا برهان من كتاب ولا سنة، بل بمقتضى عقولهم وآرائهم التي لم ينزل الله بها من حجة ولا قام عليها برهان. وقد ألزموهم فيما أثبتوا نظير ما فروا منه فيما تأولوه وهو لازم لهم بلا شك، ولا يسلم من التناقض واللوازم الباطلة إلا من أثبت ما أثبته الله ورسوله ونفى ما نفاه الله ورسوله وهم أهل السنة والجماعة، والله المستعان[1].

وهكذا يتبين أن الشيخ رحمه الله كان يتأنى في إطلاق الأحكام على مخالفيه، وكان لا يعمم في إطلاق الأحكام، ولا يخطيء كل ما ذكروه أو كتبوه، أو أقروه، فيقول كما مر وأقول: «أن الأخ الصابوني - هداه الله - قد جمع في هذا الكلام حقاً وباطلاً»، ثم بين الحق والباطل بالدليل، ويقول أيضاً: «قد أحسنت في اختيار مذهب السلف الصالح واعتقاد أنه الأسلم والأحكم والأعلم، ولكنك لم تثبت عليه بل تارة تختار مذهب التأويل وتارة تختار مذهب التفويض، والواجب على المؤمن الثبات على الحق وعدم التحول عنه». فكان رحمه الله تعالى يبين الخطأ الذي أخطأوا فيه بالدليل، وإن أصابوا بين أنهم أصابوا، وهذا من دليل تأنيه في إطلاق الأحكام.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٦٠ - ٦٨).

وتظهر حكمة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في تأنيه في إطلاق الأحكام على مخالفيه، إذ التأني في إطلاق الأحكام طريق للاجتماع والائتلاف وتوحيد الصف، والبعد عن الشقاق والنزاع والاختلاف، وقد أخبر عن خطورة الاختلاف، وأمر بالتعاون على البر والتقوى. يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا التفرق يؤلم كل مسلم، ويجب على المسلمين أن يجتمعوا على الحق ويتعاونوا على البر والتقوى، ولكن الله سبحانه قدر ذلك على الأمة لحكم عظيمة وغايات محمودة يحمد عليها سبحانه ولا يعلم تفاصيلها سواه، ومن ذلك التمييز بين أوليائه وأعدائه والتمييز بين المجتهدين في طلب الحق والمعرضين عنه المتبعين لأهوائهم إلى حكم أخرى، وفي ذلك تصديق لنبيه ﷺ ودليل على أنه رسول الله حقاً لكونه ﷺ قد أخبر عن هذا التفرق قبل وقوعه فوقع. . . . وهذا يوجب على المسلمين أن يجتمعوا على الحق وأن يردوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول. . . . الواجب على المسلمين رد ما تنازعوا فيه في العقيدة وغيرها إلى الله سبحانه وإلى رسوله ﷺ وبذلك يتضح الحق لهم وتجتمع كلمتهم عليه ويتحد صفهم ضد أعدائهم. أما بقاء كل طائفة على ما لديها من باطل وعدم التسليم للطائفة الأخرى فيما هي عليه من الحق فهذا هو المحذور والمنهي عنه وهو سبب تسليط الأعداء على المسلمين، واللوم كل اللوم على من تمسك بالباطل وأبى أن ينصاع إلى الحق، أما من تمسك بالحق ودعا إليه وأوضح بطلان ما خالفه فهذا لا لوم عليه بل هو مشكور وله أجران أجر اجتهاده وأجر إصابته للحق»[(١)].

وقد دعا الشيخ وحرص على جمع الكلمة بين الفئات الإسلامية وتضافر الجهود ضد أعداء الإسلام، وذكر أن الوقت ليس وقت مهاجمة لأتباع المذاهب ولا للأشاعرة ولا للإخوان حتى ولا للصوفيين. . . . ولكن لا

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٥٩ - ٦٠).

يلزم من وجوب اتحاد المسلمين وجمع كلمتهم على الحق واعتصامهم بحبل الله ألا ينكروا المنكر على من فعله أو اعتقده من الصوفية أو غيرهم، بل مقتضى الأمر بالاعتصام بحبل الله أن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر ويبينوا الحق لمن ضل عنه أو ظن ضده صواباً بالأدلة الشرعية حتى يجتمعوا على الحق وينبذوا ما خالفه، . . . . ومتى سكت أهل الحق عن بيان أخطاء المخطئين وأغلاط الغالطين لم يحصل منهم ما أمرهم الله به من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعلوم ما يترتب على ذلك من إثم الساكت عن إنكار المنكر وبقاء الغالط على غلطه والمخالف للحق على خطئه وذلك خلاف ما شرعه الله سبحانه من النصيحة والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله ولي التوفيق[(١)].

كذلك كان من منهج الشيخ في دعوة المخالف التثبت والتحقق قبل الحكم والبيان.

فقد كان من منهج الشيخ في التعامل مع مخالفيه التثبت قبل الحكم والبيان عليهم، وهذا منهج إسلامي، إذ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[(٢)].

فكان رحمه الله يتيقن من وقوع مخالفيه في المخالفة الشرعية، فيتثبت ويتحرى ويطلب البينة، بل كان لا يقبل الخبر إلا من ثقة وبدليل. ومع ذلك كان يحسن الظن بالمخالفين، فكان لا يتتبع عوراتهم وزلاتهم، بل كان يأخذ بظواهرهم ويحرص على نصحهم ودلالتهم على الحق. فـ«إذا ثبت لديه وقوع منكر من شخص أو جهة كتب إليهم، وخاطبهم مشافهة، أو

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٦٨ - ٦٩).
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

استدعى من يعنيه الأمر، ثم أنكر عليه بلطف، وبين له الأدلة على ما يقول، ورغبه في الخير، وحذره من الشر؛ فما يكاد يقوم بهذا الأمر إلا ويجد القبول والاستجابة؛ فكم درأ الله به من مفسدة، وكم قضى الله على يديه من منكر، وكم أحيا به من سنة، وقمع به من بدعة، وكان كثيراً ما يحث على إحياء هذه الشعيرة، ويؤكد على ضرورة التواصي بها، ويكتب الرسائل في الحث على هذا الأمر، وكان ذلك دأبه طيلة حياته»[(١)].

لقد كان الشيخ كما ذكر عنه محبيه: «من أثبت الناس فيما يقول ويخبر، ومن أكثرهم تحرياً، لاسيما إن كان الكلام متعلقا بنقد أو رد على مخالف، فكان لا يشرع في كتابة رد، أو انتقاد قول، إلا بعد التثبت والتحقق، . . . . ولم يعهد عن الشيخ عجلة ولا تسرع، بل كان معروفاً بالرفق والأناة مع الغيرة على دين الله. وشواهد هذا التثبت كثيرة، فتراه يصدر كثيراً من ردوده بذلك، فكثيراً ما يقول: فقد اطلعت على المقال»، «فقد نشرت جريدة. . .»، «فقد قرئ علي ما نشر. . .». ولما بلغه عن الشيخ علي الطنطاوي إنكار تلبس الجن بالإنس، قال في رده: «وقد بلغني عن فضيلة الشيخ علي الطنطاوي أنه أنكر حدوث مثل هذا الأمر. . . . . ، وقد طلبت الشريط الذي سجل فيه كلامه، وعلمت منه ما ذكر»[(٢)].

ولما اتهم بعض مخالفي الشيخ السلفية بأنهم يكفرون ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، فبين الشيخ أنه ليس من أهل العلم من يكفر ابن حجر وغيره ممن وقعوا في التأويل ومذهب العالم هو آخر ما مات عليه.

فقد رد الشيخ علي الصابوني بقوله: «ثم قال الصابوني في مقاله

---

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز ن باز رَحِمَهُ اللَّهُ رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالف، ص ١٥٣ - ١٥٤، فيصل الجاسم، دار البشائر الإسلامية، ط١/ ١٤٢٩هـ.

الخامس - هداه الله وألهمه التوفيق - ما نصه (ولكني أربأ بإخواني السلفيين أن يتحملوا في أعناقهم وزر تضليل الأمة وتكفير أئمة المسلمين من أهل الفقه والحديث والتفسير الذين هم على مذهب الأشاعرة، فماذا سنجني إن فرقنا صف المسلمين ونسبنا إلى الضلال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري؟). وذكر جماعة آخرين ثم قال: (وكل هؤلاء الأئمة الأجلاء وغيرهم من مذهب الإمام الأشعري.. إلخ) أهـ.

والجواب أن يقال: ليس من أهل العلم السلفيين من يكفر هؤلاء الذين ذكرتهم، وإنما يوضحون أخطاءهم في تأويل الكثير من الصفات ويوضحون أن ذلك خلاف مذهب سلف الأمة، وليس ذلك تكفيراً لهم ولا تمزيقاً لشمل الأمة ولا تفريقاً لصفهم وإنما في ذلك النصح لله ولعباده وبيان الحق والرد على من خالفه بالأدلة النقلية والعقلية والقيام بما أوجب الله سبحانه على العلماء من بيان الحق وعدم كتمانه والقيام بالدعوة إلى الله والإرشاد إلى سبيله، ولو سكت أهل الحق عن بيانه لاستمر المخطئون على أخطائهم وقلدهم غيرهم في ذلك وباء الساكتون بإثم الكتمان الذي توعدهم الله عليه... وقد أخذ الله على علماء أهل الكتاب الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه وذمهم على نبذه وراء ظهورهم وحذرنا من اتباعهم. فإذا سكت أهل السنة عن بيان أخطاء من خالف الكتاب والسنة شابهوا بذلك أهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين. ثم يقال للأخ الصابوني: ليس علماء الأشاعرة من أتباع أبي الحسن الأشعري؛ لأنه رجع عن تأويل الصفات وقال بمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وإمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل كما أوضح ذلك في كتابيه الإبانة والمقالات، فعلم مما ذكرنا أن من أول الصفات من المنتسبين للأشعري فليس على مذهبه الجديد بل هو على مذهبه القديم.

ومعلوم أن مذهب العالم هو ما مات عليه معتقداً له لا ما قاله سابقاً ثم رجع عنه، فيجب التنبه لذلك والحذر مما يلبس الأمور ويضعها في غير موضعها، والله المستعان[١].

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يحث طلبة العلم والعاملين في مجال الدعوة والاحتساب على التثبت، فيقول: «نصيحتي لهم أن يتثبتوا في الأمر، وأن يتعلموا أولا حتى يتيقنوا أن هذا الأمر معروف أو منكر، بالدليل الشرعي، . . . . مع نصيحتي لهم بأن يكون الإنكار بالرفق والكلام الطيب والأسلوب الحسن، حتى يقبل منهم، وحتى يصلحوا أكثر مما يفسدون»[٢].

ومما سبق يتبين أنه كان من منهج الشيخ في التعامل مع مخالفيه التثبت قبل الحكم عليه، والبيان له، فكان يتثبت ويتحرى ويطلب البينة.

❊ ❊ ❊

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٧٢ – ٧٣).
(٢) المرجع السابق (٥/ ٧٥).

المطلب السابع:

عدم الإنكار على المخالف في مسائل الاجتهاد السائغ

المتأمل في منهج الشيخ يجد حرصه الدائم على بيان أخطاء المخالفين، وكان يبين أن من سكت عن الإنكار عليهم وبيان حالهم ظناً منه أن الرد عليهم يفرق الأمة فقد أخطأ، وخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة في وجوب إنكار المنكر على حسب الاستطاعة مع مراعاة المصالح والمفاسد والمنافع والمضار.

لقد كان من منهج الشيخ في التعامل مع المخالف عدم السكوت في كل من أخطأ في الدين، والإنكار على من خالف الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، ولا فرق بين أن يكون في أصول الدين أو فروعه، وهذا الذي دلت عليه عمومات الشريعة وعمل السلف الصالح رضي الله عنهم. وقد خَطَّأ ابن القيم رحمه الله قَوْلِ مَنْ قَالَ لَا إنْكَارَ فِي الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ. فقال: وَقَوْلُهُمْ: «إنَّ مَسَائِلَ الْخِلَافِ لَا إنْكَارَ فِيهَا «لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ فَإِنَّ الْإِنْكَارَ إمَّا أَنْ يَتَوَجَّهَ إلَى الْقَوْلِ وَالْفَتْوَى أَوْ الْعَمَلِ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِذَا كَانَ الْقَوْلُ يُخَالِفُ سُنَّةً أَوْ إجْمَاعاً شَائِعاً وَجَبَ إنْكَارُهُ اتِّفَاقاً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَإِنَّ بَيَانَ ضَعْفِهِ وَمُخَالَفَتِهِ لِلدَّلِيلِ إنْكَارُ مِثْلِهِ، وَأَمَّا الْعَمَلُ فَإِذَا كَانَ عَلَى خِلَافِ سُنَّةٍ أَوْ إجْمَاعٍ وَجَبَ إنْكَارُهُ بِحَسَبِ دَرَجَاتِ الْإِنْكَارِ، وَكَيْفَ يَقُولُ فَقِيهٌ لَا إنْكَارَ فِي الْمَسَائِلِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا وَالْفُقَهَاءُ مِنْ سَائِرِ الطَّوَائِفِ قَدْ صَرَّحُوا بِنَقْضِ حُكْمِ الْحَاكِمِ إذَا خَالَفَ كِتَاباً أَوْ سُنَّةً وَإِنْ كَانَ قَدْ وَافَقَ فِيهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ؟ وَأَمَّا إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسْأَلَةِ سُنَّةٌ وَلَا إجْمَاعٌ وَلِلِاجْتِهَادِ فِيهَا مَسَاغٌ لَمْ تُنْكَرْ عَلَى مَنْ عَمِلَ بِهَا

مُجْتَهِداً أَوْ مُقَلِّداً. وَإِنَّمَا دَخَلَ هَذَا اللَّبْسُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْقَائِلَ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَسَائِلَ الْخِلَافِ هِيَ مَسَائِلُ الِاجْتِهَادِ، كَمَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ تَحْقِيقٌ فِي الْعِلْمِ. وَالصَّوَابُ مَا عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ أَنَّ مَسَائِلَ الِاجْتِهَادِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا دَلِيلٌ يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ وُجُوباً ظَاهِراً مِثْلَ حَدِيثٍ صَحِيحٍ لَا مُعَارِضَ لَهُ مِنْ جِنْسِهِ فَيُسَوَّغُ فِيهَا - إذَا عُدِمَ فِيهَا الدَّلِيلُ الظَّاهِرُ الَّذِي يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ - الِاجْتِهَادُ لِتَعَارُضِ الْأَدِلَّةِ أَوْ لِخَفَاءِ الْأَدِلَّةِ فِيهَا»[(١)].

هذا كان منهج الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في التعامل مع المخالف، يقرر الشيخ ذلك بقوله: «أما ما خالف النص من الكتاب والسنة فالواجب الإنكار على من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن....»[(٢)]. وقال: «فالواجب على علماء الإسلام أن ينشروا دين الله بين الناس، **وأن يوضحوا لأهل البدع والتصوف والخرافات والانحراف بطلان ما هم عليه من البدع ويوضحوا لهم السنة الغراء والطريقة السمحة الواضحة، وأن يبينوا لهم أدلتها من الكتاب والسنة وأن ينبهوهم إلى أخطائهم بالأسلوب الحسن، والدليل الواضح**، والبرهان القوي والحجة الدامغة، والعبارات البينة، من غير عنف ولا شدة بل بالعبارة الواضحة، والجدال بالتي هي أحسن، حتى يعرفوا الحق ويهتدوا إلى الصواب، وحتى يتبصروا وحتى يدعوا الخرافات والشركيات والبدع التي هم عليها على غير هدى وعلى غير بصيرة، والحق ضالة المؤمن متى وجده أخذه،.... وكل بدعة وكل ضلالة وكل منهج يخالف شرع الله يجب تركه ويجب أن يسير الناس جميعاً على المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ في حياته ثم سار عليه صحابته والخلفاء الراشدون من بعده ثم تابعهم الأئمة المهتدون

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (٣/ ٢٢٤).

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٥٨).

والسلف الصالحون، تابعوهم على المنهج القويم، والصراط المستقيم. هذا هو المنهج الذي يجب الأخذ به والتمسك به والسير عليه، والدعوة إليه وكل ما يخالف ذلك مما أحدثه الناس يجب أن يترك وأن يرفض مع البيان والإيضاح حتى لا يهلك هالك إلا عن بينة[١]. وقال: «فلا يجوز لأهل العلم السكوت وترك الكلام للفاجر والمبتدع والجاهل فإن هذا غلط عظيم، ومن أسباب انتشار الشر والبدع واختفاء الخير وقلته وخفاء السنة. فالواجب على أهل العلم أن يتكلموا بالحق ويدعوا إليه وأن ينكروا الباطل ويحذروا منه، ويجب أن يكون ذلك عن علم وبصيرة»[٢]. وقال: «والخطأ ما خالف الدليل الشرعي، وهو ما قاله الله ورسوله، فلا يؤاخذ أحد من الناس إلا بخطأ يخالف الدليل، والواجب اتباع الحق»[٣].

وقال في أحد ردوده: «وهذا الكلام على فرض صحته لا يدل على أن الأشاعرة لا ينكر عليهم ما أخطأوا فيه فإن القاعدة الشرعية كما نبه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره أن العالم يمدح بما وافق فيه الكتاب والسنة ويذم على ما خالف فيه الكتاب والسنة، وهذا الذي قاله رحمه الله هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، فالأشاعرة وغيرهم يمدحون على ما قالوه وكتبوه في نصر الحق في أبواب أصول الدين وفي غيرها، ويذمون على ما أخطأوا فيه إحقاقاً للحق ورداً للباطل حتى لا يشتبه الأمر على من قل علمه، والله المستعان»[٤].

وقال في رده على الصابوني عندما استدل بحديث: ثلاثة من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا تكفره بذنب ولا تخرجه من الإسلام

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ١٣٢ - ١٣٣).
(٢) المرجع السابق، (٦/ ٥٣).
(٣) المرجع السابق (٢٨/ ٢٥٥).
(٤) المرجع السابق، (٣/ ٨٠).

بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار. على وجوب الكف عن الكلام في الأشاعرة، وعدم ذكر ما أخطئوا فيه، وغيرهم من الفرق الإسلامية.

فرد عليه الشيخ بقوله: «كأن الأخ الصابوني ذكر هذا الحديث ليستدل به على وجوب الكف عن الكلام في الأشاعرة وبيان ما أخطأوا فيه، وهكذا ما أخطأ فيه غيرهم من الفرق الإسلامية. وليس الأمر كما زعم فإن الحديث المذكور لو صح لا يدل على شرعية الكف عن من خالف الحق، كما أنه لا يدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ما أخطأ فيه المخطئون وغلط فيه الغالطون من الأشاعرة وغيرهم، بل الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة كلها تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإنكار على من خالف الحق وإرشاده إلى طريق الصواب حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، كما بينا ذلك فيما سبق. وإنما المقصود من الحديث لو صح الكف عن قتال من أظهر الإسلام وتكلم بكلمة التوحيد حتى ينظر في أمره بعد ذلك ويعامل بما يستحق حسب الأدلة الشرعية كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة التي أشرنا إليها آنفا. والله سبحانه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله»[(١)].

لقد كان الشيخ كما قال مدير مكتب بيت سماحته: «سماحة الشيخ إمام عصره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا دأبه ومنهج حياته، فلا يكاد يذكر له معروف إلا أيده، ودعا لصاحبه، ودعمه بكل ما يستطيع، ولا يكاد يذكر له منكر صغيراً كان أم كبيراً، خاصاً أم عاماً، وسواء كان من فرد أو جماعة إلا بادر إلى إنكاره، وتغييره ما يستطيع»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣/ ٨٢).

(٢) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٣٤٢.

وإن كان هذا هو دأب الشيخ إلا أن منهجه كان لا ينكر على المخالف له في المسائل التي يسع القول فيها، خاصة إذا كانت مما يسوغ الخلاف فيه، وإذا كان يستند القائل فيها إلى نص صحيح، يقرر الشيخ هذه القاعدة الجليلة بقوله: «فالمؤمن يعمل بشرع الله، ويدين بالحق، ويقدمه على كل أحد بالدليل، **ولكن لا يحمله ذلك على ظلم أخيه، وعدم إنصافه إذا خالفه في الرأي في مسائل الاجتهاد التي قد يخفى دليلها، وهكذا في المسائل التي قد يختلف في تأويل النص فيها، فإنه قد يعذر**، فعليك أن تنصح له وأن تحب له الخير، ولا يحملك ذلك على العداء والانشقاق، وتمكين العدو منك ومن أخيك ولا حول ولا قوة إلا بالله»[(١)]. ويقول: «أما عذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه بل هو محل تفصيل، **فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى دليلها فالواجب عدم الإنكار فيها من بعضنا على بعض، أما ما خالف النص من الكتاب والسنة فالواجب الإنكار على من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن**»[(٢)].

وقال: «وأما ما لا يجوز الخلاف فيه فهو ما أوضحته النصوص من الكتاب والسنة فإنه يجب على الجميع أن يتفقوا على ما دل عليه الكتاب أو السنة الصحيحة وأن يحذروا النزاع والخلاف في ذلك **وإنما يكون الخلاف في المسائل الاجتهادية التي ليس فيها دليل** من القرآن أو السنة بل هي محل لاجتهاد العلماء واستنباطهم من القواعد الشرعية - فهذه هي محل الخلاف - ويقال عنها «مسائل الاجتهاد» ومن أصاب فيها فله أجران ومن أخطأ فله أجر إذا كان من أهل العلم والبصيرة وممن يستطيع أن يجتهد في استخراج الأحكام بالأدلة»[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ٣٤٢).
(٢) المرجع السابق (٣/ ٥٨).
(٣) المرجع السابق (٧/ ١٢٤).

وإن كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قرر هذا المنهج في التعامل مع المخالف قولاً، فإنه طبقه في واقع حياته عملاً، ورحم الله الشيخ محمد موسى حين قال عن الشيخ: «حتى مع المخالفين إذا قرأ كتبهم تجرد من كل هوى وقبل ما فيها من حق، بل ربما أثنى على بعض المواضيع فيها، **ومن عدله وإنصافه أنه لا يثرب على من قال بقول يخالف ما يراه، بل يتسع صدره لهذا الخلاف ويلتمس العذر لمن خالف، ولا يلزم غيره بأن يأخذ بما يراه، ولا يكلف نفسه عناء الرد على من يخالفه في مسألة أو قول له وجاهته**، خصوصاً إذا كان القائل بذلك عالم له مكانته»[(١)].

لقد كان للشيخ منهج وسط في قضايا الخلاف السائغ الفقهي، فكان يذهب إلى الحق الذي يعتقده ويقدر المخالف ولا يسفهه[(٢)]، وسأذكر ما يدل على عدم إنكار الشيخ على المخالف في الأمر الذي يسعه الدليل من خلال بعض فتاويه، بل يذكر أن الأمر فيه سعة.

سُأل الشيخ عن الأذكار التي تقال بعد الصلاة، كان جوابه: «ثم بعدما يسلم يقول: استغفر الله ثلاثاً اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. يقول ذلك الرجل والمرأة فيستغفر الله ثلاثاً ويقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم ينصرف الإمام إلى الناس بعد هذا ويعطي الناس وجهه ويقول بعد هذا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهكذا المأمومون من الرجال والنساء يقولون كما يقول الإمام لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير،

---

(١) سيرة ابن باز برواية محمد موسى، ص ٢١٦، ٢١٨.

(٢) انظر: شخصية عبد العزيز بن باز الفكرية والثقافية، د. محمد موسى الشريف، ص ٥٤، دار الأندلسية، جدة، ط١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

فتارة يقول: يحيي ويميت بيده الخير، وتارة لا يقول ذلك، **والأمر واسع بحمد الله**»[(١)].

وسئل رحمه الله «ما رأيكم حفظكم الله ونفع بعلومكم فيما يفعله بعض الأئمة من تخصيص قدر معين من القرآن لكل ركعة ولكل ليلة؟ فأجاب بقوله: «**لا أعلم في هذا شيئاً؛ لأن الأمر يرجع إلى اجتهاد الإمام** فإذا رأى أن من المصلحة أن يزيد في بعض الليالي أو بعض الركعات لأنه أنشط، ورأى من نفسه قوة في ذلك، ورأى من نفسه تلذذا بالقراءة فزاد بعض الآيات لينتفع وينتفع من خلفه، فإنه إذا حسن صوته وطابت نفسه بالقراءة وخشع فيها ينتفع هو ومن وراءه، فإذا زاد بعض الآيات في بعض الركعات أو في بعض الليالي فلا نعلم فيه بأساً، **والأمر واسع بحمد الله تعالى**»[(٢)].

وسئل رحمه الله «ما رأي سماحتكم باستعمال المسبحة في إتمام أذكار الصلاة، وهل هي بدعة؟ المسبحة لا ينبغي فعلها، تركها أولى وأحوط، والتسبيح بالأصابع أفضل، لكن يجوز له لو سبح بشيء كالحصى أو المسبحة أو النوى، وتركها ذلك في بيته، حتى لا يقلده الناس فقد كان بعض السلف يعمله، **والأمر واسع** لكن الأصابع أفضل في كل مكان، والأفضل باليد اليمنى، أما كونها في يده وفي المساجد فهذا لا ينبغي، أقل الأحوال الكراهة»[(٣)].

وسئل أيضاً: «أشاهد المصلين في صلاة التراويح على أقسام: قسم يخرج قبل الشفع والوتر، وقسم يخرج قبل الوتر، وقسم يخرج (إذا كان يصلي بالجماعة إمامان) بعد فراغ الإمام الأول، وقسم عندما يسلم الإمام من

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١١/ ٤٨).
(٢) المرجع السابق، (١٠/ ٩٨ - ٩٩).
(٣) المرجع السابق، (٢٩/ ٣١٨).

الوتر يقوم ويأتي بركعة يشفع بها الوتر، نرجو من سماحتكم الإفادة بالتفصيل عن هذا الموضوع، ومتى يكون الإنسان قام مع إمامه حتى يحصل له الأجر الوارد في الحديث، جزاكم الله خيراً. فأجاب: «جميع ما ذكره السائل جائز والأمر في ذلك واسع والحمد لله، لكن من بقي مع الإمام حتى يكمل الصلاة حاز الأفضلية، وصار كمن قام الليل كله... والله ولي التوفيق»[(١)].

وسئل عن «ما هو الأفضل في قيام رمضان من ناحية عدد الركعات؟ فأجاب: «الأفضل في قيام رمضان أن يصلي المسلمون في مساجدهم إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة يسلم من كل اثنتين؛ لأن هذا هو المحفوظ من فعله ﷺ، وقد صح عنه ذلك من حديث عائشة وابن عباس، وغيرهما. وصح عنه ﷺ أنه قال: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ، صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»[(٢)]. وثبت عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في زمانه رضي الله عنهم أنهم صلوا في رمضان إحدى عشرة ركعة، وصلوا في بعض الأحيان ثلاث وعشرين ركعة، **والأمر في هذا واسع**، وليس في صلاة الليل ركعات محدودة لا تجوز الزيادة عليها أو النقص منها لا في رمضان ولا في غيره؛ لأن النبي ﷺ لم يحدد في ذلك شيئا، بل أطلقه، ولم يحدد ركعات معدودة، ولكنه أوتر بإحدى عشرة وبثلاث عشرة يسلم من كل اثنتين، وأوتر بأقل من ذلك، فلا ينبغي لأحد أن يضيق ما وسعه الله أو يحدد ركعات لا تجوز الزيادة عليها بغير نص من كتاب أو سنة[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣٠/ ٢٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد، رقم الحديث، (٤٧٢)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل، رقم الحديث (٧٤٩).

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٣٠/ ٢٤).

وسئل عن ما إذا كنت أصلي ودق جرس الباب ولا يوجد في البيت غيري فماذا أفعل؟ إذا كانت الصلاة نافلة **فالأمر فيها واسع** لا مانع من قطعها ومعرفة من يطرق الباب، أما في الفريضة فلا ينبغي التعجل إلا إذا كان هناك شيء مهم يخشى فوته[(١)].

وقال في إحدى ردوده: «وأفيدك بأن **الأمر بالنسبة لقصاصات الأظافر والشعر واسع ولا حرج في وضعها في أي مكان**. وأما دفع النقود لمن يضربن الدفوف في حفلات الزواج **فلا بأس به** إذا كان عملها كالعادة المتبعة في الأعراس؛ من عدم اختلاط النساء بالرجال، وعدم وجود منكرات أخرى كالموسيقى وضرب العود ونحو ذلك»[(٢)].

وقال أيضاً في إحدى ردوده: «وأما الأوراد الشرعية من الأذكار والدعوات الواردة عن النبي ﷺ، فالأفضل أن يؤتى بها في طرفي النهار بعد صلاة الفجر وصلاة العصر، وذلك أفضل من قراءة القرآن؛ لأنها عبادة مؤقتة تفوت بفوات وقتها، أما قراءة القرآن **فوقتها واسع**، ومن اشتغل بقراءة القرآن في طرفي النهار وترك الورد فلا بأس؛ لأنها كلها نافلة، **والأمر في ذلك واسع، ولا حرج على الحائض والنفساء في أصح قولي العلماء في قراءة القرآن عن ظهر قلب**، سواء كان في الورد أو غيره، أما الجنب فلا يقرأ شيئاً من القرآن حتى يغتسل. . . . أما مس المصحف فلا يجوز للحائض والنفساء والجنب، ولا يجوز أيضاً للمحدث حدثاً أصغر كالريح والنوم حتى يتوضأ الوضوء الشرعي؛ لأحاديث وردت في ذلك عن النبي ﷺ، أما تثويب الورد للغير فالأفضل تركه؛ لعدم الدليل عليه، وهكذا تثويب قراءة القرآن للغير الأفضل تركه، كما تقدم بيان ذلك؛ لأنه لم يرد عن

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٢٩/ ٣٤٧).
(٢) المرجع السابق، (٢٩/ ١٩٣).

النبي ﷺ ولا عن الصحابة رضي الله عنهم - فيما نعلم- ما يدل على تثويب القرآن أو الأذكار للغير، أما الدعاء والصدقات **فأمرهما واسع**»[(١)].

وعندما سئل عن حكم الشرب والأكل قائماً: «الأحاديث الواردة في هذا صحيحة جاء عن النبي ﷺ النهي عن الشرب قائماً والأكل مثل ذلك، وجاء عنه ﷺ أنه شرب قائماً، **فالأمر في هذا واسع وكلها صحيحة والحمد لله**، فالنهي عن ذلك للكراهة، فإذا احتاج الإنسان إلى الأكل واقفاً أو إلى الشرب واقفاً فلا حرج، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه شرب قاعداً وقائماً، فإذا احتاج الإنسان إلى ذلك فلا حرج أن يأكل قائماً وأن يشرب قائماً، وإن جلس فهو أفضل وأحسن، . . . . . **والأمر في هذا واسع**، والشرب قاعداً والأكل قاعداً أفضل وأهنأ، وإن شرب قائماً فلا حرج، وهكذا إن أكل قائماً فلا حرج»[(٢)].

وعندما سئل «هل ورد في تغيير المكان لأداء السنة بعد الصلاة ما يدل على استحبابه؟ فأجاب: «لم يرد في ذلك فيما أعلم حديث صحيح ولكن كان ابن عمر رضي الله عنهما وكثير من السلف يفعلون ذلك **والأمر في ذلك واسع والحمد لله**»[(٣)].

وتظهر حكمة الشيخ ابن باز في عدم إنكاره في مسائل الخلاف وذلك لسعة علمه، وإعذار من سبق من أهل الفضل والعلم بعضهم بعضاً في مسائل الخلاف، «وقد نقل كثير من العلماء أن المسألة إذا لم يكن فيها سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ، فلا ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً»[(٤)]. ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال عن السلف رحمهم

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٢٦/ ١٠١).
(٢) المرجع السابق، (٢٥/ ٢٧٦).
(٣) المرجع السابق، (٢٥/ ١٦٦).
(٤) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ٢٣٠.

الله: «وَكَانُوا يَتَنَاظَرُونَ فِي الْمَسْأَلَةِ مُنَاظَرَةَ مُشَاوَرَةٍ وَمُنَاصَحَةٍ وَرُبَّمَا اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مَعَ بَقَاءِ الْأُلْفَةِ وَالْعِصْمَةِ وَأُخُوَّةِ الدِّينِ. نَعَمْ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَالسُّنَّةَ الْمُسْتَفِيضَةَ أَوْ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ خِلَافاً لَا يُعْذَرُ فِيهِ فَهَذَا يُعَامَلُ بِمَا يُعَامَلُ بِهِ أَهْلُ الْبِدَعِ»(١).

لقد كان الشيخ «ينحى منحى شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يقسم الخلاف إلى قسمين: خلاف التضاد وخلاف التنوع، فأما خلاف التنوع فهو من المسائل التي فيها سعة؛ لأنه خلاف فرعي وقد اختلف الأئمة، ولقد ارتضى لنفسه رحمه الله منهج التحقيق، واتباع الدليل الصحيح، وإن خالف المذهب الحنبلي الذي تتلمذ عليه، وهو مع هذا واسع الأفق، رحب الصدر للخلاف المبني على اجتهاد سائغ، يرد على مخالفيه، ولا يجرحهم ولا يغلظ عليهم»(٢).

ومن خلال ما سبق يتضح أن منهج الشيخ ابن باز في التعامل مع المخالف الإنكار على كل من خالف الكتاب والسنة وما عليه سلف وعمل سلف الأمة، سواء في مسائل الأصول أو الفروع، أما المسائل التي يسوغ الخلاف فيها فكان الشيخ لا ينكر على من خالفه، وكان يوصي طلابه بعدم الإنكار فيها، بل في كثير من فتاويه التي فيها خلاف بين الفقهاء كما مر معنا يقول: الأمر فيه سعة.

❊ ❊ ❊

(١) مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٢٤/ ١٧٢).
(٢) منهج الشيخ عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله، ٣١٥.

المطلب الثامن:

إنزال المخالف منزلته ومعرفة فضله إن كان من أهله

إنزال الناس منازلهم منهج إسلامي، لذلك حرص الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عليه. فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ ينزل الناس منازلهم ويعرف لهم فضلهم. وقد قرر الشيخ أن «الناس طبقات وأقسام ليسوا على حد سواء، لا بد أن ينزلوا منازلهم، ولا بد أن يعطوا أحكامهم بالبصيرة والبينة لا بالهوى والجهل، بل بالأدلة الشرعية»[(١)].

وقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ ينزل الناس منازلهم، ومما يدل على ذلك ما ذكره الشيخ محمد بن موسى رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشيخ ابن باز: «ولقد رأيت بعضهم إذا قدم على سماحته قال: أنتم بمنزلة والدي، وأعد إشارتكم أمراً، ومجيئي إليكم شرفاً. وماذا يكون من سماحة الشيخ إلا إبداء نصيحة، أو ملحوظة، أو تذكير بأمر ما، **كل هذا بأسلوب لطيف، يصحبه التقدير، والرحمة، والمحبة، ومن كلماته في ذلك: بلغنا عنكم كذا وكذا، ولا يخفى عليكم أن الحكم كذا وكذا، والله سبحانه وتعالى يقول**: كذا وكذا، والرسول يقول كذا وكذا، والمؤمل فيكم الخير وعدم الرضا بما يحصل»[(٢)]. ويقول الشيخ ناصر الزهراني: «لقد رأيت لدى الشيخ رسائل إلى جميع الزعماء والأمراء المسلمين بدون استثناء، وكانت متنوعة متعددة، إما أن تكون في مناصحة في

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٨/ ٢٣٧).

(٢) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد/ د. محمد الحمد، ص ١٣٠.

منكر من المنكرات، وإما أن تكون في تشجيع على عمل إيجابي لذلك الرئيس من تطبيق للشريعة، أو منع للخمور، أو منع للاختلاط. . . . . وما إلى ذلك. وكانت مصدرة بأجمل عبارات التبجيل، وأحسن كلمات الاحترام، وألطف ألفاظ الدعوة، وغالباً ما يفتتح الكلمة بقوله: يا محب»[(١)].

ومما يدل على إنزال المخالف منزلته تلك الرسائل التي أرسلها للأمراء والولاة، وهو يخاطبهم بأسلوب يتقاطر منه الأدب، مع إنزال الأمراء منزلتهم، ومعرفته لحقهم، ومن الأمثلة التي تذكر في هذا الجانب ما يلي:

تلك البرقية التي أرسلها إلى حاكم العراق يومها صدام حسين ينكر عليه إعلانه النظام الاشتراكي، جاء فيها: «**فخامة رئيس الجمهورية أخذ الله بيده إلى الحق**: إن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تستنكر ما أصدرته الحكومة العراقية من القرارات الاشتراكية، وتضم صوتها إلى صوت علماء العراق وغيرهم من العلماء في إنكار النظام الاشتراكي، وتؤكد بأنه نظام كفري يصادم نظام الإسلام ويناقضه، وتنصح حكومة العراق بالرجوع إلى نظام الإسلام وتطبيقه في البلاد، لكونه أعدل نظام وأصلح تشريع عرفته البشرية، وهو كفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية السليمة وحل للمشاكل الاقتصادية وغيرها، وإيصال حق الفقير إليه على خير وجه إذا أخلص المسلمون في تطبيقه. والإسلام يحرم على المسلم دم أخيه وماله وعرضه ويعطيه حرية التصرف الكامل في ماله في ظل الحكم الشرعي، وتصرح تعاليمه بأن ما يزعمه بعض الناس من أن النظام الاشتراكي مستمد من روح الإسلام زعم باطل لا يستند لأي أساس من الصحة. هذا وأسأل الله أن يهدي الجميع صراطه المستقيم. نائب رئيس الجامعة الإسلامية عبد العزيز بن عبد الله بن باز»[(٢)].

---

(١) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ١٤٢.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٧/ ٣٩٤).

وأرسل رسالة إلى رئيس دولة أفغانستان جاء فيها: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية، إلى حضرة الأخ الكريم **فخامة رئيس دولة أفغانستان الإسلامية الشيخ برهان الدين رباني**، وإلى جميع المسئولين في الأفغان والمتحاربين فيها، وفقهم الله لما فيه رضاه وألهمهم رشدهم ونصر بهم الحق وأعاذهم من نزغات الشيطان ومضلات الفتن آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فلقد أحزن المسلمين، وأفرح الأعداء، ما وقع بينكم من الفتن والقتال وما حصل من إزهاق النفوس، وإتلاف الأموال، وتشتيت الشعب، وإحزان المحبين وإفراح الأعداء. فاتقوا الله أيها الإخوة في دينكم، وأنفسكم، وشعبكم، وأموالكم، وارجعوا إلى الله سبحانه وتوبوا إليه مما وقع منكم وحلوا مشاكلكم بالتفاهم والوسائل السلمية، والتشاور بينكم... وهذا السبيل هو السبيل الذي يجب عليكم وعلى أمثالكم الأخذ به، والسير عليه، في كل خلاف مع العناية بطاعة الله ورسوله، والاستقامة على دين الله، ورحمة الشعب، وإيصال الخير إليه، ودفع الأذى عنه، والتعاون مع خواص إخوانكم من المسلمين الذين يسرهم اجتماعكم وتعاونكم، ويحزنهم تفرقكم واختلافكم»[(١)].

وأرسل رسالة إلى رئيس دولة باكستان، افتتحها بقوله: «**فخامة رئيس حكومة باكستان الإسلامية محمد ضياء الحق. نصر الله به دينه**، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(٢)]. وجاء في رسالة أرسلها لرئيس ليبيا معمر القذافي قوله: وقد سرنا كثيراً رجوع **فخامة العقيد** إلى الصواب في الأخذ بالسنة الصحيحة.... فالواجب على **فخامة العقيد** أن يعلن في وسائل

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٩/ ٢٤٠ - ٢٤١).
(٢) المرجع السابق، (٤/ ١٨٥).

الإعلام تكذيبه لما زعمته هذه الإيطالية، وأنه يبرأ إلى الله من ذلك إن كان ذلك لم يقع منه، فإن كان قد وقع منه فالواجب عليه إعلان التوبة النصوح من ذلك، . . . . .[(١)].

وأرسل رسالة إلى بعض أمراء الخليج يحثهم فيها على إزالة منكر من المنكرات جاء فيها: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى **حضرة الأمير المكرم**. وفقه الله ونصر به الحق آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فقد كتب إلي بعض الناصحين عن قبر يوجد في بلدكم، وذكر أنه يعبد من دون الله، ونرفق لكم نسخة من رسالته ومعها صورتان للقبر المذكور، فأرجو من **سموكم التكرم بالأمر على من يلزم بهدم هذ القبر**، ومنع الناس من الغلو فيه، والذبح لصاحبه. . . . .»[(٢)].

ويتضح من خلال ذكر بعض النماذج السابقة أن الشيخ كان ينزل الناس منازلهم، فعند مخاطبة الحكام والأمراء يقول: فخامة، سموكم، حضرة الأخ المكرم. . . الخ.

وإن كان الشيخ أنزل الأمراء والحكام منازلهم فإنه عرف للعلماء حقهم، وأجلهم حتى وإن خالفهم في بعض المسائل العلمية، فكان في مخاطبة من يخالفه في بعض المسائل يرد عليه بقوله: أخونا في الله، فضيلة الدكتور، حضرة الأخ المكرم سماحة الدكتور، ومن نماذج ذلك:

ما جاء في رده على العلامة الألباني في قوله بتحريم الذهب المحلق، قوله: «**وما ذكره أخونا في الله العلامة الشيخ**: محمد ناصر الدين الألباني في كتابه: (آداب الزفاف) من الجمع بينها وبين أحاديث الحل بحمل أحاديث التحريم على المحلق وأحاديث الحل على غيره غير صحيح وغير

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، (٥/ ٢٦٢).

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٢٢٨).

مطابق لما جاءت به الأحاديث الصحيحة الدالة على الحل؛ لأن فيها حل الخاتم وهو محلق، وحل الأسورة وهي محلقة، فاتضح بذلك ما ذكرنا؛ ولأن الأحاديث الدالة على الحل مطلقة غير مقيدة، فوجب الأخذ بها لإطلاقها وصحة أسانيدها، وقد تأيدت بما حكاه جماعة من أهل العلم من الإجماع على نسخ الأحاديث الدالة على التحريم كما نقلنا أقوالهم آنفا، وهذا هو الحق بلا ريب. وبذلك تزول الشبهة ويتضح الحكم الشرعي الذي لا ريب فيه بحل الذهب لإناث الأمة، وتحريمه على الذكور»[(١)].

وجاء قوله أيضاً: «فقد اطلعت على الكلمة التي كتبها **أخونا في الله العلامة الشيخ** عمر بن أحمد المليباري في معنى لا إله إلا الله، وقد تأملت ما أوضحه فضيلته في أقوال الفرق الثلاث في معناها. وهذا بيانها: الأول: لا معبود بحق إلا الله. الثاني: لا مطاع بحق إلا الله. الثالث: لا رب إلا الله. والصواب هو الأول كما أوضحه فضيلته، وهو الذي دل عليه كتاب الله سبحانه في مواضع من القرآن الكريم. . . .»[(٢)].

وجاء في أحد رسائله لأحد شيوخ الأزهر ما يلي: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز **إلى حضرة الأخ المكرم سماحة الدكتور: عبد الحليم محمود شيخ الأزهر** وفقه الله ونصر به الحق آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد اطلعت على كلمة للشيخ محمد علي عبد الرحيم رئيس جماعة أنصار السنة منشورة في مجلة (التوحيد) عدد شعبان ١٣٩٧هـ، قد تضمنت خبراً نشرته جريدة الجمهورية في عددها الصادر في ٧/ ٥/ ١٩٧٧ م نصه كما يأتي: (أقام الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر مسجداً في قريته [السلام] بمركز بلبيس، وأوصى عند وفاته: بأن يدفن في هذا

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٣٥١).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ٥).

المسجد) انتهى الخبر. وفي الكلمة المذكورة النصيحة **لسماحتكم** بعدم الإقدام على هذا العمل المخالف لأهداف الشريعة المطهرة من تخصيص بيوت الله للصلاة والعبادة والذكر والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن، لا للدفن فيها واتخاذها مقابر. وقد كدرني هذا الخبر كثيراً، واستغربت حصوله من **سماحتكم** - إن صح - والذي نرجو أن يكون غير صحيح؛ لما قد عرف عن تسرع كثير من أصحاب الصحف في تشويه الأخبار، ونقلها على غير وجهها الصحيح، يضاف إلى ذلك: أننا نستبعد كثيراً خفاء حكم اتخاذ القبور في المساجد عليكم؛ لما ثبت من الأحاديث الكثيرة الصحيحة الصريحة في تحريم ذلك، والنهي عنه؛ لكون ذلك وسيلة عظيمة من وسائل الشرك، وتعلق الكثير من العامة والجهال بأصحاب تلك الأضرحة، وافتتانهم بهم ودعائهم إياهم من دون الله، وجعلهم شركاء لله في طلب النفع ودفع الضر، وقضاء الحوائج مما لا يجوز طلبه إلا من الله ﷻ- كما لا يخفى - والواقع من العامة والجهلة عند قبر البدوي والحسين وغيرهما من القبور المعظمة شاهد بذلك، كما أنه غير خاف على **سماحتكم** ما صح عن رسول الله ﷺ من لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، . . . . ولا شك أن الدفن فيها داخل في اتخاذ القبور مساجد الذي ورد في الأحاديث المذكورة: التحذير منه، ولعن من فعله. **فالواجب على سماحتكم العدول عن هذه الوصية** -إن كانت قد صدرت منك - وإعلان ذلك في الصحف المحلية، مع بيان أسباب العدول عنها؛ براءة للذمة، ونصحاً للأمة، وحرصاً على أن لا يظن **بسماحتكم** إجازة مثل هذا العمل الخطير المخالف للشريعة المحمدية، لا سيما وأنتم قدوة لعامة الناس، فاحذروا أن تسنوا سنة يكون عليكم وزرها، ومثل وزر من اقتدى بكم فيها أو أجازها إلى يوم القيامة. أما إن كان الخبر غير صحيح، فالواجب التنبيه على ذلك في الصحف الرائجة حتى يعلم براءتكم منه. وأسأل الله أن يجعلنا

وإياكم من دعاة الهدى وأنصار الحق، وأن يثبتنا وإياكم على دينه، إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

وقد جاء في رده على مفتي الأردن «فقد نشرت بعض الصحف المحلية منذ أمد قريب خبراً مفاده أن **فضيلة المفتي العام في الأردن** قد أفتى بإباحة تحديد النسل وأن الحكومة إذا قررته لزم العمل به، واشتهر هذا الخبر بين الناس وصار حديث المجالس لاستغرابه واستنكار المسلمين له، ومن أجل ذلك كثر السؤال عن حكم هذه المسألة وهل هذه الفتوى صواب أم خطأ فرأيت أن من الواجب على أمثالي بيان ما يدل عليه شرع الله ﷻ في هذه المسألة فأقول: اعلم أيها القارئ وفقني الله وإياك لإصابة الحق أني اطلعت على الفتوى المذكورة وتأملت ما **اعتمد عليه فضيلة المفتي العام في الأردن** في إصداره هذه الفتوى المشتملة على القول بإباحة تحديد النسل. . . .»[(٢)].

وأرسل رسالة لشيخ الأزهر هذا نصها: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة **الأخ المكرم سماحة شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، وفقه الله لما يحبه ويرضاه** سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد بلغني بالنشرة المرفقة تصريح **سماحتكم** لصحيفة الأخبار المتضمن إنكار صيام رمضان ٢٨ يوماً ثم قضاء اليوم الأول من رمضان باعتبار وقوع خطأ في تحديده. . . إلخ. **وأخبر سماحتكم أنني استغربت ما تضمنه هذا التصريح؛ لما أعلمه عن فضيلتكم من العلم والفضل وأن مثل هذا الحدث لا يخفى عليكم**، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ أن الشهر لا ينقص عن تسعة وعشرين يوماً، ومتى ثبت دخول شوال بالبينة الشرعية بعد صيام المسلمين ثمانية وعشرين يوماً، فإنه يتعين أن

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٨/ ٣٣٣ - ٣٣٤).
(٢) المرجع السابق، (٣/ ٣٢٦).

يكونوا أفطروا اليوم الأول من رمضان فعليهم قضاؤه؛ لأنه لا يمكن أن يكون الشهر ثمانية وعشرين يوماً، وإنما الشهر تسعة وعشرون يوماً أو ثلاثون. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء (٢٥) من فتاواه ص ١٥٤- ١٥٥ أن هذا حدث في زمن علي رضي الله عنه صاموا ثمانية وعشرين يوماً وأمرهم علي بصيام اليوم الذي نقصهم وإتمام الشهر تسعة وعشرين يوماً. فآمل التنويه على الصحيفة بالصواب، إذا كان قد **صدر من فضيلتكم** لها خلافه، ولا يخفى أن **فضيلتكم محل الثقة والاعتبار**، وسيأخذ بفتواكم من لا يحصيه إلا الله ويعتمدون عليها. ولوجوب التناصح بيننا والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى رأيت الكتابة إلى فضيلتكم في ذلك. والله المسئول أن يوفقنا جميعاً لإصابة الحق في القول والعمل، وأن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، إنه جواد كريم. أثابكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد»[(١)].

ورد الشيخ على د. يوسف القرضاوي في حكم الصلح مع اليهود في فلسطين إذا اقتضت المصلحة ذلك ليأمن الفلسطينيون في بلادهم ويتمكنوا من إقامة دينهم، وكان مما قال: «فهذا إيضاح وتعقيب على **مقال فضيلة الشيخ: يوسف القرضاوي** المنشور في مجلة (المجتمع) العدد (١١٣٣)... حول الصلح مع اليهود، وما صدر مني في ذلك المقال المنشور في صحيفة (المسلمون)... وقد أوضحت أنه لا مانع من الصلح معهم إذا اقتضت المصلحة ذلك، ليأمن الفلسطينيون في بلادهم، ويتمكنوا من إقامة دينهم. **وقد رأى فضيلة الشيخ يوسف أن ما قلته في ذلك مخالف للصواب؛ لأن**

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١٥/ ١٥٧ - ١٥٨).

اليهود غاصبون فلا يجوز الصلح معهم. . . إلى آخر ما ذكره فضيلته. وإنني أشكر فضيلته على اهتمامه بهذا الموضوع ورغبته في إيضاح الحق الذي يعتقده. ولا شك أن الأمر في هذا الموضوع وأشباهه هو كما قال فضيلته: يرجع فيه للدليل، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. وهذا هو الحق في جميع مسائل الخلاف؛ . . . . **ونقول للشيخ يوسف وفقه الله** وغيره من أهل العلم. . . . **ونقول أيضاً جواباً لفضيلة الشيخ يوسف. . . فأرجو من فضيلة الشيخ** يوسف وغيره من إخواني أهل العلم إعادة النظر في هذا الأمر بناء على الأدلة الشرعية، لا على العاطفة والاستحسان. . .»[(١)].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، ولولا خوف الإطالة لذكرت عشرات الردود والتى حوى مضمونها على إنزال العلماء منزلتهم، ومعرفته لهم بحقهم، فـ «كان إذا لاحظ ملحوظة على أحد من أهل العلم أبداها بكل لطف وأدب»[(٢)]. فرحم الله الشيخ رحمة واسعة.

وتظهر حكمة الشيخ في إنزال المخالف لمنزلته، ومعرفة فضله وحقه من أن القلوب تميل إلى من يحترمها ليكون أقرب للاستجابة لقبول الحق والعمل به، هذا مع الناس عامة فكيف إذا كان مع وجهاء الناس، وقد بين الشيخ أهمية استعمال الأسلوب الحسن في دعوة كبار القوم بقوله: «فالواجب على الداعي إلى الله أن يتحمل، وأن **يستعمل الأسلوب الحسن الرفيق اللين في دعوته للمسلمين والكفار جميعاً**، لا بد من الرفق مع المسلم ومع الكافر ومع الأمير وغيره **ولا سيما الأمراء والرؤساء والأعيان، فإنهم يحتاجون إلى المزيد من الرفق والأسلوب الحسن لعلهم يقبلون الحق**

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١٨/ ٤٥٤ - ٤٥٧).

(٢) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٢٦٢.

ويؤثرونه على ما سواه، وهكذا من تأصلت في نفسه البدعة أو المعصية ومضى عليه فيها السنون يحتاج إلى صبر حتى تقتلع البدعة وحتى تزال بالأدلة، وحتى يتبين له شر المعصية وعواقبها الوخيمة، فيقبل منك الحق ويدع المعصية. فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات»[(١)].

لقد كان الشيخ يعلم أن وصوله إلى هذا الصنف من المدعوين المخالفين في بعض المسائل لن يكون إلا بإنزالهم منزلتهم، فكان له طريقته الخاصة المشوقة في التعامل معهم، يحرص ألا يستعمل الشدة معهم، بل كان يتودد ويعتني بهم، ويضفي عليهم ألقابهم كسمو الأمير، وفخامة الرئيس، والأخ الكريم، وفضيلة الشيخ، وسماحة الدكتور، فكانت دعوته لهم في الغالب تؤتي ثمرتها المرجوة منها.

وكان يحرص رحمه الله على غرس هذا الأسلوب في نفوس الأمة خاصة أهل العلم منهم، لما له من أثر واضح في الدعوة، يقول رحمه الله: «ونحن بحمد الله في دولة إسلامية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله عز وجل وتحكم شرعه، **فالواجب التعاون** معها على الخير **وعلى إزالة ما يوجد من الشر بالطرق الحكيمة والأسلوب الحسن مع الإخلاص** لله سبحانه والصدق في العمل **وعلاج الأوضاع المحتاجة إلى العلاج بالطرق الشرعية حسب الطاقة فيما بيننا وبين ولاة الأمور وفقهم الله بالمكاتبة والمشافهة وبالتعاون مع العلماء بالمناصحة لهم**، وهكذا يجب على الدعاة إلى الله سبحانه في جميع الدول أن يعالجوا الأوضاع المخالفة للشرع المطهر بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب الحسن، **ويتعاونوا مع المسئولين على الخير ويتواصوا**

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (٦/ ٤١٧ - ٤١٨).

بالحق مع الرفق والتعاون مع الدولة بالحكمة حتى لا يؤذى الدعاة وحتى لا تعطل الدعوة، فالحكمة في الدعوة بالأسلوب الحسن وبالتعاون على البر والتقوى هي الطريق إلى إزالة المنكر أو تقليله وتخفيف الشر، ومن أهم ذلك الدعوة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية فهذا هو الطريق إلى العلاج والإصلاح ولو لم يحصل المطلوب كله لكن يحصل بعض الخير والتجاوب من الحكومة التي ينكرون عليها فيقل الشر ويكثر الخير»[(١)]. ويقول: «فعليك يا عبد الله أن تبتعد عن الخمول والانزواء وأن تبلغ أمر الله إلى عباد الله، وعليك أيضاً أن تنصح من استطعت نصيحته في كل مكان: أمير القرية، وعالم القرية، وقاضي القرية، وعريف القرية، ومن له شأن في القرية، وفي المدينة وفي القبيلة وفي كل مكان تتصل به اتصالاً حسناً، وتناصحه وتوجهه إلى الخير، وتتعاون معه على البر والتقوى بالأساليب الحسنة، بالعظة والتذكير بالكلام الطيب، بالرفق لا بالعنف. وهكذا مع الإمام الأعظم في الدولة، ومع الوزراء في مسئولياتهم، ومع القضاة ومع الدعاة ومع إخوانك في الله جميعاً تتعاون معهم. هكذا يكون طالب العلم»[(٢)]. فينصح الشيخ طلاب العلم والعلماء بمراعاة التلطف في مناصحة الوجهاء وإنزالهم منازلهم لتكون أقرب إلى قبولهم المناصحة، والعمل بها.

❊ ❊ ❊

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٧/ ٢٩٩ - ٣٠٠).

(٢) المرجع السابق، (٧/ ٢٢٣).

المطلب التاسع:

السعي في كسب المخالف والبعد عن جعله عدواً للدعوة

لقد كان من منهج الشيخ في التعامل مع المخالف حرصه الدائم على كسبه، فقد كان «لسماحة الشيخ رحمه الله منهج متميز مع المخالفين، ينطلق فيه من نصوص الشرع المطهر الآمرة بالصفح، وأخذ العفو، ودفع السيئة بالحسنة، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والبعد عن كل ما ينافي العدل والإنصاف، وشرف الخصومة. فكان منهج سماحة الشيخ مع المخالفين له أنه لا يحمل كلامهم ما لا يحتمل، ولا يتقول عليهم ما لم يقولوه، ولم يكن يذكرهم بسوء أو تجريح، بل كان يحترمهم، ويقدرهم، ويتناسى أخطاءهم في حقه، ويقبل عذر المعتذر إليه منهم، خصوصاً من له سابقة وفضل. وإذا زاره أحد من مخالفيه أظهر له الفرح والتسامح، ومزيداً من العناية، وأظهر له المحبة، والحفاوة على سبيل دعوته، وتطييب قلبه»[(١)]. بل الأعجب من ذلك أنه يخبر برجل اغتابه سنين عديدة من مخالفيه، متهما إياه بصفات بذيئة، ونعوت مرذولة وأنه يطلب منه السماح والعفو، فقال: أما حقي فقد تنازلت عنه، وأرجو الله أن يهديه ويثبته على الحق[(٢)].

لقد حبا الله الشيخ محبة الناس على اختلاف أصنافهم وطبقاتهم، وقد منحه الله هبة عظيمة وبراعة عجيبة في كسب المخالف، وذلك بحسن خلقه،

---

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ٢٧٧.

(٢) الإيجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٥١.

وترفقه في دعوته، وسماحته معهم، ومن أمثلة سماحة الشيخ مع مخالفه موقفه مع الشيخ الغزالي رحمه الله، ذكره الشيخ محمد الموسى رحمه الله حيث قال: «لما قدم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إلى الرياض لاستلام جائزته المقدمة من لجنة جائزة الملك فيصل العالمية زار سماحة الشيخ في منزله. وكانت في ذلك الوقت ضجة حول كتاب الشيخ محمد الغزالي «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث». وقد قرئ ذلك الكتاب على سماحة الشيخ. فلما زاره الغزالي احتفى به، وأكرمه، ولاطفه، وسأله عن الدعوة في الجزائر، وعن حاجتهم، وأخبره بأنه على أتم الاستعداد لدعمهم، وكان الشيخ الغزالي آنذاك رئيساً لجامعة في الجزائر.

وكان مجلس سماحته كالعادة عامراً بالزائرين والسائلين والمحتاجين والضيوف، وكان الهاتف لا يتوقف رنينه، وكان كتاب سماحته حوله يقرؤون، وهكذا... وكلما سنحت لسماحته فرصة التفت إلى الشيخ الغزالي وحياه ولاطفه، فأعجب الغزالي بما رأى، وكان ذلك بادياً عليه. وفي تلك الأثناء قال سماحته للشيخ الغزالي: لقد قرأت كتابكم المذكور، ولا يخفى عليكم أن البشر عرضة للخطأ، ونحن وغيرنا عرضة لذلك، وقد قرأت شيئاً من كتابكم، وعليه بعض الملحوظات. فقال الشيخ الغزالي: أنا يسعدني أن تكملوا قراءته، وأن توافوني بما تلاحظونه، وأنا إن شاء الله أصلحه، وذكر كلاماً نحو هذا.

وبينما كان سماحة الشيخ يرد على مكالمة هاتفية دار الحديث بين الشيخ الغزالي وبين أحد المشايخ الحاضرين وهو الشيخ خير الدين وائلي من سوريا، فقال الشيخ خير الدين: أنتم قلتم كذا وكذا، فانقض الغزالي عليه واشتد النقاش. ولما سمع سماحته كلامهما التفت إلى الغزالي، وقال ماذا عندكم؟. قال: كذا وكذا. فخاطبهما جميعاً بأن هذه المسائل ينبغي أن

توضع في إطارها، وأن نحرص كل الحرص على جمع كلمتنا والبعد عن الخلاف، فنحن أمام أمور كبار تتعلق بأصول المسائل، وسكن من غضبهما، وانتهى الجدال. وكان الشيخ الغزالي مدعوا للغداء، ولكنه تأخر على من دعاه، وجلس عند سماحة الشيخ وتناول معه الغداء.

ولما هم بالخروج ألقى نظرة على سماحة الشيخ وقال: نحن بخير ما دام فينا هذا الرجل. وبلغني أنه لما وصل إلى من دعاه قالوا له: لماذا تأخرت؟ قال: كنا في عالم ثان»[(١)].

ويذكر الشيخ «أبو عبدالرحمن بن عقيل وفقه الله الذي كان له مع الشيخ موقف جميل في المناصحة أثر في حياته وغيره من مساره. وذلك أنه حصل بينه وبين الشيخ خلاف حول مسألة إباحة الغناء، فكان سماحته يناصح الشيخ أبا عبدالرحمن في هذه المسألة ويتلطف به، فكتب الشيخ أبو عبدالرحمن مقالاً رائعاً في المجلة العربية في صفحته تباريح بعنوان بيني وبين الشيخ ابن باز، حيث بين فيه حسن تعامل سماحة الشيخ، ونصحه، وصدق نيته، وحرصه على هداية الناس. . . . وأوصاني بما تستأنس به القلوب. . . . وقد كان. . . . نعم الأب والمعين بعد الله. . . . وقد فتح الله قلبي لحسن نيته، ومنذ تلك اللحظة بشهور تقلص حب الغناء والطرب في وجداني، وتولدت عندي كراهة الغناء كراهة ما كنت أتصور حدوثها قط، فسبحان مقلب القلوب. . . . وهجرت أعز مجلس لدي، وأبقيت لسماحته الدعاء الصالح كلما ذكرته، فقد كان فاتحة خير لي دنيا وآخرة»[(٢)].

ويتضح أن الشيخ كان يحرص دائماً في السعي لكسب المخالف والبعد

---

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، إعداد د. محمد الحمد، ص ٢٨٠.

(٢) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ٢٥٤ - ٢٥٦.

عن تنفيره، ولن يحدث هذا إلا بحسن الأسلوب، والجدال بالتي هي أحسن، مع عبارة بينة واضحة، وحجة دامغة، وبرهان قوي، مع البعد عن الشدة والغلظة والفظاظة والخصومة، لذلك حرص الشيخ على التعامل مع المخالف متحلياً بهذه الصفات، وهدفه الأسمى كسب المخالف ما استطاع حتى ولو وقع منه بعض البدع أو الشركيات، أو تلبس بهما، لأن المقصد من هذا السعي هو هداية الناس وإرشادهم إلى طرق الخير والحق. ولن يتحقق ذلك إلا بالسعي لكسب الخصم بالأسلوب الحكيم والمعاملة الحسنة.

وإن كان الشيخ سلك هذا الأسلوب عملياً فإنه رغب فيه وحث العلماء وطلب العلم عليه، يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي أوصي به جميع إخواني من أهل العلم والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ هو **تحري الأسلوب الحسن والرفق في الدعوة وفي مسائل الخلاف عند المناظرة والمذاكرة في ذلك وأن لا تحمله الغيرة والحدة على أن يقول ما لا ينبغي أن يقول مما يسبب الفرقة والاختلاف والتباغض والتباعد**، بل على الداعي إلى الله والمعلم والمرشد أن يتحرى الأساليب النافعة والرفق في كلمته حتى تقبل كلمته وحتى لا تتباعد القلوب عنه، . . . .»[(١)]. وقال: «فالواجب على الداعي إلى الله أن يتحمل، وأن يستعمل الأسلوب الحسن الرفيق اللين في دعوته للمسلمين والكفار جميعاً، لا بد من الرفق مع المسلم ومع الكافر ومع الأمير وغيره ولا سيما الأمراء والرؤساء والأعيان، فإنهم يحتاجون إلى المزيد من الرفق والأسلوب الحسن لعلهم يقبلون الحق ويؤثرونه على ما سواه، وهكذا من تأصلت في نفسه البدعة أو المعصية ومضى عليه فيها السنون يحتاج إلى صبر حتى تقتلع البدعة»[(٢)]. وقال: «الأسلوب الحسن في الدعوة والنصح

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/ ١٥٥).
(٢) المصدر السابق، (٦/ ٤١٧).

والأمر والنهي من أسباب القبول وعدم النفرة، وضد ذلك الأسلوب السيئ الذي يسبب النفرة. ولذا نبه الله تعالى المؤمنين على ذلك»[(١)].

وهكذا سعى الشيخ رحمه الله لكسب المخالف له، وحث طلاب العلم والدعاة إلى الله إلى امتثال هذا المنهج في دعوتهم للمخالفين، فكان له الأثر الكبير في دعوة المخالف.

* * *

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٧/ ٢٤٩).

المطلب العاشر:

العدل والإنصاف في الحكم على المخالف

كان من منهج الشيخ في التعامل مع المخالف الإنصاف والتجرد والعدل، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقطع كل سبيل أو طريق يكون فيه استصغاراً لمخالفيه، أو انتقاصاً من شأنهم.

فمن عدله وتجرده وإنصافه رَحِمَهُ اللَّهُ «أنه إذا قرئ عليه لعالم أو كاتب ما، وأحس من القارئ تذمراً، أو سمع منه كلمة فيها فضاضة أو غلظة تقال في حق المقروء له أظهر سماحته احترام ذلك المقروء له، وأثنى عليه بما هو أهله، وقال: فيه خير كثير، وليس معصوماً، ولسنا معصومين، وكلنا ذوو خطأ، وهذه صفات البشر»[(١)].

ومما يدل على عدل الشيخ وإنصافه في الحكم على المخالف موقفه مع الشيخ سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ، فعلى الرغم من مأخذ الشيخ على الشيخ سيد قطب، وبيانه لما أخطأ فيه، لكنه في عموم أحواله وعلى الرغم من المآخذ التي أخذها الشيخ عليه لكنه لا يخرجه عن دائرة الإسلام وعن أهل السنة، فقام الشيخ بما أوجبه الله عليه من نصرة المظلوم لما حكم عليه بالإعدام ظلما، فكتب إلى الحاكم آنذاك يبين له حرمة دم المسلم، ويذكره بالله عَزَّوَجَلَّ[(٢)]. والظن بالشيخ سيد خير، فلو اطلع بنفسه على ما كتبه وبين له لرجع، لأنه

(١) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد الحمد، ص٢١٨.
(٢) انظر: علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ص ٩١.

من المتوقع أنه لا يحب أن ينشر قوله المخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

يقول الشيخ محمد الموسى رحمه الله: «عندما أصدرت محكمة البغي قرارها بإعدام سيد قطب وإخوانه اعترى الشيخ ما يعتري كل مؤمن من الغم في مثل النازلة التي لا تستهدف حياة الأبرياء المحكومين بقدر ما تستهدف الإضعاف من منزلة الإسلام نفسه بإرهاب المعتصمين به لتخذيلهم عنه. وكلفني الشيخ يومئذ صياغة البرقية المناسبة لهذا الموقف فكتبتها بقلم يقطر ناراً وكرها وغيرة، وجئته به وملئي اليقين بأنه سيدخل على لهجتها من التعديل ما يجعلها أقرب إلى لغة المسؤولين منها إلى لغة المنذرين، ولكنه حطم كل توقعاتي حين أقرها جميعاً، ولم يكتف حتى أضاف إليها قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[(١)]، وأرسلت يومئذ البرقية التي كانت فيما أظن الوحيدة من أنحاء العالم الإسلامي بهذه المناسبة بما تحمله من عبارات أشد على الطغاة من لدغ السياط»[(٢)].

فنجد أن الشيخ قام بما أوجبه الله عليه من نصرة المظلوم، وهذا لم يمنعه أن يسكت عما أخطأ فيه، بل بين ما أخطأ فيه وحذر منه بإنصاف وعدل، دون تكفير أو ثناء على الشخصية برمته، كما غالى في شخصيته بعض العلماء ودافعوا عنه بكل ما أوتوا من قوة؛ وبين من كفره وأخرجوه من دائرة الإسلام، فكان موقف الشيخ منه موقف المعتدل المنصف المتجرد

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) جوانب من سيرة الإمام، ص ٥٤٥، وشخصية الشيخ عبد العزيز بن باز الفكرية والثقافية، ص٥١.

من الهوى، ففرق الشيخ بين سب الصحابة جميعهم وبين سب واحد من الصحابة أو الخطأ في بعضهم، فبين أن فعل الأول كفر، والثاني منكر وفسق. وكذلك بين الخطأ بجهل وبدون قصد والخطأ بقصد.

يدل على ذلك لما ذكر عند الشيخ كلام الشيخ سيد قطب في كتابه كتب وشخصيات، عن معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إن معاوية وزميله عمرواً لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بمداخل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة، وشراء الذمم لا يملك على أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح»[(١)].

فلما سمع الشيخ هذا الكلام وسئل عن حكمه قال: كلام قبيح، هذا كلام قبيح؛ سب لمعاوية، وسب لعمرو بن العاص؛ كل هذا كلام قبيح، وكلام منكر. معاوية وعمرو ومن معهما مجتهدون أخطأوا، والمجتهدون إذا أخطأوا فالله يعفوا عنا وعنهم. قال السائل: قوله: إن فيهما نفاقاً أليس تكفيراً. قال الشيخ عبدالعزيز رحمه الله: هذا خطأ وغلط لا يكون كفراً؛ فإن سبه لبعض الصحابة، أو واحد من الصحابة منكر وفسق يستحق أن يؤدب عليه، نسأل الله العافية، ولكن إذا سب الأكثر أو فسقهم يرتد لأنهم حملة الشرع، إذا سبهم معناه قدح في الشرع. قال السائل: ألا ينهى عن هذه الكتب التي فيها هذا الكلام؟، قال الشيخ رحمه الله: ينبغي أن تمزق. ثم قال الشيخ: هذا في جريدة؟، قال السائل: في كتاب أحسن الله إليك، قال الشيخ لمن؟،

(١) كتب وشخصيات، سيد قطب، ص ٢٤٢.

قال السائل: لسيد قطب، قال الشيخ: هذا كلام قبيح. والشيخ له مواقف عدة يرد فيها على بعض الأخطاء التى أخطأ فيها الشيخ سيد قطب[١].

ويتضح مما سبق أن الشيخ سلك مع المخالف العدل والإنصاف، وفرق بين الوقوع في أكثر الصحابة وصحابي، فمن وقع في أكثر الصحابة فهذا كفر لأنه قدح في الشرع، أم الوقوع في صحابي أو قليل بسبب جهله في هذا الموضوع، أو معلومات خاطئة وصلت إليه فإن ذلك منكر وفسق. وهذا من تجرده وإنصافه رحمه الله.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: أصول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، فيصل الجاسم، ص ٢٦١ - ٢٦٤، دار البشائر الإسلامية، ط١/ ١٤٢٩ - ٢٠٠٨م.

المطلب الحادي عشر:

التوازن في التعامل مع المخالف

من منهج الشيخ في التعامل مع المخالف التوازن والموضوعية في التعامل مع المخالف، ومن أمثلة ذلك لما سئل عن جماعة التبليغ، بين الشيخ ما لهم وما عليهم، فهو وإن خالفهم في فكرهم ومنهجهم إلا أنه توازن في الحكم عليهم، وبيان محاسنهم والمآخذ التى تؤخذ عليهم.

فقد أرسل إليه شخص من أمريكا رسالة يقول فيها: «خرجت مع جماعة التبليغ للهند والباكستان، وكنا نجتمع ونصلي في مساجد يوجد بها قبور، وسمعت أن الصلاة في المسجد الذي يوجد به قبر باطلة، فما رأيكم في صلاتي؟ وهل أعيدها؟ وما حكم الخروج معهم لهذه الأماكن؟.

فرد الشيخ بقوله: بسم الله، والحمد لله، أما بعد: «جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة، فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير؛ لأنهم نشيطون في عملهم، لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم، وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة. رزق الله الجميع الفقه في الدين والثبات عليه. أما الصلاة في المساجد التي فيها القبور فلا تصح، والواجب إعادة ما صليت فيها؛ لقول النبي ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». متفق على صحته، وقوله ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم

وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك، أخرجه مسلم في صحيحه. والأحاديث في هذا الباب كثيرة[١].

ولما سئل بماذا تنصح من يريد أن يخرج مع جماعة التبليغ؟. كانت إجابة الشيخ: «جماعة التبليغ - أسأل الله أن يوفقني وإياهم جميعاً للخير - هم أناس يدعون ويتظاهرون بأنهم يخرجون لكي يذكروا الناس ولكي يرشدوهم، ويقولون: نحن لا نأمر من خرج معنا ولا ننهاه، ولا نقول: هذا حسن ولا هذا سيئ يكفيه أن يخرج معنا يقتدي بنا، نترك كل من خرج على ما هو عليه دون أن نقول: أنت محسن أنت مسيء، وإنما نكتفي منه بالخروج، فلعل الخروج أن يحوله من حال إلى حال - هكذا هم يقولون - وهم يشتغلون بأذكار الصباح والمساء وأنواع من النوافل فقط، لا يوجد منهم من يعلم أو يفقه في الدين ولا يهتمون بذلك وليس عندهم بصيرة ولا اهتمام في مسائل العقيدة، ولهذا يؤخذ عليهم تلك المآخذ وإن كان قصدهم حسنا وكونهم بهذه الحال مع تحديد مدة خروجهم بأربعين يوماً أو أشهراً فإنه لا يجوز الخروج معهم إلا إن كان عالماً لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة حتى يرشدهم وينصحهم ويبين لهم الحق ويبصرهم بأمور دينهم، أما مجرد خروج مع بعد عن الفقه في الدين فلا أعلم لهذا أصلا، نسأل الله أن يهدي الجميع لما فيه الخير في الدنيا والآخرة»[٢].

لقد كان الشيخ رحمه الله «يتعامل مع الجماعات الإسلامية بأجمل أسلوب، وأحسن وسيلة، يأتي إليه أحياناً بعض الناس وهم يفيضون غضباً، ويمتلؤن حماساً للرد على عالم معين، أو مفكر، أو على جماعة، ويذكرون من الأخطاء والعيوب والملاحظات عليه أو عليهم الشيئ الكثير، فلم يكن رحمه الله

(١) مجلة البحوث الإسلامية، (٥٠/ ٨٦).
(٢) المصدر السابق، (٦٨/ ٦٠).

يندفع وراء تلك المقولات، أو يتعامل بذلك الأسلوب، بل يتأكد ويتثبت من الأمر أولاً، فإذا عرف ملاحظة شرعية أو مخالفة دينية قدم نصيحة بأحسن عبارة، وأصدق بيان، ولم يكن ينال من الجماعات الإسلامية، أو يشهر بأخطاء المخطئ منهم، بل إذا سئل عن جماعة قال: هم على خير كبير ونفع الله بجهودهم، ولديهم بعض الملاحظات، وكتبنا لهم بذلك نسأل الله أن يهدينا وإياهم... كان ينصح من خالف الحق، ويدعو له بالهداية، ويبين بعض الجوانب الإيجابية لدى هذه الاتجاهات ويشجعها ويدعو لتوجيهها الوجهة المناسبة، ويؤكد على تلك الاتجاهات بضرورة سلوك منهج السلف في فهم الدين، والعمل به، كما كانت علاقته ببعض قيادات تلك الجماعات علاقة طيبة، قامت على التناصح والمحبة في الله، فكان يوجه لهم الخطابات التي يوضح فيها وجهة نظره فيما يراه خطأ وقع فيه بعضهم، وكان أسلوبه في النصح غاية في الرفق، والرغبة في إيضاح الحق للمخالف، ولم يكن يلجأ رَحِمَهُ اللَّهُ للتحذير العام إلا في الحالات التي ينتشر فيها الخطأ بين الناس»[(١)].

لقد سلك الشيخ في التعامل مع المخالفين مسلك التوازن والموضوعية فبين ما لهم وما عليهم، مع مخالفته لهم في منهجهم، إلا أنه من تمام العدل التوازن في الحكم عليهم، متحلياً بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

ويتضح توازن الشيخ وموضوعيته في التعامل مع الولاة إن أخطأوا أو خالفوا الصواب والحق في بعض الأمور فكان منهجه إرشادهم وبيان

(١) منهج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الدعوة إلى الله، ص ٣٦٠ - ٣٦٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

واجباتهم، مع عدم إغفال محاسنهم وما يقومون به من خدمة للإسلام والمسلمين، مما يتحتم على الرعية مساعدتهم ونصيحتهم بدون تشهير، فنجد توازن الشيخ في التعامل مع بعض الولاة وإن خالف الشرع في بعض الأمور، فلا هو أمر بمداهنتهم أو منافقتهم، ولا هو أمر بالخروج عليهم والتشهير بهم، بل توازن الشيخ في التعامل معهم، وبين ما ينبغي فعله تجاههم، فقال رحمه الله: «الواجب على الرعية مساعدة الدولة في الحق والشكر لها على ما تفعل من خير والثناء عليها بذلك. يجب عليهم معاونة الدولة في إصلاح الأوضاع فيما قد يقع فيه شيء من الخلل بالأسلوب الطيب وبالكلام الحسن لا بالتشهير وذكر العيوب في الصحف وعلى المنابر ولكن بالنصيحة وبالمكاتبة والتنبيه على ما قد يخفى حتى تزول المشاكل وحتى يحل محلها الخير والإصلاح وحتى تستقر النعم ويسلم الناس من حدوث النقم ولا سبيل إلى هذا إلا بالتناصح والتواصي بالخير - والواجب على الدولة - وفقها الله - أن تجتهد فيما يكون قد وقع من خلل في إصلاحه، وأن تجتهد في كل ما يرضي الله عز وجل ويقرب إليه - وفي إزالة كل ما نهانا عنه الله عز وجل وأن تقوم بواجبها في إصلاح ما هو مخالف للشرع، وأن تجتهد في إزالة ذلك بالتعاون مع العلماء والموظفين والمسئولين الطيبين والصالحين ومع هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(١)].

تلك كانت أبرز معالم منهج الشيخ في التعامل مع المخالف، فرحم الله الشيخ رحمة واسعة، وغفر اللهم لنا وله، ورفع درجته في عليين، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٧/ ١٢٦ - ١٢٧).

المبحث الثاني :

حكمة الشيخ ابن باز في اختيار الوسائل والأساليب الدعوية المثلى في دعوة المخالف

- ويشتمل على مطلبين :
- المطلب الأول : اختيار الوسائل المناسبة والوقت المناسب في دعوة المخالف .
- المطلب الثاني : انتقاء الأساليب الدعوية المناسبة لحال المخالف

المبحث الثاني:

حكمة الشيخ ابن باز في اختيار الوسائل والأساليب الدعوية المثلى في دعوة المخالف

الوسائل والأساليب الدعوية لها أهمية في وصول الدعوة إلى جميع أصناف المدعوين بما فيها دعوة المخالف، وقد بين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أهمية استخدام الوسائل الدعوية في وصول الدعوة إلى المدعوين، حيث يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أن من الواجب على الداعية أن يستقيم في أقواله وأفعاله، وأن يكون قدوة صالحة للمدعوين في سيرته وأخلاقه وأعماله ومدخله ومخرجه وكل شئونه، إن **العالم بحاجة إلى تيسير وسائل الدعوة وإيضاحها وتسهيل العقبات والصعوبات التي تقف في طريق الداعية.** المسلمون اليوم في أشد الحاجة إلى الدعاة الصالحين، إلى العلماء المبرزين، إلى الذين يدعونهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ويوضحون لهم معاني كتاب الله وسنة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ويبينون لهم سيرته - عليه الصلاة والسلام - وسيرة أصحابه - رضي الله عنهم وأرضاهم -. المسلمون اليوم بل العالم كله في أشد الحاجة إلى بيان دين الله وإظهار محاسنه وبيان حقيقته، والله لو عرفه الناس اليوم ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجاً اليوم كما دخلوا فيه أفواجاً بعدما فتح الله على نبيه مكة - عليه الصلاة والسلام-»[(١)].

وحث الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ طلاب العلم على استخدام الوسائل المشروعة في

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٢٧/ ٣٧٤).

دعوة المخالفين، والحرص على دعوة المخالفين بالوسائل التي يستخدمونها، أي بنفس الأسلحة التى يستخدمونها بشرط مشرعيتها، حيث يقول رحمه الله: «فعلينا معشر الدعاة إلى الله ومعشر العلماء ومعشر المسلمين جميعاً في كل مكان أن لا نيأس وأن نحسن ظننا بمولانا جل وعلا، وأن نرجوه حسن العاقبة والتوفيق في أعمالنا وجهودنا لكن بعد أن نبذل الوسع وبعد أن نصدق فيما بيننا وبين الله وفيما بيننا وبين أنفسنا. **ونتخذ الوسائل التي شرعها الله لنا في الدعوة إلى الله ومكافحة أعدائه بالأسلحة التي يستعملونها، وبما هو خير** منها: ثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية وغير ذلك. فننظر في جهودهم وأعمالهم، وننظر في أساليبهم وأسلحتهم الخبيثة، ونقاومها بضدها مع الصدق والإخلاص لله والتعاون الصادق بيننا جميعاً مع سؤال الله عز وجل التوفيق والنجاح في أعمالنا وأقوالنا وسائر أحوالنا، إن أعداءنا لا يفترون وإنهم يتربصون بنا الدوائر. فعلينا أن نعد العدة دائماً وأن نتكاتف ونتعاون في سبيل الحق والدعوة إليه والرد على الباطل وخصومه»[(١)].

لقد أدرك الشيخ ابن باز أهمية استخدام الوسائل والأساليب الدعوية في دعوة المخالف فحرص رحمه الله عملياً على ذلك، وحث طلابه على استخدام هذه الوسائل قولاً، والوقوف صفاً واحداً لمكافحة ومحاربة المذاهب الهدامة بكل وسيلة مشروعة، حيث يقول رحمه الله: «على جميع الدول الإسلامية في جميع أقطار الدنيا أن يساعدوا المسلمين في هذه المنطقة التي ابتليت بهذه المذاهب الهدامة من تنصير وشيوعية، وبوذية وإباحية، وغير ذلك. وعلى علماء الإسلام في كل مكان أن يبذلوا الوسع في مساعدة إخوانهم من العلماء والدعاة في هذه المنطقة حتى يكافحوا جميعاً هذا

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/ ١٩٧).

الخطر الداهم وحتى يتعاونوا جميعاً في محاربته بكل وسيلة من الوسائل الشرعية. ولا ريب أن تثبيت الإسلام في هذه المنطقة والدعوة إليه ومكافحة خصومه يحتاج إلى جهود عظيمة وعناية مستمرة ونرجو أن يكون له المستقبل فيها وفي غيرها وأن يكلل الله جهود الدعاة إليه والمصلحين والعلماء بكل نجاح وتوفيق. لكن يجب على العلماء والدعاة إلى الله أينما كانوا أن ينظروا في الأدواء أولاً ويجتهدوا في جمع المعلومات عنها في هذه المنطقة التي نحن بصددها وهي منطقة شرق آسيا، على العلماء والدعاة إلى الله المحليين وغيرهم من الدعاة الوافدين إلى هذه الدول أن يعنوا بمعرفة الأدواء ومعرفة أساليب الأعداء في التنصير وغيره حتى يضعوا الدواء على الداء وحتى يتوصلوا إلى العلاج الناجع بإذن الله»[(١)].

وإن كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يدرك بما حباه الله من بصيرة أهمية استخدام الوسائل والأساليب في دعوة المخالف فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد استخدمهما في دعوة المخالف، وكان يحرص على استخدام الوسيلة والأسلوب الأجدى في دعوة المخالف، وهذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل، وقد قسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: اختيار الوسائل المناسبة والوقت المناسب في دعوة المخالف.

المطلب الثاني: انتقاء الأساليب الدعوية المناسبة لحال المخالف.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/ ١٩٥).

المطلب الأول:

اختيار الوسائل المناسبة والوقت المناسب في دعوة المخالف

لقد أدرك الشيخ أهمية استخدام الوسائل الدعوية في دعوة المخالف، فبين أهمية التعاون والتكاتف في هذا الأمر، وبين أهمها وأجداها وأنفعها، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «ونظراً إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في الكثير من البلدان، وغير ذلك من الدعوات المضللة، نظراً إلى هذا فإن الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ اليوم أصبحت فرضاً عاماً، وواجباً على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان **بالكتابة والخطابة، وبالإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا، وأن لا يتقاعسوا عن ذلك، أو يتكلوا على زيد أو عمرو**، فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك، والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل، ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة، للصد عن سبيل الله والتشكيك في دينه، ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله عَزَّ وَجَلَّ، فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط الملحد بنشاط إسلامي، وبدعوة إسلامية على شتى المستويات، وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله»[(١)].

ولقد سلك الشيخ في دعوة المخالف عدة وسائل راعى فيها: مناسبتها

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ٣٣٣).

لحاله، ومعرفته بأنها أجدى لدعوته. **ومن أهم الوسائل الدعوية التي استخدمها الشيخ ابن باز في دعوة المخالف ما يأتي:**

أولًا: اختيار وسيلة الرسائل في دعوة المخالف

ووسيلة الرسائل وسيلة فاعلة في وصول الدعوة إلى المخالف، ولها تأثير كبير، وقد «كان سماحة الإمام كثير المراسلات إلى فئات كثيرة من الناس؛ فهو يراسل الملوك، والرؤساء، والأمراء، والعلماء، والقضاة، وطلاب العلم، . . . . **وكان يراسل المخالفين**، والمتنازعين، وغيرهم»[(١)].

وقد كثرت رسائل الشيخ في مناصحة ودعوة المخالفين له، ومن الأمثلة التي تدلل على ما ذكرت ما يلي:

رسائله لبعض السلاطين والأمراء المخالفين، مبتعداً عن التشهير والتجريح والتعنيف، متحلياً بالسرية، وإنزال الأمير أو السلطان منزلته، يتعامل معه بما يستدعيه المقام، ويقتضيه الحال.

إنها نظرة الشيخ الصادقة في دعوة هذا الصنف إذا خالفوا الشرع من بعض الأمور، يعلم طبائع نفوسهم، وما يؤثر فيها، وما يترتب على ملاينة الكلام واستمالتهم من أثر عظيم في الدعوة الإسلامية، وما يترتب على نفرتهم ووجود الجفوة بينهم من آثار سيئة على الدعوة. لذلك حرص الشيخ على دعوة المخالفين منهم بما يتناسب مع طبائعهم.

ومن أمثلة ذلك رسالة أرسل بها إلى بعض أمراء الخليج، جاء فيها: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأمير المكرم. . . . . وفقه الله ونصر به الحق آمين.

---

(١) حوار من القلب مع سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله، نبيل بن محمد محمود، ص ١٣٦.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

فقد كتب إلي بعض الناصحين عن قبر يوجد في بلدكم، وذكر أنه يعبد من دون الله، ونرفق لكم نسخة من رسالته ومعها صورتان للقبر المذكور، فأرجو من سموكم التكرم بالأمر على من يلزم بهدم هذا القبر، ومنع الناس من الغلو فيه، والذبح لصاحبه؛ لأن الغلو في القبور من أعمال الجاهلية الأولى، والتقرب إلى أهلها بالذبح أو بالنذور، أو بالاستغاثة وطلب المدد - كله شرك بالله ﷻ، وكله من أعمال الجاهلية الأولى، فالواجب على حكام المسلمين منع ذلك والقضاء عليه.

وينبغي أن ينقل رفات القبر إلى المقبرة العامة، على أن يحفر له عدة قبور ويوضع الرفات في أحدها ثم يسوى الجميع على صفة القبور حتى يخفى على الناس وحتى لا يعرف خشية الغلو فيه مرة ثانية، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعل هذا العمل في قبر دانيال الذي كانت الفرس تغلو فيه، فأمر أن يحفر له ثلاثة عشر قبراً نهاراً ثم يدفن في أحدها ليلاً ثم تسوى القبور حتى يخفى أمره على الناس.

جعلكم الله مباركين أينما كنتم ونصر بكم دينه ووفقكم لما يحبه ويرضاه وحمى بكم حمى الشريعة المطهرة من كل ما يخالفها إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد»[(١)].

وأرسل رسالة إلى صاحب السمو الشيخ أحمد آل الثاني جاء فيها: «من عبدالعزيز بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب السمو الشيخ أحمد بن علي آل ثاني وفقه الله لكل خير، وبارك في حياته آمين.

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٢٢٨).

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعده يا محب بلغني من بعض الثقات أنه يوجد في دبي في ظاهر البلد من جهة الغرب في موضع يسمى الحظيبة بالقرب من مضيق والدكم الشيخ علي حفظه الله قبر يعبد من دون الله، ويدعى ويستغاث به، وقد تكدرت لذلك كثيراً.

ولا يخفى أن الواجب علينا وعليكم وعلى سمو الشيخ راشد بن سعيد بن مكتوم هو الحرص على توحيد الله، والقضاء على الشرك، وسد الذرائع.

لذلك فقد كتبت للشيخ راشد بطلب تسوية القبر المذكور، ومنع وصول الجهال إليه، ورأيت الكتابة إليكم لما بينكم وبينه من الصلة راجيا التكرم بالكتابة إلى سموه في الموضوع؛ لأنكم من خير من يشجع على حماية جناب التوحيد، والقضاء على الشرك.

وفقكم الله لما فيه رضاه، وجعلنا جميعاً من المتعاونين على البر والتقوى؛ إنه خير مسؤول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة»[(١)].

لقد كان الشيخ يكثر من دعوة القادة والسلاطين المخالفين له، ويدعوهم إلى تحكيم الشريعة الإسلامية في كافة مناحي الحياة، يتضح ذلك من خلال كم الرسائل الذي أرسله لرؤساء الدول، يقول الشيخ محمد الحمد: «أما حكام الدول الإسلامية فكان كثيراً ما يكاتبهم، ويناصحهم بتطبيق الشريعة، ويبين لهم فضائل ذلك، ويحذرهم من الظلم، والحكم

(١) الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد بن موسي الموسي، ود/ محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٦٦٩.

بغير ما أنزل الله، وكان يناصحهم كثيراً في أمور شتى كإقامة صلاة الاستسقاء حال الجدب، وكرفع الظلم عن المضطهدين. وكان يكاتبهم بشأن الشفاعة لبعض الدعاة، ونحو ذلك من الأمور التي كان يكاتبهم بشأنها. وكم حقق الله على يديه بهذا المنهج من خير، وكم درأ الله به من فتنة؛ فرحمه الله، وأجزل مثوبته»[(١)].

ويتضح من خلال ما سبق أن الشيخ سلك في دعوة هذا الصنف من المدعوين المخالفين له وسيلة الرسائل، وراعى فيها اختيار الوقت المناسب، ومناسبة الخطاب لحال المخاطبين.

وإن كان الشيخ قد سلك وسيلة الرسائل في دعوة المخالفين له من الأمراء والسلاطين فإنها أيضاً سلكها مع العلماء، ومن ذلك ما يلي:

أرسل رسالة إلى الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ بين له فيها بعض الأخطاء التى وقع فيها، بأسلوب يتقاطر أدباً، وراعى مقام الشيخ ومكانته، فأثنى عليه وسأل عن حاله، ثم بدأ في بيان التناصح مقترناً ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «من عبدالعزيز بن باز إلى حضرة الأخ في الله والمحبوب فيه الشيخ الفاضل العلامة أحمد شاكر زاده الله من العلم والإيمان ومنحنى وإياه الفهم الصحيح في السنة والقرآن آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو على جميع نعمه، وأسأله تعالى أن يوزعني وإياكم شكرها، وأن يمن علينا جميعاً بالفقه في دينه، والثبات عليه، والبصيرة في أحكامه، وحسن الدعوة إليه، وأن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن، ونزغات الشيطان؛ إنه سميع قريب.

---

(١) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد الحمد، ص ٢٧٦.

أخي لقد كنت منذ أمد طويل مشتاقاً إلى مكاتبة فضيلتكم للتعارف، والتذاكر، والسلام عليكم، والاستفسار عن صحتكم، ومن لديكم من الأولاد، والإخوان في الله، وإبداء ما أُكنه لديكم من المحبة في الله. ولكن لم يقدر ذلك إلا هذا الوقت؛ لقلة الفراغ، وتزاحم الأشغال المتعلقة بالقضاء والتعليم، أحسن الله لي ولكم العاقبة آمين.

وإني لأدعو الله كثيراً لفضيلتكم على ما من به عليكم من خدمة السنة، ونفع المسلمين بإبراز المسند العظيم بهذا الوضع الجليل الجامع بين فائدتين عظيمتين: إحداهما: إبقاء المسند بحاله، والثانية: بيان حال أسانيده والتنبيه على ما هناك من غريب أو خطأ، أو اختلاف نسخ مع ما انضم إلى ذلك من الأحاديث، وفهرستها بفهرس نافع واف بالمطلوب، مريح للطلاب؛ فجزاكم الله عما فعلتم خيراً، وضاعف لكم الأجر، وزادكم من العلم والبصيرة، وختم لي ولكم ولسائر المسلمين بالخاتمة الحسنة؛ إنه ولي التوفيق.

ثم أشعر فضيلتكم أني لما قرأت كلمة الحق المنشورة في مجلة الهدى الصادرة في ربيع أول سنة ٧١ وجدت فيها مواضع لم تظهر لي حجة ما اعتمده فضيلتكم فيها وأحببت مذاكرتكم في ذلك؛ ليظهر الصواب للجميع؛ أداء لواجب التناصح، والأخوة الإيمانية، جعلني الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعملون، وهذا بيان المواضع:

الأول: قلتم في صفحة ١٣ يجب على كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم، وأن يقتلهم حيثما وجدوا مدنيين كانوا أو عسكرين الخ.

أقول هذا التعميم والإطلاق فيه نظر؛ لأنه يشمل المسلمين الموجودين في مصر وغيرهم.

والصواب أن يستثنى من ذلك من كان من المسلمين رعية لدولة أخرى

من الدول المنتسبة للإسلام التي بينها وبين الإنجليز مهادنة؛ لأن محاربة الإنجليز لمصر لا توجب انتقاض الهدنة التي بينها وبين دولة أخرى من الدول الإسلامية، ولا يجوز لأي مسلم من رعية الدولة المهادنة محاربة الإنجليز؛ لعدوانهم على مصر وعدم جلائهم عنها.

والدليل على ذلك قوله سبحانه في حق المسلمين الذين لم يهاجروا: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[(١)]. ومن السنة قصة أبي جندل وأبي بصير لما هربا من قريش وقت الهدنة، والقصة لا تخفى على فضيلتكم»[(٢)].

وأرسل الشيخ رسالة إلى البوطي يرد فيها على كلام يخالف العقيدة ويوقع في الشرك، جاء فيها: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى فضيلة الأخ المكرم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي وفقه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد تأملت ما ذكرتم في رسالتيكم المؤرختين في ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ وفي ٧/ ٦ / ١٤٠٦هـ، وقد سرني كثيراً حرصكم على البحث عن الحق الذي هو ضالة المؤمن، ولا شك أن الحق لا يرتبط بالمذهبية، كما أنه لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون به. أما الملاحظات التي استشكلتموها وهي:

(الملاحظة الأولى): ما ذكرتم في ص ١٤٤ من الكتاب وهو (لا مانع من أن نلتمس منهم البركة والخير) وقصدكم بذلك أحمد البدوي وأحمد الرفاعي وعبد القادر الجيلاني وأمثالهم، وقد أشكل عليكم أن يكون هذا من الشرك الأكبر، وذكرتم ما فعلته أم سليم وأم سلمة وأبو أيوب الأنصاري

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٢) الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد بن موسى، ود. محمد الحمد، ص ٥٩٣ - ٥٩٥.

من التماس البركة في جسد النبي ﷺ، ولا شك أن هذا تبرك خاص بالنبي ﷺ ولا يقاس عليه غيره؛ لأمرين:

الأول: ما جعله الله سبحانه في جسده وشعره من البركة التي لا يلحقه فيها غيره.

الثاني: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا ذلك مع غيره كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من كبار الصحابة، ولو كان غيره يقاس عليه لفعله الصحابة مع كبارهم الذين ثبت أنهم من أولياء الله المتقين بشهادة النبي ﷺ لهم بالجنة، وهذا يكفي، دليلا على ولايتهم وصدقهم. . . .»[(١)].

وأرسل الشيخ ابن باز رحمه الله رسالة لشيخ الأزهر الشيخ عبدالحليم محمود رحمه الله يبين له ما يترتب على تصوير فيلم عن النبي ﷺ من المفاسد والأضرار، وأبدى له دهشته واستغرابه من إقرار الأزهر لإخراج الفلم المذكور، ثم بين له واجبه تجاه الفيلم، وكانت نص الرسالة: «من عبدالعزيز بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب السماحة الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الجامع الأزهر وفقه الله لكل خير آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفظكم الله أخبركم بأني علمت بأن مجلة المجتمع الكويتية نشرت خبراً في عددها ١٦٢ الصادر بتاريخ ٩/ ٧/ ١٣٩٣هـ تحت عنوان «فيلم محمد رسول الله».

وقد تضمن الخبر المذكور أنه خلال الأيام الماضية تم التوقيع على عقد تأسيس الشركة العربية للإنتاج السينمائي العالمي، وتولى التوقيع ممثلوا حكومات ليبيا والمغرب والبحرين، وأن الشركة المذكورة تعاقدت مع المخرج مصطفى العقاد لإنتاج فيلم عن النبي ﷺ حياته وتعاليمه بالسينما

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٤/ ٣٥٣).

سكوب والألوان يستمر عرضه ثلاث ساعات، ويخرج بعشرين لغة عالمية بما فيها العربية، وذلك بالاستناد إلى قصة أقرها الأزهر، والمجلس الشيعي الأعلى، واشترك في صياغتها توفيق الحكيم، وعبدالحميد جودة، والسحار، وعبدالرحمن الشرقاوي.

انتهى الخبر المذكور؛ ولكون المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة قد قرر تحريم إخراج فيلم عن النبي ﷺ وتحريم تمثيل الصحابة رضي الله عنهم وذلك في المادة السادسة من قراره المتخذ في دورته الثالثة عشرة المنعقدة خلال المدة من ١ شعبان ١٣٩١هـ إلى ١٧ شعبان ١٣٩١هـ كما قررت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية وهي منع تمثيل الصحابة رضي الله عنهم والنبي ﷺ من باب أولى وذلك بقرارها رقم ١٣ وتاريخ ١٦/ ٤/ ١٣٩٣هـ وبناء على ذلك وعلى خطورة هذا الأمر وما سوف يفض إليه من الاستهانة بالنبي ﷺ وبأصحابه رضي الله عنهم وجعل سيرتهم وأعمالهم مجالا للتلاعب والامتهان من قبل أصناف الممثلين، وتجار السينما يتصرفون فيها كيف شاؤا ويبرزونها على الصفة التي تلائم بغية التكسب والاتجار. وفي هذا جرح لمشاعر المسلمين في كل مكان، كما أن فيه تعريضاً للحضرة النبوية والصحابة الكرام للسخرية والتنقص.

ولا يخفى ما في ذلك من الفساد العظيم والأضرار الكثيرة على الدين وأهله؛ لذلك فإني استغرب إقرار الأزهر لإخراج الفيلم المذكور؛ فإن كان ما نسب إليه صحيحاً فإنى أطلب من فضيلتكم العمل على سحب الفتوى الصادرة من الأزهر في هذا الشأن إن أمكن ذلك، أو إبداء رأيكم في الموضوع براءة للذمة، وخروجاً من التبعة، وتعظيماً للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وصيانة لهم عن كل ما قد يؤدي إلى تنقصهم بوجه من الوجوه. . . . .»[(١)].

(١) الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد بن موسي الموسي، ود محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٥٥٨ - ٥٦١.

والرسائل التى أرسلها الشيخ لمن خالفه سواء من السلاطين والأمراء أو من العلماء والدعاة كثيرة، ويتضح منها أن الشيخ استخدم هذه الوسيلة المهمة في دعوة مخالفيه، ولم ينس الشيخ طبائع النفوس، فأنزل الناس منازلهم، وأعطاهم حقوقهم من التقدير والاحترام، واستخدم أسلوب الرفق واللين، فاختار ألطف الكلام وألينه، لتجدى دعوتهم، مع ذكره صاحب المقال باسمه ولا يغفل لقبه العلمي كالشيخ أو الدكتور أو المفتي ونحوه، أو مكانته الاجتماعية كأمير أو وزير، ولم يحرف اسمه أو يكتفي بجزء منه ازدراءً أو احتقاراً له.

ثانياً: اختيار وسيلة الصحف والمجلات في دعوة المخالف

من الوسائل التى استخدمها الشيخ ابن باز في دعوة المخالف؛ وسيلة الصحف والمجلات، حيث إنها وسيلة فاعلة في بيان الحق للمخالف، وبيان ما أخطأوا فيه للعامة، وقد حرص الشيخ في الرد على كثير من الكتاب في البلاد الإسلامية، وبيان أخطائهم الشرعية بأسلوب يعتمد على البرهان والاتزان، ويتحلى بالأدب الجم، وكان له مع هذه الوسيلة صولات وجولات.

لقد كان الشيخ يدرك إدراكاً تاماً بتأثير الصحافة في المجتمعات، وأنها لعبت أخطر الأدوار في تذويب الشخصية الإسلامية، واستطاعت نشر الإعجاب بالغرب على أوسع نطاقه بين المسلمين.

وقد ظهرت حكمة الشيخ في دعوة المخالفين عبر هذه الوسيلة من خلال: إنكاره على بعض المنكرات وأخطاء عامة يقول بها بعض مخالفيه دون أن يذكر أسماء، أو أن يحدد أشخاصاً بأعينهم، ونجده في بعض الأحيان يذكر الأسماء ويحدد الأشخاص وذلك إذا رأى استدعاء الحاجة

لذلك، حيث فشى خطر القائل وضرره على الدعوة فإنه يذكر الاسم ويبين ما وقع فيه من خطر، دعوة للشخص لعله يعود لرشده، ويخاف من ربه، ويقلع عن قوله، ودعوة لمن ضلله أو اتبعه في قوله، أو قال بما قاله. ومن أمثلة ذلك:

تحذير الشيخ لوسائل الإعلام المسموعة والمقروءة من نشر المبادئ الهدامة التي تطعن في الشرع ومبادئه، وإن كانت هذه المبادئ قد تسترت بأسماء ترويجية.

وقد كشف الشيخ حقيقة هذه المبادئ الهدامة وحذر وسائل الإعلام من الترويج لها أو الانخداع بها، ودعا الشيخ إلى مقاطعة الصحف التي تنشر الفساد ومنعها. ففي أحد ردوده قال الشيخ: «نشرت بعض الصحف لبعض الكتاب والكاتبات كلمات لا تهدف إلى صالح المجتمع بل تضره وتفضي به إلى أسوأ العواقب، وقد يكون ذلك الكاتب وتلك الكاتبة لا يشعران بمدى خطورة ما كتبا ولا يعلمان عظيم جنايتهما على المجتمع الإسلامي الذي يعيشان فيه ولا سيما في هذا العصر الرهيب الذي استحكمت فيه غربة الإسلام وظهر فيه الإلحاد والإباحية وانتشر أنصارهما والدعاة إليهما، تارة باسم التقدم والرقي والقومية العربية، وتارة باسم الحرية والاشتراكية، وطوراً بأسماء أخرى، شعارات براقة وأساليب خداعة لا تمت إلى الخير بصلة ولا تهدف إلى الحق بأدنى وسيلة، يغتر بها السذج والسفهاء ويخدع بها الجهال والحمقى ويربح من ورائها الأعداء. وكان الواجب على كتابنا من الرجال والنساء أن يتحروا الحق فيما يكتبون وأن يزنوا كلماتهم وأهدافهم بالميزان الذي لا يجور وهو ميزان الشريعة الإسلامية الكاملة المعروف من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن لا يغتروا بالشعارات المضللة والدعايات الجوفاء والأساليب الساحرة التي انتحلها أعداؤهم وقصدوا من ورائها تضليل المسلمين وتلبيس دينهم عليهم

ودعوتهم إلى التملص منه والخروج على أحكامه بشتى الأساليب وأنواع المغريات. وهكذا وسائل الإعلام يجب على القائمين عليها أن يتحروا الخير فيما يوجهونه للناس، وأن يزودوها بالمقالات النافعة البناءة والأحاديث الهادفة والتوجيهات السديدة التي تنفع المجتمع في دينه ودنياه وتأخذ بيده إلى الطريق القويم وتنبهه على أخطائه ومواضع الزلل من سيرته»[(١)].

وبين الشيخ أنه لا يجوز نشر الدعوات المضللة ولا نشر صور النساء في الصحف والمجلات، فقال رحمه الله: «أما نشر صور النساء على الغلاف أو في داخل المجلات أو الصحف فهذا منكر عظيم وشر كبير يدعو إلى الفساد والباطل، وهكذا نشر الدعوات العلمانية المضللة أو التي تدعوا إلى بعض المعاصي كالزنا أو السفور أو التبرج أو تدعو إلى الخمر أو تدعو إلى ما حرم الله، فكل هذا منكر عظيم، ويجب على أصحاب الصحف أن يحذروا ذلك ومتى كتبوا هذه الأشياء كان عليهم مثل آثام من تأثر بها، فعلى صاحب الصحيفة الذي نشر هذا المقال السيئ سواء كان رئيس التحرير أو من أمره بذلك عليهم مثل آثام من ضل بهذه الأشياء وتأثر بها، كما أن من نشر الخير ودعا إليه يكون له مثل أجور من تأثر بذلك»[(٢)] وقال رحمه الله: «الصحف التي بهذه المثابة: من نشر الصور الخليعة، أو سب الدعاة، أو التثبيط عن الدعوة، أو نشر المقالات الإلحادية أو ما شابه ذلك - الصحف التي هذا شأنها يجب أن تقاطع، وأن لا تشترى، ويجب على الدولة إذا كانت إسلامية أن تمنعها؛ لأن هذه تضر المجتمع وتضر المسلمين، فالواجب على المسلم أن لا يشتريها، وأن لا يروجها، وأن يدعو إلى تركها، ويرغب في عدم اقتنائها وعدم شرائها، وعلى المسؤولين الذين يستطيعون منعها أن

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٤/ ١٦٠).
(٢) المرجع السابق، (٥/ ٢٦٧).

يمنعوها، أو يوجهوها إلى الخير، حتى تدع الشر وتستقيم على الخير»[(١)].

ورد الشيخ على ما ورد في جريدة إدارات فيما يتعلق بالطعن في عقيدة المملكة العربية السعودية حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد عليهم: «فقد اطلعت على المقال الذي نشر بجريدة (إدارت) الأوردوية الأسبوعية، الصادرة في مدينة كانفور الصناعية بولاية أترابراديش، في صفحتها الأولى، والمتضمن: حملة إعلامية ضد المملكة العربية السعودية وتمسكها بعقيدتها الإسلامية، ومحاربتها للبدع، واتهام عقيدة السلف التي تسير عليها الحكومة، بأنها ليست سنية، مما يهدف به كاتبه إلى التفرقة بين أهل السنة، وتشجيع البدع والخرافات.

وهذا لا شك تدبير سيىء، وتصرف خطير، يراد به الإساءة إلى الدين الإسلامي، وبث البدع والضلالات، ثم إن هذا المقال يركز بشكل واضح على موضوع إقامة الاحتفال بمولد الرسول ﷺ وجعله منطلقا للحديث عن عقيدة المملكة وقيادتها. لذا رأيت التنبيه على ذلك...»[(٢)].

ورد على ما نشرته بعض الصحف فيما يتعلق بخبر إقامة صلاة الجمعة في جامع قرطبة بهدف التقريب بين الأديان، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد عليهم «أما بعد: فقد نشرت صحيفة عكاظ في عددها ٣٠٣١ الصادر بتاريخ ٢٧/ ١٣٩٤هـ خبراً يتعلق بإقامة صلاة الجمعة في مسجد قرطبة، وذكرت فيه أن الاحتفال بذلك يعد تأكيداً لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين الإسلام والمسيحية. انتهى المقصود. كما نشرت صحيفة أخبار العالم الإسلامي في عددها ٣٩٥ الصادر بتاريخ ٢٩/ ١٣٩٤هـ الخبر المذكور وذكرت ما نصه: (ولا شك أن هذا العمل يعتبر تأكيداً لسماحة الإسلام وأن الدين واحد) إلى آخره.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٨/ ١٧٦).
(٢) المرجع السابق، (١/ ٢٢٢).

ونظرا إلى ما في هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية الدالة على أنه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين، وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم، وأنه لا اتحاد بين الدينين الإسلامي والنصراني، لأن الدين الإسلامي هو الحق الذي يجب على جميع أهل الأرض المكلفين اتباعه، أما النصرانية فكفر وضلال بنص القرآن الكريم، . . . .»[(١)]. ثم أبطل قولهم بالأدلة من الكتاب والسنة.

وقام الشيخ بالرد على صالح محمد جمال في دعوته لتعظيم الآثار الإسلامية، حيث جاء في رده: «فقد اطلعت على ما نشرته صحيفة (الندوة) في عددها الصادر في ٢٤/ ٥/ ١٣٨٧هـ بقلم الأخ/ صالح محمد جمال تحت عنوان: (الآثار الإسلامية) فألفيت الكاتب المذكور يدعو في مقاله المنوه عنه إلى تعظيم الآثار الإسلامية، والعناية بها، يخشى أن تندثر ويجهلها الناس، ويمضي الكاتب فيقول: (والذين يزورون الآن بيت شكسبير في بريطانيا، ومسكن بتهوفن في ألمانيا لا يزورونها بدافع التعبد والتأليه، ولكن بروح التقدير والإعجاب لما قدمه الشاعر الإنجليزي والموسيقي الألماني لبلادهما وقومهما مما يستحق التقدير فأين هذه البيوت التافهة من بيت محمد ودار الأرقم بن أبي الأرقم وغار ثور وغار حراء وموقع بيعة الرضوان وصلح الحديبية، إلى أن قال: ومنذ سنوات قليلة عمدت مصر إلى تسجيل تاريخ (أبو الهول) ومجد الفراعنة، وراحت ترسلها أصواتاً تحدث وتصور مفاخر الآباء والأجداد، وجاء السواح من كل مكان يستمعون إلى ذلك الكلام الفارغ إذا ما قيست بمجد الإسلام، وتاريخ الإسلام ورجال الإسلام في مختلف المجالات ويريد الكاتب من هذا الكلام أن المسلمين أولى بتعظيم الآثار الإسلامية كغار حراء وغار ثور،

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٢/ ١٧٣).

وما ذكره الكاتب معهما آنفاً من تعظيم الإنجليز والألمان للفنانين المذكورين، ومن تعظيم المصريين لآثار الفراعنة. ثم يقترح الكاتب أن تقوم وزارة الحج والأوقاف بالتعاون مع وزارة المعارف على صيانة هذه الآثار والاستفادة منها بالوسائل التالية:

١ - كتابة تاريخ هذه الآثار بأسلوب عصري معبر عما تحمله هذه الآثار من ذكريات الإسلام ومجده عبر القرون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢ - رسم خريطة أو خرائط لمواقع الآثار في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة.

٣ - إعادة بناء ما تهدم من هذه الآثار على شكل يغاير الأشكال القديمة، وتحلية البناء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية على لوحة كبرى يسجل بها تاريخ موجز للأثر وذكرياته بمختلف اللغات.

٤ - إصلاح الطرق إلى هذه الآثار، وخاصة منها الجبلية كغار ثور وغار حراء، وتسهيل الصعود إليها بمصاعد كهربائية كالتي يصعد بها إلى جبال الأرز في لبنان مثلاً مقابل أجر معقول.

٥ - تعيين قيم أو مرشد لكل أثر من طلبة العلم يتولى شرح تاريخ الأثر للزائرين، والمعاني السامية التي يمكن استلهامها منه بعيداً عن الخرافات والبدع، أو الاستعانة بتسجيل ذلك على شريط يدار كلما لزمت الحاجة إليه.

٦ - إدراج تاريخ هذه الآثار ضمن المقررات المدرسية على مختلف المراحل انتهى نقل المقصود من كلامه.

ولما كان تعظيم الآثار الإسلامية بالوسائل التي ذكرها الكاتب يخالف الأدلة الشرعية وما درج عليه سلف الأمة وأئمتها من عهد الصحابة ﷺ إلى

أن مضت القرون المفضلة، ويترتب عليه مشابهة الكفار في تعظيم آثار عظمائهم، وغلو الجهال في هذه الآثار، وإنفاق الأموال في غير وجهها ظنا من المنفق أن زيارة هذه الآثار من الأمور الشرعية، وهي في الحقيقة من البدع المحدثة، ومن وسائل الشرك، ومن مشابهة اليهود والنصارى في تعظيم آثار أنبيائهم وصالحيهم واتخاذها معابد، ومزارات.

رأيت أن أعلق على هذا المقال بما يوضح الحق ويكشف اللبس بالأدلة الشرعية والآثار السلفية، وأن أفصل القول فيما يحتاج إلى تفصيل، لأن التفصيل في مقام الاشتباه من أهم المهمات، ومن خير الوسائل لإيضاح الحق. . . . »[(١)].

وحتى ندرك ضخامة الدور الذي قام به الشيخ في دعوة المخالف وبيان الحق له ولمن اتبعه من خلال استغلال الصحف كوسيلة من وسائل دعوتهم؛ أذكر بعض ردوده، ومن ذلك:

- رده على محمد أمين يحي في مقاله الذي نشر في صحيفة الأضواء عن المولد النبوي.
- رده على مقال لصالح جمال الذي نشر في جريدة الندوة في تعظيم القبور، وتعظيمه للمولد النبوي، وطعنه في أئمة الحرم.
- رده على مقال مصطفى أمين الذي نشر في جريدة الندوة عن تعظيم آثار المدينة.
- رده على محمد حسن فقي في سباعيته المنظومة في الغلو بالنبي ﷺ والاستغاثة به، المنشورة في جريدة الرياض.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ٤٠١ - ٤٠٣).

- رده على خالد محمد محمد سليم في غلوه في النبي ﷺ المنشور في الشرق الأوسط.
- رده على سعد البواردي في مطالبته بالاختلاط في المدارس الابتدائية المنشور في جريدة الجزيرة.
- رده على عبدالعزيز المقالح مدير جامعة صنعاء في أمره بالاختلاط في الجامعة المنشورة في جريدة السياسة.
- رده على حمد السعيدان في إباحة حلق اللحية في جريدة السياسة الكويتية.
- رده على مشروع قانون الأحوال الشخصية في الإمارات المنشور في جريدة الرياض.
- رده على محمد علي الصابوني الذي بث أشعريته في مجلة المجتمع الكويتية[(١)].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة يتضح منها أن من الوسائل التى استخدمها الشيخ في دعوة المخالف وسيلة الصحف والمجلات، وقد راعى الشيخ فيها المكان الناسب، والقول المناسب، والرد المناسب المقرون بالحجة والبيان.

وتظهر حكمة الشيخ في استخدام هذه الوسيلة في دعوة المخالف؛ لعلمه بفاعليتها، وإدراكه خطورة تأثير الإعلام، لذلك حث الشيخ العلماء وطلبة العلم على خوض غمار هذا المضمار ودعوة المخالفين وإيضاح الحق من خلال هذه الوسيلة، فقال رحمه الله: «إن على علمائنا أن لا يمتنعوا من إيضاح الحقائق بالوسائل الإعلامية، وألا يدعوا هذه الوسائل للجهلة

(١) انظر: الإبرازية في التسعين البازية، د. حمد الشتوي ص ٨٥ - ٨٨.

والمتهمين وأهل الإلحاد، بل يتولاها أهل الصلاح والإيمان والبصيرة، وأن يوجهوها على الطريقة الإسلامية؛ حتى لا يكون فيها ما يضر المسلمين شيباً أو شباناً، رجالاً أو نساء، كما وأن على العلماء أن يقدموا للناس إجابات وافية حول ما يبثه التلفاز ريثما يتولاها الصالحون»[(١)]. ووصى العلماء بانتهاز وسائل الدعوة ومنها الإعلام، فقال: «ونصيحتي للعلماء والقائمين بالدعوة أن ينتهزوا هذه الفرصة، وأن يبذلوا ما في وسعهم في الدعوة إلى الله، وتعليم الناس ما خلقوا له من عبادة الله وطاعته مشافهة وكتابة وغير ذلك بما يستطيعه العالم من خطب الجمعة والخطب الأخرى في الاجتماعات المناسبة، وعن طريق التأليف، **وعن طريق وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية**، فالعالم أو الداعي إلى الله جل وعلا ينبغي له أن ينتهز الفرصة في **تبليغ الدعوة بكل وسيلة شرعية**، وهي كثيرة والحمد لله **فلا ينبغي التقاعس عن البلاغ والدعوة والتعليم**»[(٢)].

ثالثاً: اختيار المناسبات وتوظيفها في دعوة المخالف

فقد كان الشيخ رحمه الله يستغل الحج والمنتديات والمؤتمرات في دعوة المخالفين له، فقد كان رحمه الله يحرص عل المناصحة العامة والدائمة لمخالفيه «كلما ناسب الحال للعامة والخاصة، وكان يستغل الفرص بنصح الولاة داخل البلاد وخارجها، مشافهة ومهاتفة، ومكاتبة، ويحسن نصيحتهم بالدعاء لهم، ووعظهم، وتوضيح الحق لهم وبيان الخطأ، وشرح ما يترتب عليه من المخاطر والأضرار في الدنيا والإثم والعقوبة في الآخرة، ومواقفه في هذا كثيرة في الخاصة والعامة»[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/ ٢٧١).

(٢) المرجع السابق، (٥/ ٢٦٣).

(٣) الإبريزية في التسعين البازية، د. حمد الشتوي، ص ١٠٧ - ١٠٨.

ومن أمثلة استغلال الشيخ للمناسبات ما وجهه إلى جميع قادة الأمة الإسلامية في إحدى اجتماعاتهم حيث حثهم على تحكيم الشريعة والتحاكم إليها، وعلى نبذ الفرقة والاختلاف، وتوحيد الصف، والقضاء على دولة إسرائيل، وعلى التعاون العسكري المشترك، وكان مما جاء في كلمته:

«حضرات أصحاب الجلالة والفخامة من قادة الدول العربية، وفقهم الله لما فيه رضاه وصلاح أمر عباده آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فبمناسبة هذا الاجتماع العظيم الذي تعلق عليه الشعوب العربية والأمة الإسلامية الآمال الكبيرة لإزالة آثار العدوان اليهودي، والقضاء على عصابات الصهاينة، واسترجاع الأرض السليبة من أيديهم، رأيت أنه من الحق علي نصحاً لله ولكتابه ولرسوله ﷺ، ولكم أيها القادة، وإسهاماً في الإصلاح العام، ومعذرة إلى الله ﷻ أن أبعث إلى حضراتكم من الجامعة الإسلامية في بلد المصطفى ﷺ الوصايا التالية:

أولاً: تقوى الله ﷻ في جميع الأمور والتواصي بالاستقامة على دينه، وتحكيم شريعته، والتحاكم إليها، ومحاربة ما خالفها من المبادئ والأعمال؛ لأنكم قادة العرب والمسلمين وبصلاحكم واجتماع كلمتكم على الهدى يصلح الله شعوبكم وسائر المسلمين إن شاء الله، وتعلمون جميعاً أنه لا عزة لكم ولا منعة ولا هيبة ولا انتصاراً محققاً ومضموناً على الأعداء إلا بالتمسك بالإسلام وتحكيمه، والتحاكم إليه، كما جرى على ذلك سلفكم الصالح، فأيدهم الله، ونصرهم كما وعدهم سبحانه... وفي الإسلام حل لجميع المشاكل وإصلاح لجميع الشئون، وتحقيق العدالة بين الجميع بأكمل معانيها إذا صلح القصد وبذلت الجهود ووسدت الأمور إلى أهلها.

ثانياً: التسامح وصفاء القلوب وتوحيد الصف واتفاق الكلمة على هدف

واحد وهو اتباع الشريعة وترك ما خالفها والعمل على إزالة أثر العدوان اليهودي، والقضاء على ما يسمى بدولة إسرائيل نهائياً، وتكاتف جميع الجهود والقوى لهذا الغرض النبيل، مع الاستعانة بالله والاستنصار به في ذلك. . . .

ثالثاً: تكوين جيش مشترك قوي موحد مجهز بأكمل الأسلحة الممكنة تحت قيادة موحدة أمينة مرضية من الجميع، تستند إلى مجلس شورى مكون من وزراء الدفاع وأركان الجيش في جميع الدول العربية، ومن أحب أن ينضم إليها من الدول الإسلامية ليسير المجلس في جميع شئونه على قواعد ثابتة وأسس مدروسة من الجميع؛ رجاء بأن يحقق الغرض المطلوب، ولا يخفي على حضراتكم ما في هذا المجلس من الخير العظيم. . والسير على هدي الشريعة وتعاليمها الحكيمة، . . . .

رابعاً: الحياد التام وعدم الانحياز إلى كتلة شرقية أو غربية وبذل الجهود على أن تكونوا كتلة مستقلة تستفيد من خبرات غيرها وسلاحه، من غير انحياز أو تدخل من الغير في شئونها الداخلية أو الخارجية، ولا يخفى أن هذا الحياد أقرب إلى السلامة في الدين والدنيا، وأكمل في العزة والكرامة والهيبة، وأسلم من تدخل الأعداء في شئونكم، والاطلاع على أسراركم، . . . . . مع أنه ﷺ استأجر دليلاً مشركاً في طريق الهجرة واستعار من بعض المشركين دروعا يوم حنين، فدل ذلك على أن الاستعانة بسلاح الأعداء والاستفادة من خبرتهم لا مانع منهما وليستا بداخلتين في الاستعانة التي نفاها النبي ﷺ في الحديث السابق إذا لم يكن لهم دخل في شئوننا ولا مشاركة في الجيش.

هذا ما بدا لي عرضه على حضراتكم على سبيل الإشارة والإيجاز، والله المسئول أن يصلح قلوبكم وأعمالكم، ويسدد خطاكم، ويجمع كلمتكم على

ما فيه سعادتكم وسعادة المسلمين جميعاً، وانتصاركم على عدوكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

«لقد كان الشيخ يتدافق بهذه المعاني في حرارة توحي إلى السامعين أنه يؤدي أمانة ويبرىء ذمة، وكأنما انتصب في ضميره مشهد الحشر حيث يسأل كل إنسان عما عمل، وتكون مسؤولية العلماء أضخم المسئوليات... ولقد كان لأسلوب الشيخ ساعتئذ أروع الأثر في القلوب، إذ سلك إلى عرضه أحكم المسالك فجمع بين اللطف والقوة، وقدم مواعظه ونصائحه ملفوفة بظروف من نور»[(٢)].

وفي إحدى لقاءات رابطة العالم الإسلامي[(٣)] استغل الشيخ هذه المناسبة فوجه كلمة للأمة الإسلامية بين فيها ما يترتب على تطبيق الشريعة من حصول الأمن والأمان، وتحقيق الحياة الكريمة، وما يترتب عن نبذها من الأضرار الناجمة على ذلك، وكان مما جاء فيها: «فلقد رغبت إلى الرابطة مشكورة في أن أشارك بإلقاء محاضرة في هذا المكان، وعرضت علي عناوين كثيرة، فاخترت منها هذا العنوان الذي سمعتم **وهو في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة للمسلمين** ولا ريب أن هذا العنوان: **عنوان صالح وصادق**. ولهذا اخترته، وأسأل الله ﷻ أن يحقق للمسلمين الأمن في الدنيا والأخرة، والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة، وأن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن، ونزغات الشيطان.

فأقول والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: إن الله سبحانه وتعالى خلق الثقلين ليعبد وحده لا شريك له، وأمر جميع العباد من

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٦٥).

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم، الشيخ محمد المجذوب، (١/ ٩٤).

(٣) محاضرة ألقيت بمقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٣٩٩هـ.

الجن والإنس بعبادته التي خلقوا لها، قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2]، فبين سبحانه وتعالى أنه خلق الثقلين ليعبدوه وحده، وأمرهم بهذه العبادة، وقال في ذلك: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3]، فدل ذلك على أن في عبادته سبحانه تقوى كل ما يضرهم، واستجلاب كل ما ينفعهم. والتقوى هي: اتقاء محارم الله، وأسباب غضبه، واتقاء كل ما يضر في الدنيا والآخرة، وذلك بطاعة الله ورسوله، وهي عبادته سبحانه وتعالى، فإن العبادة هي: توحيد الله جل وعلا، وطاعته بفعل أوامره، وترك نواهيه، كل هذا يسمى عبادة، وكله يسمى طاعة، وكله يسمى تقوى، فمن عبده سبحانه وأخلص له العبادة، وأطاع أوامره، وترك نواهيه، فقد اتقاه سبحانه وتعالى، ومن اتقاه فقد وعده سبحانه الخير في الدنيا والآخرة، وتفريج الكروب، وتيسير الأمور والرزق من حيث لا يحتسب. **وبهذا يعلم أن عبادته سبحانه وتعالى، وتقواه جل وعلا هي: سبب الأمن والخير والسعادة في الدنيا والآخرة. وأن الكفر به والإشراك به، ومعصيته هي: سبب الهلاك والشقاء والخوف والضلال في الدنيا والآخرة**، وقد أرسل الرسل سبحانه وتعالى، وأنزل الكتب للدعوة إلى هذه العبادة، والأمر بها، **وبيان ما رتب عليها من أنواع السعادة والخير**، . . . . فالله جل وعلا يبتلي عباده بأسباب

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦ – ٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

ما يقع منهم من خلل في أوامره، أو نواهيه، يبتليهم بأشياء فإن صبروا وبادروا بالتوبة والإصلاح، وعالجوا الأوضاع بالرجوع إلى أمر الله، والتوبة مما حصل منهم من تضييع أمر الله، أو ركوب محارم الله، أصلح الله حالهم، واستقاموا، ورد لهم ما كان شارداً وأصلح لهم ما كان فاسداً، وأعطاهم بعد الخوف أمناً، وبعد الذل عزاً، وإن استمروا في طغيانهم، وضلالهم، وما وقعوا فيه من إصرار في تضييع أمر الله، وركوب محارمه، ابتلاهم بأنواع العقوبات. . . . . والخلاصة: **أن وعد الرب جل وعلا لا يخلف، وأنه صادق في وعده سبحانه وتعالى، فمن آمن بالله ورسوله، وطبق شريعته بالعمل الصالح، منحه الله الأمن والتمكين والاستخلاف في الأرض كما وعد الله جل وعلا، وكما حصل لمن قبلنا من الخلفاء الراشدين، ومن سار على نهجهم ممن طبق شريعة الله واستقام على أمره سبحانه. ومن ضيع ذلك أو أخل به، وتابع الهوى والشيطان في كثير من الأمور فاته الأمن والتمكين والاستخلاف بقدر ما ضيع من أمر الله، وارتكب من محارمه،** وقد جاء في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ: ما يرشد إلى هذا المعنى، ويبين أن الواجب على ولاة الأمور العناية بالشريعة، وبذل الجهود في تطبيقها في كل شيء حتى يتحقق للعباد الأمن والسعادة والحياة الكريمة في هذه العاجلة، ويتحقق لهم بعد ذلك في الأخرى الأمن أيضاً من النار، والفوز بدار الكرامة والنعيم المقيم، فقد ثبت عنه - عليه الصلاة والسلام -: أنه كان يحرض الناس دائماً على القيام بأمر الله، ويحذرهم من ركوب محارمه، ويأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكر لهم عاقبة من نفذ أمر الله، وعاقبة من تساهل بأمره جل وعلا، ليتعظوا وليتذكروا، ويبتعدوا عن محارم الله، ويحذروا عواقبها الوخيمة، التي وعد بها من عصى ربه، وركب محارمه سبحانه وتعالى، . . . . .

وما حصل بسبب ذلك من الأمن والطمأنينة في البلاد، والحياة الكريمة للمسلمين. وما أسباب ذلك إلا تطبيق شريعة الله، والقيام بأمر الله وتنفيذه لحدوده، وإقامة ولاة أمور المسلمين للجهاد العظيم، في سبيل الله ﷻ حتى أمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وحتى دخل الناس في الإسلام عن رغبة وبصيرة، وعاشوا في بلادهم حياة كريمة، بأسباب قيامهم جميعاً بأمر الله وجهادهم في سبيل الله، وتعاونهم على الخير. . . . وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا وجميع المسلمين لما يرضيه، وأن يرزقنا جميعاً الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يوفق ولاة أمر المسلمين لتطبيق شريعته، وتنفيذ حدوده، وإقامة أمره في أرضه، كما أسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان، وأن يثبتهم على الإيمان وأن يعينهم على تطبيق الشريعة، في أقوالهم وأفعالهم وعباداتهم ومعاملاتهم وغير ذلك، وأن يرزقنا جميعاً الفقه في الدين، والاستقامة على أمر الله سبحانه وتعالى، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه جل وعلا جواد كريم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين»[(١)].

واستغل الشيخ انعقاد مؤتمر القمة الثامن فوجه برقية رفعها إلى رئيس مؤتمر القمة الثامن المعقود في طهران ووجهه الشيخ للأمة الإسلامية نداء أبرز فيه أهمية تحكيم الشريعة الإسلامية، وبين لهم أن تحقيق الأمن والأمان والرغد في العيش والحياة الكريمة يكون بتطبيق الشريعة الإسلامية، بل هي من أسباب التمكين في الأرض، وبين أن الالتزام بالشريعة خروج من الدوامة التي تعيش فيها الأمة، وبين أن تضييع الشريعة يترتب عليه

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٢/ ٢٥٨ - ٢٧٦).

الفوضى والخوف وقلة الرزق، وكان مما جاء فيه: «تحتم على المسلمين حكاماً وشعوباً أن يجتمعوا على كلمة الله، وتحكيم شريعته، والعمل الجاد لإنهاء الخلافات، وتوحيد صفوف الأمة التزاماً بأمر الله القائل: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[(١)] . . . . .»[(٢)]. وقد كان الشيخ يكثر من ذكر أهمية تطبيق الشريعة في دنيا الناس.

واستغل الشيخ المؤتمر الذي عقد في باكستان فوجه الشيخ رسالة وجهها إلى الطلبة المسلمين بباكستان بين لهم ما تكفل الله به لمن طبق شريعته، وبين لهم ما جرته المذاهب الجديدة المنحرفة من شقوة للشعوب وتدمير للحياة، وإفلاس للنفوس، وجلب للخراب والدمار، وكان مما جاء فيها: «إخواني؛ رئيس وأعضاء جمعية الطلبة المسلمين بباكستان حفظهم الله تعالى. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد: فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله ﷻ أن يجعل عملكم من أسباب إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه ونصر شريعته واتباع سنة رسول الله محمد ﷺ التي بها عز الدنيا وسعادة الآخرة، ولا خلاص للإنسانية المضطربة إلا بسلوك سبيل هذا الرسول العظيم والنبي الكريم ﷺ، ولا شك أن مثل هذا المؤتمر من أمثالكم شباب المسلمين إذا أخلصت فيه النيات لله ﷻ وبذلت فيه الجهود الصادقة يكون له الآثار العظيمة، والنتائج الحسنة، والثمار الطيبة إن شاء الله؛ لأن الطلاب - وهم قادة المستقبل- إذا وجهوا توجيهاً إسلامياً صحيحاً، ونمت فيهم روح الإسلام وشبت معهم الأخلاق التي رسمها رسول الله للمسلمين - فإنهم يكونون من أعظم أسباب سعادة أمتهم والسير بها إلى أحسن المناهج، وتجنيبها ويلات المذاهب الهدامة والمبادئ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٢) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد الحمد، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

المدمرة والعقائد المنحرفة التي تفتك بالأمم وتقتل الشعوب. **وإن الله تبارك وتعالى قد من على المسلمين بهذا الدين العظيم المشتمل على أعظم المناهج وأحسن الأنظمة وأعدل القوانين، وقد تكفل الله ﷻ لمن يطبق شريعته أن يهديه الصراط المستقيم**، . . . . وقد جرب الناس المذاهب الجديدة المنحرفة فكانت سبباً لشقوة الشعوب وتدمير الحياة وإفلاس النفوس وجلب الخراب والدمار على أتباعها والمبتلين بها، بخلاف شريعة الإسلام التي جربت في مئات السنين فكانت بلسماً شافياً ودواءً ناجعاً لكل أمراض الإنسانية، كما كانت -ولا تزال - شريعة الإسلام أعظم رابطة تجمع شمل المسلمين بقطع النظر عن أوطانهم أو ألوانهم أو لغاتهم، فالمسلم أخو المسلم دون فرق بين جيل وجيل أو قبيلة وقبيلة أو لغة ولغة، ولن يستشعر المسلم حلاوة الإسلام إلا إذا كان مع أخيه المسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ولذلك كان الإسلام أمتن القواعد لإقامة المجتمع المثالي. وإنا لنرجو الله تبارك وتعالى أن يوفقكم إلى العمل لرفع راية الإسلام، وإعزاز كلمته وأن يمنحكم الفقه في دينه والمحافظة عليه والصدق في الدعوة إلى التمسك به والحذر مما يخالفه إنه سميع قريب»[(١)].

واستغل الشيخ فرصة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام هيئة الأمم ووجه رسالة للملك فيصل رحمه الله يبين له أهمية استغلال هذا الاجتماع لدعوة المخالفين إلى الإسلام وإلى تحكيم الشريعة الإسلامية، ودعوة الملوك والرؤساء، من خلال الكلمة التي سيلقيها في هذا الاجتماع، وكان مما جاء في الرسالة: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة جلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز وفقه الله لكل خير وبارك في حياته آمين.

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٢٣٨ - ٢٣٩).

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعده: حفظكم الله لا يخفي على جلالتكم مركزكم العظيم الذي هو محط آمال المسلمين بعد الله ﷻ، وذلك بسبب ولايتكم لقبلة المسلمين ومهاجر الرسول الأعظم ﷺ. فمن هذه البقاع المباركة شع نور الرسالة، فأضاء الكون، ومزق أستار الظلام، ومن هذه البقاع المقدسة حمل الرعيل الأول مشعل الهداية إلى العالم، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله فدان لهم سكان الأرض وساد الإسلام.

أقول: إنه بحكم ولايتكم لهذه البقاع المقدسة وميراثكم لتراث الأسلاف الكرام فإنه يتحتم عليكم ولا شك حمل راية الدعوة إلى هذا الدين القويم وراية الجهاد في سبيل الله حيث أمكن، وقد فعلتم ذلك مشكورين، فالحمد لله على توفيقكم لذلك. . . . . وقد هيأ الله في هذا العصر من أسباب الاتصال بجميع العالم ما هو معلوم، الأمر الذي يجعل الدعوة إلى الله متيسرة، وجلالتكم في هذا العصر هو المسئول الأول عن إبلاغ أمر الله إلى عباده، ولا شك أنها مسئولية خطيرة تحتاج منكم إلى جهود عظيمة وصبر ومصابرة.

وبمناسبة قرب زمن الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام هيئة الأمم في شهر يونيو القادم، ودعوة ملوك ورؤساء الدول الأعضاء في المنظمة إلى إلقاء كلمات في الجلسة التذكارية لها، لذلك فإني أهيب بهمة جلالتكم أن تشمروا عن ساعد الجد، وتنتهزوا هذه الفرصة الثمينة بالدعوة إلى الإسلام، وتحكيم شريعته في هذا الاجتماع الذي سوف يضم أكثر رؤساء دول العالم الإسلامي وغيرهم، وأن تبينوا لهم محاسن الإسلام، وأنه دين الحق، وأنه الدين الكامل الصالح لكل عصر وأوان، والمشتمل على مصالح الدنيا والآخرة، وأنه دين السعادة والفلاح، وأنه السبيل الوحيد

لإنقاذ البشرية الحائرة التائهة في خضم أمواج الظلم والطغيان وديا جر الجهل والضلال إلى شاطئ السلامة والأمان، وهو السبيل الوحيد لحل مشاكلها وإفهام الجميع بأن رسالة محمد ﷺ عامة للناس جميعاً، وأن من أجابه دخل الجنة ومن أبى دخل النار. وفي ذلك إقامة الحجة عليهم وبراءة للذمة من تبعة السكوت عن البلاغ.

وإني لأرجو لجلالتكم بذلك الرفعة والعزة والسؤدد في الدنيا، والفوز ورفع الدرجات في الجنة. ولمحبة الخير لكم وللمسلمين وغيرهم والمناصحة في الحق والتعاون على البر والتقوى والرغبة في انتشار الدعوة الإسلامية وإبلاغها لعموم الناس - رأيت أن أذكركم بهذا الأمر العظيم وجلالتكم من أعلم الناس بالواقع وما أصاب العالم اليوم من فساد وانحلال وحيرة وقلق وإلحاد وانحراف.

فأرجو أن يكون هذا الأمر موضع الاهتمام والتنفيذ وأسأل الله أن يصلحكم ويصلح بكم ويهديكم ويهدي بكم، وأن يعلي ذكركم في الدنيا والآخرة، وأن ينفع بكم العباد، وينقذهم بدعوتكم من الكفر والضلال إلى الهدى والاستقامة على الحق إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة»[(١)].

لقد استخدم الشيخ ابن باز رحمه الله عدداً من الوسائل الدعوية في دعوة المخالف مراعياً فيها: اختيار الوسيلة المناسبة، والوقت المناسب، والأسلوب المناسب.

❊ ❊ ❊

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٧٢ - ٧٤).

المطلب الثاني:

انتقاء الأساليب الدعوية المناسبة لحال المخالف

الأسلوب المناسب له أثر في دعوة المخالف، وانتقاء الأسلوب المناسب لحال المخالف في دعوته من الأهمية بمكان، لذلك راعى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك في دعوة المخالف.

ولقد بين الشيخ أهمية انتقاء الأسلوب الأمثل في دعوة المخالف مراعيا حال المخالف وطبائع المجتمعات، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعوامل تتعدد بحسب ما تدعو إليه، وما تنهي عنه، فأنت تجتهد في اختيار العامل الذي تقوم به العامل الشرعي الذي عرفت أصله، وعرفت مأخذه من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ، فأنت تدعو الناس إلى دين الله، وإلى أداء فرائض الله، وإلى ترك محارم الله على الطريقة التي سلكها رسول الله ﷺ.

والعوامل والمجتمعات تختلف، فالمجتمع المحارب للدين، والذي ليس فيه قائد يعينك على الإصلاح والتوجيه تعمل فيه كما عمل رسول الله ﷺ في مكة، **تدعو إلى الله بالحسنى وبالأسلوب الحسن، وبالكلمات اللينة**، حتى يدخل ما تقول في القلوب، وحتى يؤثر فيها فيحصل بذلك انجذاب القلوب إلى طاعة الله وتوحيده، وتتعاون مع إخوانك ومن سار على نهجك في دعوة الناس وإرشادهم بالطرق اللينة في المجتمعات التي يمكن حضورها حتى يثبت هذا الإيمان في القلوب، وحتى ينتشر بين الناس بأدلته الواضحة.

وفي المجتمع الإسلامي، ووجود القائد الإسلامي الذي يعينك يكون لك

نشاط أكثر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاتصال بالمسئولين عند وجود المعاندين، والذين يخشى من عنادهم الخطر على المجتمع، وتكون مع ذلك **سالكاً المسلك القويم بالرفق والحكمة والصبر**. . .»[(١)].

وبين الشيخ أهمية انتقاء الأساليب الأجدى التى يرجى من خلالها هداية المخالف وبيان الحق له وقبوله للحق، فيقول رحمه الله: «فإن الدعوة إلى الله شأنها عظيم، وهي من أهم الفرائض، وهي مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والعلماء هم ورثة الأنبياء فالواجب عليهم العناية بالدعوة، **وأن تكون الأساليب التي يرجى منها حصول المطلوب والسلامة من النفور عن الحق، ويرجى منها الإفادة للمدعو وقبوله الحق، وعليهم أن يحذروا الأساليب التي يخشى منها بقاء المنكر، أو وجود ما هو أنكر منه. فالداعي إلى الله يجب أن ينظر في أسلوب دعوته، وأن يتحرى الأساليب التي يرجى من ورائها حصول الخير والفائدة والسلامة من ضد ذلك**»[(٢)].

وبين الشيخ رحمه الله «أن الواجب على الدعاة إلى الله سبحانه والناصحين لعباده أن يتخيروا الأساليب المفيدة والعبارات التي ليس فيها عنف ولا تنفير من الحق، والتي يرجى من ورائها انصياع من خالف الحق إلى قبوله والرضى به وإيثاره والرجوع عما هو عليه من الباطل، وأن لا يسلك في دعوته المسالك التي تنفر من الحق ويدعو إلى رده وعدم قبوله»[(٣)]. «فعلى الداعي إلى الله والمعلم أن يتحرى الأساليب المفيدة النافعة وأن يحذر الشدة والعنف؛ لأن ذلك قد يفضي إلى رد الحق وإلى شدة الخلاف والفرقة بين الإخوان، والمقصود هو بيان الحق والحرص على قبوله والاستفادة من

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١/ ٢٥٠ - ٢٥١).
(٢) المرجع السابق، (٩/ ٢١٤).
(٣) المرجع السابق، (٢/ ٣٥١).

الدعوة، وليس المقصود إظهار علمك أو إظهار أنك تدعو إلى الله أو أنك تغار لدين الله، فالله يعلم السر وأخفى، وإنما المقصود أن تبلغ دعوة الله وأن ينتفع الناس بكلمتك. فعليك بأسباب قبولها وعليك الحذر من أسباب ردها وعدم قبولها»[(١)].

وإن كان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ قد بين أهمية اختيار الأسلوب المناسب في دعوة المخالفين فإنه راعى اختيار الأساليب الدعوية في دعوة هذا الصنف، **ومن أهم الأساليب التى راعها الشيخ في دعوة المخالف ما يلي:**

● أسلوب الموعظة الحسنة

كذلك استخدم الشيخ أسلوب الموعظة الحسنة، فنصح المخالف ووعظه بالرفق واللين، وأحياناً بالمداراة، والتعريض أحياناً دون التصريح، ومن النماذج التى تدلل على ذلك: «ذكر لسماحة الشيخ أن فلاناً يحسب على العلم والعلماء ولكنه يحلق لحيته، فقال سماحة الشيخ: إذا جاء إلينا نصحناه إن شاء الله. فلما جاء ذلك الرجل وافق أن كان الشيخ يرد على الهاتف؛ فسئل سماحته عن حكم حلق اللحية، فأجاب بجواب مفصل، وبين للسائل الحكم، وكان ذلك الرجل الذي أخبره بحال الرجل الذي يحلق لحيته حاضراً، فأخبره سماحة الشيخ، وقال: هذا السؤال الذى جاء في وقته، وقد أجبته بجواب مفصل من أجل الحاضر»[(٢)]. «ما أروع أساليب الشيخ في تقديم النصيحة، وما ألطفها، وما أمضى وقعها في النفوس، لا تجريح ولا تعنيف، ولا تأنيب، بل هو اللطف والعطف والرفق»[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/ ١٥٦).

(٢) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد الحمد، ص ٣٥٤.

(٣) إمام العصر، د/ ناصر الزهراني، ص ٩٧ - ٨٠.

ويوجه قادة المسلمين ويعظهم ببيان ما أوجبه الله عليهم بأسلوب الموعظة الحسنة، فيقول: «فالواجب على قادة المسلمين من العلماء والأمراء وغيرهم الاهتمام بكل مصيبة تحل أو نكبة تقع، وتذكير الناس وبيان ما وقعوا فيه، وأن يكون ولاة الأمر من العلماء والحكام هم القدوة الصالحة في العمل الصالح والبحث عن مسببات غضب الله ونقمته، وعلاجها بالتوبة والاستغفار وإصلاح الأوضاع، والأمة تبع لهم؛ لأن هداية العالم وحكمة الوالي وصلاحهما من أهم المؤثرات في الرعية. . . .»[(١)].

ويبين الشيخ أنه بذل كل جهده في مناصحة الولاة بالموعظة الحسنة حيث يقول رحمه الله: «أما المناصحة فيعلم الله أنا بذلنا لولاة الأمر حول الإعلام وغيره ما فيه الكفاية، ونسأل الله أن يوفقهم لقبول النصح، والقضاء على الشر والفساد، وأن يكثر أعوانهم في الخير؛ إنه سميع قريب»[(٢)].

● أسلوب الترغيب

استخدم الشيخ في دعوة المخالف أسلوب الترغيب، يذكرهم بالجزاء الأخروى المترتب على امتثالهم لشرع الله والتمسك بهداه، وما يترتب عليه من النعيم المقيم الذي أعده الله لمن امتثل أمره.

ومن أمثلة ذلك: ما جاء في بيانه لمخالفيه بوجوب التوبة وما يترتب على ذلك من منافع، حيث قال رحمه الله: «والمبادرة بالتوبة الصادقة من جميع الذنوب، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٣)]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٤/ ١٣٥).
(٢) جوانب من حياة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد الحمد، ص ٢٨٣.
(٣) سورة النور، الآية: ٣١.

نَّصُوحًا﴾[١]، والتوبة النصوح هي مشتملة على الندم على ما مضى من المعاصي، وعلى الإقلاع منها وتركها، والحذر منها، وعلى العزم الصادق على عدم العودة إليها طاعة لله وتعظيماً له وإخلاصاً له ورغبة فيما عنده وحذراً من عقابه سبحانه وتعالى. وبهذا تدفع الشرور ويحصل الأمن، ويشتت الله الأعداء ويذلهم ويجعل دائرة السوء عليهم، كما قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[٢].

ومن نصر الله الاستقامة على طاعته والتوبة إليه من جميع المعاصي والإعداد لجهاد الأعداء والصبر والمصابرة في جهادهم، وبذلك يحصل النصر والتأييد لأولياء الله وأهل طاعته. ويحصل الإذلال والهزيمة على أعداء الله. يقول الله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[٣]، فوصيتي للجميع التوبة إلى الله والضراعة إليه، وطلب النصر والتأييد على أعداء الله، والمبادرة بكل ما يرضي الله ويقرب إليه ظاهراً وباطناً. . . .»[٤].

لقد استخدم الشيخ في دعوة المخالف أسلوب الترغيب، يذكرهم بالجزاء المترتب على تطبيق شرع الله من سعادة الدارين.

أسلوب الترهيب

من الأساليب التى استخدمها الشيخ في دعوة المخالف أسلوب الترهيب، وقد بين الشيخ أهمية عناية الداعي بتحريك مشاعر المخالف،

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠ - ٤١.

(٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥/١٥٦).

وتخويفه من عقاب ربه، وتذكيره باليوم الآخر وما فيه من أهوال عظام، فيقول رحمه الله: «فالداعي إلى الله يتحرى الأسلوب الحسن والحكمة في ذلك، وهي العلم بما قاله الله وورد في الحديث النبوي الشريف، ثم **الموعظة الحسنة والكلمات الطيبة التي تحرك القلوب وتذكرها بالآخرة والموت، وبالجنة والنار حتى تقبل القلوب الدعوة وتقبل عليها وتصغي إلى ما يقوله الداعي**.

وكذلك إذا كان هناك شبهة يتقدم بها المدعو عالجها بالتي هي أحسن وأزالها لا بالشدة والعنف ولكن بالتي هي أحسن. فيذكر الشبهة ويزيحها بالأدلة، ولا يمل ولا يضعف ولا يغضب غضباً ينفر الداعي **بل يتحرى الأسلوب المناسب والبيان المناسب والأدلة المناسبة، ويتحمل ما قد يثير غضبه لعله يؤدي موعظته بطمأنينة ورفق لعل الله يسهل قبولها من المدعو**»[(١)].

وإن كان الشيخ نصح الدعاة باستخدام هذا الأسلوب في دعوة المخالف فإنه استخدمه في دعوة المخالف، ومما يدل على ذلك ما ذكر أن الشيخ رحمه الله كان ينصح أحد المخالفين له بقوله: «ما أعظم مصيبتك عند الله، ثم صار يبرم أطراف غترته، ويدعو لي، وقد اغرورقت عيناه، . . . وتمزق قلبي حزناً؛ لصدق هذا الإنسان في موعظته، وحرصه على هداية الناس، وطلب حسن العقبى. ولو جادلني لكابرت في المجادلة، وقد فتح الله قلبي لحسن نيته. . . »[(٢)].

ويقول في أحد الردود على مخالفيه: «ولا شك أن هذا جرأة من الكاتب وسوء أدب منه مع سنة رسول الله، فبيانه ﷺ واضح وأمره واجب الامتثال والتنفيذ ويخشى على مخالفه من العاقبة السيئة، كما قال تعالى:

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٥/ ٢٦٤ - ٢٦٥).
(٢) المرجع السابق، ، (١/ ٢٨٩).

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

ويبين الشيخ لمخالفيه سبب ما أصاب الأمة من النكبات والعذاب، فيقول: «مما لا شك فيه أن المعاصي والابتعاد عن عقيدة الإسلام الصحيحة قولاً وعملاً من أهم الأسباب التي حدثت بسببها الأزمات والنكبات التي حلت بالمسلمين، يقول الله جلت قدرته: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٢]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٣]، فالله جلت قدرته حليم على عباده غفور رحيم يرسل لهم الآيات والنذر لعلهم يرجعون إليه ليتوب عليهم، وإذا تقرب إليه عبده ذراعاً تقرب سبحانه إلى عبده باعاً؛ لأنه تعالى يحب من عبده التوبة ويفرح بها وهو جل وعلا غني عن عباده، لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، ولكنه بعباده رؤوف رحيم، وهو الموفق لهم لفعل الطاعات وترك المعاصي، والأزمات والنكبات ما هي إلا نذر لعباده ليرجعوا إليه، وبلوى يختبرهم بها، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٥ - ١٥٧.
(٥) سورة الروم، الآية: ٤١.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة. . .

وإذا استمرأ المسلمون المعاصي ولم ينكرها من بيده الأمر والحل والعقد يوشك أن يعم الله الأمة بغضب منه، وإذا وقع غضب الله وحلت نقمته فإن ذلك يشمل المحسن والمسيء، عياذا بالله من ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[٢]. . . . . »[٣].

ويخوف المسعرى وغيره ويرهبه من غضب الله ونقمته، فيقول: «ونصيحتي للمسعري والفقيه وابن لادن وجميع من يسلك سبيلهم أن يدعوا هذا الطريق الوخيم، وأن يتقوا الله ويحذروا نقمته وغضبه، وأن يعودوا إلى رشدهم، وأن يتوبوا إلى الله مما سلف منهم، والله سبحانه وعد عباده التائبين بقبول توبتهم، والإحسان إليهم»[٤].

وجاء إلى الشيخ رجل أوروبي، ووجه إلى الشيخ «أسئلة دلت على أنه شاك في صدق الإسلام، فقال لي سماحته[٥]: قل له يا محمد: إن الإسلام دين الحق، وإنه نور ساطع، ولا يغمض عينيه إلا الخفاش، **فادخل في الإسلام أيها الرجل قبل أن يفاجئك الموت لتنجو من النار**، فترجمت له، فقام وذهب، ووعد سماحته بأن يقرأ عن الإسلام أكثر، ثم يأتي إليه ليدخل في دائرة الإسلام»[٦].

ووجه الشيخ رسالة بعد تحرير دولة الكويت يخوفهم ويحذرهم من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٤/ ١٣٤ - ١٣٥).

(٤) المرجع السابق، (٩/ ١٠٠).

(٥) هذا كلام الدكتور محمد لقمان السلفي.

(٦) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن الرحمة، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

التحاكم إلى القوانين الوضعية، ويذكرهم بنعم الله عليهم ووجوب شكر الله على تلك النعم، وأن يستقيموا على دينه، **وأن يحذروا أسباب غضبه وأن يأخذوا بأسباب الاستقامة**، وأن يطبقوا شرع الله، وبين لهم أن أصل الإيمان وأساسه توحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك به، وبين لهم وجوب التحاكم لشرع الله، وبين خطورة التحاكم للقوانين الوضعية، فكان مما جاء في هذه الرسالة: «لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن أمره أن يدعوهم أولا إلى توحيد الله والإخلاص له والإيمان برسوله محمد ﷺ ثم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وما ذاك إلا لأن هذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين العظمى، من استقام عليها وأدى حقها استقام على بقية أمور الدين من الصيام والحج وسائر ما أمر الله به ورسوله، وعلى ترك كل ما نهى الله عنه ورسوله، **ومن أعظم شعب الإيمان ومن تحقيق شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، تحكيم شرع الله بين عباده في كل شئونهم**، كما قال الله ﷻ لنبيه ﷺ في سورة المائدة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾[1] الآية، ثم قال بعد ذلك سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۚ﴾[2] إلى أن قال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3] وقال ﷻ في سورة المائدة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[5] ﴿وَمَن

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1] وقال سبحانه في سورة النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2]، فأوضح سبحانه في هذه الآيات الكريمات أن الواجب على الرسول ﷺ وعلى جميع الأمة في كل زمان ومكان أن يحكموا شرع الله في جميع ما شجر بينهم وفي جميع شئونهم الدينية والدنيوية، **وحذر سبحانه من اتباع الهوى وطاعة أعداء الله في عدم تحكيم شريعته**، وأخبر سبحانه أن حكمه هو أحسن الأحكام، **وأن جميع الأحكام المخالفة لحكمه كلها من أحكام الجاهلية، وأخبر سبحانه أن الحكم بغير ما أنزل كفر وظلم وفسق**، وبين سبحانه أنه لا إيمان لمن لم يحكم رسوله ﷺ في جميع الأمور وينشرح صدره لذلك ويسلم له تسليماً، فالواجب على جميع حكام المسلمين أن يلتزموا بحكمه سبحانه، وأن يحكموا شرعه بين عباده وألا يكون في أنفسهم حرج من ذلك، وأن يحذروا اتباع الهوى المخالف لشرعه، وألا يطيعوا من دعاهم إلى تحكيم أي قانون أو نظام يخالف ما دل عليه كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وبين سبحانه أنه لا إيمان لأهل الإسلام إلا بذلك، فكل من زعم أن تحكيم القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله أمر جائز أو أنه أنسب للناس من تحكيم شرع الله، أو أنه لا فرق بين تحكيم شرع الله وتحكيم القوانين التي وضعها البشر المخالفة لشرع الله ﷻ، فهو مرتد عن الإسلام كافر بعد الإيمان إن كان مسلماً قبل أن يقول هذا القول أو يعتقد هذا الاعتقاد، وكما صرح بذلك أهل العلم والإيمان من علماء التفسير وفقهاء المسلمين في باب حكم المرتد، ومن أشكل عليه شيء مما ذكرنا فليراجع ما ذكره العلماء في تفسير الآيات السابقات كالإمام ابن جرير، والإمام البغوي والحافظ ابن كثير، وغيرهم من

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

علماء التفسير، وليراجع ما ذكره العلماء في باب حكم المرتد وهو المسلم يكفر بعد إسلامه حتى يتضح له الحق وتزول عنه الشبهة، أما من حكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم ذلك لرشوة دفعت إليه من المحكوم له أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه، أو لأسباب أخرى فإنه قد أتى منكراً عظيماً وكبيرة من الكبائر، كما أنه قد أتى نوعاً من الكفر والظلم والفسق لكنه لا يخرجه عمل ذلك من ملة الإسلام، ولكنه يكون بذلك قد أتى معصية عظيمة وتعرض لعذاب الله وعقابه وهو على خطر عظيم من انتكاس القلب والردة عن الإسلام، نعوذ بالله من ذلك، وقد يطلق بعض العلماء أنه أتى بذلك كفراً أصغر وظلماً أصغر وفسقاً أصغر كما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وجماعة من السلف رحمهم الله»[(١)]. والنماذج في هذا الباب كثيرة.

● أسلوب التشهير بالمخالف إذا لم تجدي معه أسلوب الملاينة

كان الشيخ في غالب أحيانه في دعوة المخالف يستخدم أسلوب اللين والرفق، فإذا لم يجدي هذا الأسلوب استخدم أسلوب الشدة والتشهير والنفوذ، ومن أمثلة ذلك: «عندما ألف أحمد عبدالغفور عطار كتابه ويلك آمن وكان تهجماً على الشيخ الألباني بتهويش صحفي دون تحقيق علمي راسله ولاطفه، ثم استدعاه، وحاوره ودعا له. . . . . فلما رأى الإصرار والعناد وعدم الدفع بحجة أحرق ما وصل إلى المملكة من الكتاب، ومنع ما لم يصل»[(٢)].

ولما تجرأت إحدى الصحف ونشرت كلاماً يعتبر من نواقض الإسلام أنكر الشيخ بكل ما استطاع من قوة، وأمر ولاة الأمور وأهل العقد والحل

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/ ١٥٨ - ١٦٠).
(٢) سيرة وحياة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، إبراهيم الحزمي، (١/ ٣٢٥).

بالقيام بواجبهم، وكان مما قاله الشيخ: «وأن هذه الصحيفة قد تجاوزت الحدود، واجترأت على محاربة الدين، والطعن في هذا المقال الشنيع جرأة لا يجوز السكوت عنها، ولا يحل لوزارة الإعلام ولا للحكومة الإغضاء عنها بل يجب قطعاً معاقبتها معاقبة ظاهرة بإيقافها عن الصدور ومحاكمة صاحبة المقال والمسؤول عن تحرير الصحيفة، وتأديبها تأديباً رادعاً واستتابتهما عما حصل منهما؛ لأن هذا المقال يعتبر من نواقض الإسلام ويوجب كفر وردة من قاله أو اعتقده أو رضي به»(١).

لقد سلك الشيخ في دعوته أسلوب التشهير بمن عظم خطره من الجماعات المنحرفة والأفراد المبتدعة، وقد بين الشيخ ضرورة قيام أهل العلم بذلك، حيث يقول رحمه الله: «فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة ومناقشة كل جماعة أو جمعية ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبينا محمد ﷺ، ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله - فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾»(٢).

وقال أيضاً: «وأوصي بالحذر من دعاة الهدم، من دعاة الضلالة، فيجب الحذر منهم والتحذير، يجب الحذر والتحذير من دعاة الضلالة، مثل هؤلاء الذين يرسلون دعواتهم الضالة المضللة من لندن، ومن بلاد الكفرة كـ(المسعري) وأشباهه ومن يتعاون معه على التخريب والفساد وتضليل الناس،

---

(١) الشيخ ابن باز وقضايا المرأة، أحمد الناصر، ص ٤٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٥/ ٢٠٣).

هذا شر عظيم وفساد كبير. قد سمعتم من كلمة الشيخ صالح: بيان ما جاء في بعض نشراتهم من سب لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنه ساذج، وأنه ليس بعالم، وأنه...، وأنه...، هذا الكلام لا يقوله من في قلبه أدنى محبة للخير، ومن في قلبه أدنى غيرة، ومن هو مسلم حقيقة يحب الله ورسوله، كيف يرمي دعاة الهدى الذين أنقذ الله بهم من الشرك وعبادة القبور وعبادة الأصنام وعبادة الشجر والحجر إلى توحيد الله وطاعته.

فيجب القضاء على هذه النشرات، والتحذير منها، وإتلافها مهما كانت، فالمصلح: هو الذي يدعو إلى الله، يدعو إلى التمسك بالدين، يدعو إلى التناصح، يدعو إلى التعاون مع ولاة الأمور في الخير، يدعو لهم بالتوفيق والهداية، وأن الله يعينهم على الخير، وأن الله يهديهم ويصلح لهم البطانة، وأن الله يوفقهم لإقامة الحق»[(١)]. وقال: «توزيع الأشرطة الخبيثة التي تدعو إلى الفرقة والاختلاف، وسب ولاة الأمور والعلماء، لاشك أنها من أعظم المنكرات. والواجب الحذر منها، سواء كانت جاءت من لندن من الحاقدين والجاهلين الذين باعوا دينهم وباعوا أمانتهم على الشيطان من جنس محمد المسعري ومن معه، الذين أرسلوا الكثير من الأوراق الضارة المضلة، والمفرقة للجماعة، يجب الحذر منهم، ويجب إتلاف ما يأتي من هذه الأوراق؛ لأنها شر وتدعو إلى الشر، وما هكذا النصيحة. فالنصيحة تكون بالثناء على ما فعل من الخير، والحث على إصلاح الأوضاع، والتحذير مما وقع من الشر، هذه طريقة أهل الخير الناصحين لله ولعباده»[(٢)].

وقال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في تقديمه لكتاب براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٨/ ٤١٥).
(٢) المرجع السابق، (٨/ ٤١٠ - ٤١١).

الأمة للشيخ بكر أبو زيد: «فقد اطلعت على الرسالة التي كتبتم بعنوان براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، وفضحتم فيها هذا المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري بنقل ما كتبه من السب والشتم والقذف لأهل العلم والإيمان، واستطالته في أعراضهم، وانتقاده لكتبهم إلى آخر ما فاه به ذلك الأفاك الأثيم، عليه من الله ما يستحق، كما أوضحتم أثابكم الله تعلق تلميذه الشيخ عبدالفتاح أبو غدة به، وولاءه له، وتبجحه باستطالة شيخه المذكور في أعراض أهل العلم والتقى، ومشاركته في الهمز واللمز، وقد سبق أن نصحناه بالتبرئ منه، وإعلان عدم موافقته له على ما صدر منه، ولكنه أصر على موالاته له هداه الله للرجوع إلى الحق، وكفى المسلمين شره وأمثاله»[(١)].

لقد كان الشيخ رحمه الله: «يرتفع غضبه إلى القمة حين يتعلق الأمر بدين الله، لذلك تراه أسرع العلماء إلى إنكار البدع، لأنها بنظره عدوان على حقائق الوحي، وتغيير لدين الله، وفي النهاية هي إبعاد للمسلمين عن جادة الإسلام»[(٢)].

لقد كان الشيخ «ما يلبث أن ينقلب أسد هصوراً[(٣)] لا يرده عن إقدامه شئ ذلك إذا انتهكت محارم الله، أو إذا علم بظلم يقع على المسلمين، أو عدوان على شريعة الله»[(٤)].

لقد سلك الشيخ في دعوة المخالف أسلوب التشهير ممن ظهر عناده وأصر على باطله بعد أن ظهر له الحق. فقد كان رحمه الله «لا يرتاح باله، ولا

---

(١) الردود، بكر أبو زيد، ص ٢٦٩.

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم، الشيخ محمد المجذوب، (١/ ٩١ - ٩٢).

(٣) هو الأسد الشديد الذي يفترس ويكسر. انظر: لسان العرب، (٥/ ٢٦٤ - ٢٦٥)، ومختار الصحاح، ص ٦٩٦.

(٤) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، ص ٣٨٢.

يستقر حاله، ولا تهدأ نفسه، ولا تغمض عينه حتى يؤدي ما يقدر عليه من المواجهة والمكافحة بكل قوة وشدة بأس»[(١)].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى سلك في دعوة المخالف أساليب عدة راعى فيها الأسلوب الأجدى والأنفع، وكان يحرص على أسلوب الملاينة والرفق فإذا لم يجدى استخدم أسلوب الشدة والقوة والنفوذ، وأحياناً التشهير.

❊ ❊ ❊

(١) الإبريزية في التسعين البازية، ص ٣٥.

المبحث الثالث

آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر

- ويشتمل على مطلبين:
- المطلب الأول: آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف.
- المطلب الثاني: أوجه الاستفادة من حكمة الشيخ في دعوة المخالف.

المبحث الثالث:

آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر

لما سلك الشيخ المنهج الإسلامي في التعامل مع المخالف جنت الدعوة من وراء ذلك ثمرات متعددة، فقد سلك الشيخ في دعوة المخالف المنهج الإسلامي الصحيح، فأحسن إليه، وأسر في مناصحته ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وتخير الأوقات والأساليب الأجدى في دعوته، وحرص على البعد عن تنفير المخالف وسعى إلى كسبه، وحرص على هدايته، إلى غير ذلك، وقد ترك هذا المنهج السديد على المخالف ثمرات نافعة تدفعنا دفعا إلى تأملها وأخذ العبرة والعظة منها، وهذا ما سنتعرف عليه في هذا المبحث، حيث قسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف.

المطلب الثاني: أوجه الاستفادة من حكمة الشيخ في دعوة المخالف.

❊ ❊ ❊

المطلب الأول:

آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف

لقد تركت حكمة الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في دعوة المخالف آثاراً عظيمة، يمكن إبرازها من خلال ما يلي:

أولًا: قبول دعوته وتأثيره في أصحاب الجاه والسلطان

لقد تعامل الشيخ مع المخالفين له من ولاة الأمور في بعض القضايا معاملة حكيمة، بلغت الغاية في النصح والبيان بحسب ما يقتضيه الحال ويمليه عليه ضميره، بدون إثارة للفتنة أو خروج على ولي الأمر، أو شق للجماعة، أو تأليب للرعية عليه، أو نزع لهيبته من صدورهم، بل كان رَحِمَهُ اللَّهُ نعم الناصح، ونعم الأمين والصديق.

لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ أعرف الناس بحقوقهم، وأعلمهم بطبائع نفوسهم، فكان ينزلهم منزلتهم اللائقة بهم، ومن أهم ما سلكه مع المخالفين له من أصحاب السلطان المسلمين:

- **معرفة ما يتحقق بوجودهم من المنافع العظيمة حتى ولو وقعوا في بعض المعاصي**

فكان ينظر بموضوعية لحال ولاة الأمور، ويعرف ما يترتب من المنافع بوجودهم، حيث يقرر ذلك في قوله: «ومعلوم ما يحصل من ولاة الأمر المسلمين من الخير والهدى والمنفعة العظيمة؛ من إقامة الحدود، ونصر الحق، ونصر المظلوم وحل المشاكل، وإقامة الحدود، والقصاص والعناية

بأسباب الأمن والأخذ على يد السفيه والظالم، إلى غير هذا من المصالح العظيمة، وليس الحاكم معصوماً إنما العصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغون عن الله ﷻ، لكن الواجب التعاون مع ولاة الأمور في الخير والنصيحة فيما قد يقع من الشر والنقص، هكذا فهم المؤمنون، وهكذا أمر الرسول ﷺ، أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور، والنصيحة لهم، . . . . ولما سئل عن ولاة الأمر الذين لا يؤدون ما عليهم قال ﷺ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ»[(١)] فكيف إذا كان ولاة الأمور حريصين على إقامة الحق، وإقامة العدل، ونصر المظلوم، وردع الظالم، والحرص على استتباب الأمن، وعلى حفظ نفوس المسلمين ودينهم وأموالهم وأعراضهم، فيجب التعاون معهم على الخير وعلى ترك الشر ويجب الحرص على التناصح والتواصي بالحق حتى يقل الشر ويكثر الخير»[(٢)].

● مناصحتهم بالأسلوب الحسن

حيث يقرر ذلك في قوله: «المسئولون والكبار الذين يخشى من شرهم على الدعوة، **ينصحون بالأسلوب الحسن**، ويوجهون، ويدعون بالكتابة والمشافهة من أعيان الأمة ورجالها وقادتها وأمرائها، . . . . **فالواجب على المصلحين والدعاة أن يسلكوا هذا السبيل**، وأن يعالجوا مشكلات المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يخاطبوا كل إنسان بما يليق به، حتى ينجحوا في مهمتهم، ويصلوا إلى غايتهم»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، رقم الحديث (٣٦٠٣)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، رقم الحديث (١٨٤٣).

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٩/ ٩٥ - ٩٧).

(٣) المرجع السابق، (١/ ٢٥١ - ٢٥٢).

● **الحرص على التعاون والتآزر مع ولاة الأمور**

يؤكد على ذلك في قوله: «والواجب على جميع المؤمنين والمؤمنات التعاون على البر والتقوى، **والتعاون مع ولاة الأمور في الدعوة إلى الخير، وإبلاغ ولاة الأمور بما قد يخفى عليهم بالمكاتبة الصالحة بالنصيحة** حتى يكون ولاة الأمور والمسئولون على علم بما يقع من الشر مما قد يخفى عليهم، والمقصود أن التعاون على الخير بين المسلمين حكاماً ومحكومين من أهم الواجبات. . . . فلا بد من التعاون بين المسئولين وبين العلماء وبين الدعاة إلى الحق في إظهار الحق والدعوة إليه وفي قمع الباطل وفي القضاء عليه، نسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه رضاه ولما فيه صلاح الجميع»[(١)].

● **الدعاء المستمر لهم بالتوفيق والسداد**

سلك الشيخ في مناصحته لأصحاب السلطان أن يصدره بالدعاء لهم، بل في كثير من دروسه وندواته واجتماعاته يدعو لهم، وحتى في المناصحة كان يبين الحق مع الدعاء لولي الأمر، ومن أمثلة ذلك «فوجود غير المسلمين في هذه الجزيرة العربية فيه خطر عظيم على المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم ومحارمهم وقد يفضي إلى موالاة الكفار ومحبتهم والتزيي بزيهم، ومن اضطر إلى خادم أو سائق أو خادمة فالواجب أن يتحرى الأفضل فالأفضل من المسلمين لا من الكفار، وأن يجتهد في اختيار من كان أقرب إلى الخير وأبعد عن مظاهر الفسق والفساد، ولأن بعض المسلمين يدعي الإسلام وهو غير ملتزم بأحكامه فيحصل به ضرر عظيم وفساد كبير، فنسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ويحفظ عليهم دينهم وأخلاقهم وأن يغنيهم بما أحل لهم عن ما حرم عليهم، **وأن يوفق ولاة الأمر لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد والقضاء على**

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٧/ ٢٨٦).

أسباب الشر والفساد، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه»[(١)].

ويقول أيضاً: «قد تكاثرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في النهي عن التصوير ولعن المصورين ووعيدهم بأنواع الوعيد، فلا يجوز للمسلم أن يصور نفسه ولا أن يصور غيره من ذوات الأرواح إلا عند الضرورة كالجواز والتابعية ونحو ذلك. **نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يوفق ولاة الأمر للتمسك بشريعته والحذر مما خالفها إنه خير مسئول»**[(٢)].

وكان يقول: «وأسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم إلى ما يرضيه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وصالحين مصلحين، كما **أسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويوفق ولاة أمر المسلمين لكل ما فيه رضاه، وصلاح العباد والبلاد، وأن يصلح لهم البطانة، وأن يمن عليهم بتحكيم شريعة الله بين عباده والتحاكم إليها، ونبذ ما خالفها»**[(٣)] **فأسأل الله أن يوفقهم لإصلاح هذه الوسائل الإعلامية وأن يعينهم على صيانتها من كل ما يضر العباد والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يوفق جميع ولاة أمر المسلمين لكل خير وأن ينصر بهم الحق وأن يصون بهم الشريعة ويحمي بهم حماها من جميع البدع والمنكرات، وأن يصلح لهم البطانة ويمنحهم التوفيق في كل ما يأتون ويذرون**، بأن يوفق جميع المسئولين في حكوماتهم للتمسك بالشرع والتعظيم لحرماته والحذر مما يخالفه إنه على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٤/ ٣٩٣).
(٢) المرجع السابق، (١/ ٤٣٧).
(٣) المرجع السابق، (٢/ ٣١٣ - ٣١٤).
(٤) المرجع السابق، (٣/ ٤٣٢).

لقد كان الشيخ كثير الدعاء لولاة الأمور، وكذلك قبل أن يقدم النصيحة أوبعدها يتبعها بالدعاء لهم.

● نصيحتهم سراً

فقد قرر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير.

أما إنكار المنكر بدون ذكر الفاعل: فينكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله، فذلك واجب؛ لعموم الأدلة. ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر من فعلها لا حاكماً ولا غير حاكم»[(١)].

وليس معنى ذلك السكوت عن المنكر بل يؤكد أهميته بآدابه وضوابطه في قوله: «التعاون يكون بالسر ويكون بالجهر، والأصل أنه بالجهر، حتى يعلم السامع ما يقال ويستفيد، فالتعاون والإرشاد نصيحة جهرية للمجتمع هذا هو الأصل إلا إذا اقتضت المصلحة الشرعية عدم الجهر خوفاً من الشر من بعض الناس؛ لأنه لو نصح أو وجه جهراً قد لا يقبل وقد يتكبر، فالنصيحة سراً مطلوبة حينئذ. والناصح والموجه والمرشد يتحرى ما هو الأصلح، فإذا كانت النصيحة والدعوة والإعانة على الخير جهراً تنفع الحاضرين وتعم بها المصلحة - فعل ذلك، وإذا كانت المصلحة تقتضي أن يكون التناصح في حالة السر - فعل ذلك؛ لأن المقصود حصول الخير

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٨/ ٢١٠ - ٢١١).

والنفع للمنصوح وللمجتمع، فالوسيلة المؤدية إلى ذلك هي المطلوبة سواء كانت سرية أو جهرية، والناصح والداعي إلى الله كالطبيب يتحرى الوقت المناسب والكمية والكيفية المناسبة. فهكذا يكون الداعي إلى الله والناصح لعباده يتحرى ما هو الأنسب وما هو الأصلح وما هو الأقرب للنفع»[(١)].

● التأكيد على وجوب طاعة ولاة الأمور في المعروف ومناصحتهم وعدم الخروج عليهم

فكان رحمه الله يقول: «النصيحة لولاة الأمور، وتوجيههم للخير، والتعاون معهم حتى يحكموا شرع الله، أما أن الآمر والناهي يمد يده فيقتل أو يضرب فلا يجوز، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن حتى يحكموا شرع الله في عباد الله، وإلا فواجبه النصح، وواجبه التوجيه إلى الخير، وواجبه إنكار المنكر بالتي هي أحسن، هذا هو واجبه، . . . . لأن إنكاره باليد بالقتل أو الضرب يترتب عليه شر أكثر وفساد أعظم بلا شك ولا ريب لكل من سبر هذه الأمور وعرفها»[(٢)].

بل كان الشيخ «يقرر أن من عقيدة السلف الصالح طاعة ولاة الأمور بالمعروف، . . . وعدم منازعة الأمر أهله، ووجوب السمع والطاعة بالمعروف، وتحريم الخروج عليهم مالم تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان، وقد أوضح الإمام رحمه الله هذه العقيدة الصحيحة، والمنهاج السديد في كتب ومؤلفات، وفتاوى ومقالات، ودروس ومحاضرات، موضحاً بالأدلة الناصعة فساد معتقد المخالف لها في القديم والحديث، وصار هذا المنهج همه الأكبر، وشغله الأعظم»[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/ ٢٧٢).

(٢) المرجع السابق، (٨/ ٢٠٧).

(٣) علامة الأمة ابن باز دراسة في المنهج والعمل، سليمان الطريم، ص ٦٩ - ٧٢.

هذه المعاملة المنضبطة بضوابط الشرع لمن خالفه في بعض القضايا من ولاة الأمور كانت لها ثمرات وآثار نافعة، من أهمها ما يلي:

● **قبول نصيحته وتغيير بعض ما وقع فيه ولاة الأمر من أخطاء**

ومن أمثلة ذلك عندما سئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن كثرة تدفق غير المسلمين إلى بلاد المملكة العربية السعودية وقلق المسلمين القادمين إلى الحرمين الشريفين من ذلك أجاب بقوله: «وقد نبه ولي الأمر على أنه يجب تطهير الجزيرة العربية من الكفرة، والعناية بعدم دخولهم فيها، وعدم إقامتهم فيها، **وقد وافق ولي الأمر على التقليل منهم**، ووعد وفقه الله بالعناية التامة بهذا الشأن، وأن لا يستقدم إلا من تدعو الضرورة أو الحاجة الشديدة إليهم»[(١)]. لقد عرف الشيخ «أن الأمراء والكبراء هم بأمس الحاجة إلى تدفق الرحمة إلى رحابهم، وهطول غيث الرفق على مراتعهم، فأعطاهم من وقته ونصحه ولطفه ورفقه الشئ الكثير، وعايشهم وسبر حياتهم، وكان لهم أباً رحيماً، وموجهاً رفيقاً، **حببهم إلى الدين، . . . ، غير نظرة كثير منهم ممن كان يظن الدين أو التدين يعني الشدة أو التعنيف أو التبديع أو التقنيط، تربع على عرش قلوبهم فصدقوا في حبه، واجتهدوا في قربه، ووهبوا أيديهم للتعامل والتعاون معهم في كل ما أرداهم له من أمور تنفع الإسلام والمسلمين، فسخرهم لصالح الدين، ويسرهم لقضاء حوائج الناس، فكانوا يتسارعون لتلبية رغبته وقبول شفاعته بصدور منشرحة، ونفوس راضية**»[(٢)]. يقول الشيخ ناصر الزهراني: «أما المسؤولون بمختلف مستوياتهم في هذه البلاد على وجه الخصوص فقد كانوا يكنون للشيخ احتراماً كبيراً، **ويعرفون قدره**،

---

(١) حوار من القلب مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، نبيل بن محمد محمود، ص ٢٧.

(٢) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ١٢٠.

ويقبلون شفاعته»[(١)]. ويقول أيضاً: «لقد كنت أذهب إلى كبار الأمراء مرسلاً من سماحته في أمور تتعلق بها مصالح عامة... فكنت ألقى اهتماماً بيناً لكل ما يكتبه لهم رحمه الله في شتى المجالات»[(٢)].

● قبوله عند جميع ولاة الأمور والتأثير فيهم

نتج عن المعاملة الموضوعية للشيخ ابن باز مع ولاة الأمر حتى وإن وقع الخطأ من بعضهم إلى القبول عند الجميع، بسبب حكمته، يقول أحد تلاميذه: «ومن حكمة الشيخ رحمه الله تعالى وسياسته الشرعيه شكره لأهل الحل والعقد عندما يحصل منهم ما يوجب ذلك»[(٣)] [(٤)].

---

(١) إمام العصر، ص ١٦٥.

(٢) بين الولاة والدعاة، ١٢٦.

(٣) الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر، عبد العزيز السدحان، ص ٨٠.

(٤) ولم يكن الشيخ هدفه من ذلك المخادعة أو كسب منافع دنيوية، إنما كان الهدف سام، يتبين ذلك في قوله: «ونحن بحمد الله في دولة إسلامية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله عز وجل وتحكم شرعه، فالواجب التعاون معها على الخير وعلى إزالة ما يوجد من الشر بالطرق الحكيمة والأسلوب الحسن مع الإخلاص لله سبحانه والصدق في العمل وعلاج الأوضاع المحتاجة إلى العلاج بالطرق الشرعية حسب الطاقة فيما بيننا وبين ولاة الأمور وفقهم الله بالمكاتبة والمشافهة وبالتعاون مع العلماء بالمناصحة لهم، وهكذا يجب على الدعاة إلى الله سبحانه في جميع الدول أن يعالجوا الأوضاع المخالفة للشرع المطهر بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب الحسن، ويتعاونوا مع المسئولين على الخير ويتواصوا بالحق مع الرفق والتعاون مع الدولة بالحكمة حتى لا يؤذى الدعاة وحتى لا تعطل الدعوة، فالحكمة في الدعوة بالأسلوب الحسن وبالتعاون على البر والتقوى هي الطريق إلى إزالة المنكر أو تقليله وتخفيف الشر، ومن أهم ذلك الدعوة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية فهذا هو الطريق إلى العلاج والإصلاح ولو لم يحصل المطلوب كله لكن يحصل بعض الخير والتجاوب من الحكومة التي ينكرون عليها فيقل الشر ويكثر الخير. فلا بد من الحكمة في الدعوة بالعلم، والعلم يدعو إلى الرفق وإلى تقديم الأفضل فالأفضل، ويدعو إلى تقديم الأهم فالأهم. والدعوة إلى إزالة منكر إذا كانت تؤدي إلى منكر أشد لا تجوز، والدعوة إلى فعل أمر يؤدي إلى ما هو أخطر منه =

فكان من ثمرت هذه المعاملة أن نتج عنها التعاون والتناصح والحب، والتأثير في ولاة الأمر يدلل على ذلك تلك البرقية التى رفع بها الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله في برقية العزاء التي رفع بها لأبناء الأمام رحمه الله، جاء فيها: «لقد فقدنا بوفاة والدكم إنساناً **من أعز الناس بالنسبة لنا، ومن أصدق الناس معنا، ومن أحرص الناس على نصحنا،** والدعوة إلى الخير والنصح للناس وتوجيههم»[(١)]. وقال لهم أيضاً: «**والدكم رحمة الله عليه هو والدنا، بل ربما أشد من ذلك بالنسبة لي شخصياً، وفقده ليس مصابكم أنتم كأسرته وأبنائه،** بل هو أيضاً مصابنا كشعب، وأيضاً للعالم الإسلامي،

= لا تجوز، فالواجب السعي فيما هو سبب لتكثير الخير وتقليل الشر، والبعد عن ما هو أشر وأعظم وما يفضي إلى الشرك الأكبر مع دولتك في بلادك، ومع غيرها، ومع الرؤساء والمسئولين، ومع الأمراء وغيرهم، فالواجب التعاون معهم في إزالة الشر وتقليله وتكثير الخير، وإزالة ما هو مخالف للشرع حسب الطاقة. والمقصود أن الواجب علينا أن نعمل بكتاب الله عز وجل وبسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ونسير على ضوئها، وأن نتفاهم فيما بيننا، وإذا أشكل شيء طرحناه للبحث بيننا ورفعناه لمن فوقنا حتى يزال الشر ويقر الخير. والتناصح والتعاون لا يأتي إلا بخير والعجلة تأتي بالشر، فالواجب علينا معشر طلبة العلم ومعشر الدعاة ومعشر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن نتحرى ما هو الأفضل للحصول على الخير، وأن نتحرى في أسلوبنا وفي أمرنا ونهينا وفي دعوتنا وتصرفاتنا كلها ما هو الأقرب إلى رضى الله، وما هو الأقرب لحصول المطلوب الذي يرضي الله سبحانه وإزالة المنكر وحصول الخير، وعلينا أن نحرص عليه ونتعاون فيه ونتظافر فيه، وإذا دعت الحاجة إلى الشدة فالواجب الرفع إلى المسئولين عن إزالة ذلك الأمر ومتابعته حتى يزول.

الذي أنصح به إخواني في هذه البلاد وفي كل مكان أن يتحروا طريقة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وطريقة أصحابه رضي الله عنهم في القول والعمل، ويكونوا أسوة صالحة في أقوالهم وأعمالهم وأن يبدءوا بأنفسهم في كل خير وفي ترك كل شر حتى يكونوا قدوة عملية في أعمالهم وأحوالهم وأخلاقهم ورفقهم ورحمتهم وإحسانهم، وأن يحرصوا دائما أن يتحروا في الأمر، وأن يكون خطؤهم في العفو والرفق أولى من خطئهم في الشدة». مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (٧/ ٢٩٩ - ٣٠١).

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد الحمد، ص ٥٩٦.

ولكل المسلمين»[(١)]. وقال الأمير عبدالعزيز بن فهد: «لقد رزئت أمة الإسلام في أنحاء الدنيا بخطب فادح، ومصاب جلل، نقصت به الأرض من أطرافها، وثلم به جدار الدين والملة، . . . . ذلكم هو فراق إمام أهل السنة والجماعة، وحيد عصره، وعلامة زمانه، . . . . عالم الأمة وداعية العصر، فلن تنساه الأجيال على تعاقبها، وسيظل بإذن الله حياً بعلمه وعمله وجهاده ودعوته»[(٢)]. وقال أيضاً: «إن وفاة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الذي كرس حياته للعلم وخدمة الإسلام والمسلمين خسارة فادحة للأمة الإسلامية التي طالما استفادت بعلمه. وقد تحلى بصفات حميدة، وبذل جهوداً خيرة وموفقة على صعيد العلم وخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية والعلوم الشرعية»[(٣)].

ويبين الأمير عبدالعزيز بن فهد المكانة التي كان يحتلها الشيخ ابن باز عند الملك فهد فيقول: لقد ملأ قلبي حب واحترام وتقدير سماحة الشيخ رحمه الله لكثرة ما يتحدث والدي مولاي خادم الحرمين الشرفين عن. . . هذا الإمام وما له من مكانة في نفسه خاصة»[(٤)]. ويقول الدكتور ناصر الزهراني: «لقد عاصر الشيخ الملك عبدالعزيز رحمه الله، وكان يلتقي به في محافظة الدلم عندما يزور المنطقة، وتعامل مع الملك سعود والملك فيصل والملك خالد رحمهم الله، **وكانوا جميعاً محبين له، مستنيرين بعلمه، مسترشدين بتوجيهاته، مستعينين بطلابه، واثقين من نصائحه**، تعامل مع الملك فهد. . . . وذكر عنه مرة عندما ترأس مجلس الجامعة الإسلامية

---

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد الحمد، ص ٥٩٦.

(٢) منهج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في القضايا الفقهية المستجدة، ص ٤٣.

(٣) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ١٢٢.

(٤) إمام العصر إمام العصر سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د. ناصر الزهراني، ص ٢٥١.

بحضور الفقيد بأنه. . . مع أي قرار يتخذه للمجلس، وذكر عنه أنه في منزلة الوالد للجميع»[(١)].

وقد مر معنا قوله: «وقد نبه ولي الأمر على أنه يجب تطهير الجزيرة العربية من الكفرة، والعناية بعدم دخولهم فيها، وعدم إقامتهم فيها، **وقد وافق ولي الأمر على التقليل منهم، ووعد وفقه الله بالعناية التامة بهذا الشأن، وأن لا يستقدم إلا من تدعو الضرورة أو الحاجة الشديدة إليهم**»[(٢)].

إن سبب هذا التأثير في وجهاء القوم والتعاون معهم أنه كان رَحِمَهُ اللَّهُ ينطلق من منطلق «تغليب الخير وتشجيعه، ودعمه وشكره، فما دام الخير هو السائد، والطيب هو الظاهر، فإن تلك محمدة ينبغي الاحتفاظ بها كرصيد ممدوح، والسعي في تنميتها وتقويتها، والاجتهاد في قمع الشر وتحجيمه، ومحاربته وترغيمه، فهو يعمل بالقاعدة الشرعية العادلة: المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء بكثير صوابه»[(٣)]. لقد بلغ الشيخ من آثار معاملته وقربه من ولاة الأمور كما يقول أحد من عاصره رَحِمَهُ اللَّهُ: «حيث بلغ من الوجاهة مبلغاً **يقول فيسمع لقوله، ويشفع فُيشفع**»[(٤)]. ويقول الدكتور خليل الخليل: «تعامل مع الحكام على ما فيهم من حساسية المسئولية ولم يفقد نفسه من المعركة، ولم يتنازل عن مبادئه للترضية. . . . تعامل رَحِمَهُ اللَّهُ مع السياسة والسياسيين سواء كانوا أمراء مناطق، أو ملوكاً، أو رؤساء دول **فكانوا مقدرين له ومحترمين لشخصيته المتميزة**»[(٥)].

---

(١) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) حوار من القلب مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، نبيل بن محمد محمود، ص ٢٧.

(٣) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ٩٢ - ٩٣.

(٤) الشيخ ابن باز بقية السلف وإمام الخلف صفحات من حياته وأصداء وفاته، تقديم د/ مانع الجهني، ص ٩١.

(٥) بين الولاة والدعاة، د. ناصر الزهراني، ص ٩٠ - ٩١.

لقد كان لسماحة الشيخ علاقة مميزة مع ولاة الأمر في هذه البلاد خاصة، ومع بعض قادة الدول الإسلامية عامة، وكان الشيخ يدعو لهم في أوقات الإجابة. . . . وكانت هذه العلاقة لا تمنعه من إسداء النصيحة الصادقة بالطريقة الشرعية المؤثرة، وكان يزجي نصائحه، ويكتب رسائله، ويبعث بتوجيهاته لعدد كبير من القادة والأمراء والوزراء بأسلوب لطيف، ولفظ لين، وعبارة حانية، ولقد كان له مواقف غاية في القوة والإنكار على كثير من زعماء العالم الإسلامي»[(١)].

ثانياً: قبول دعوته وتأثيره في بعض العاملين للدعوة وإن خالفوه في المنهج والفكر

لقد كانت معاملة الشيخ للمخالفين له من بعض العاملين للدعوة بالحكمة استطاع من خلالها أسر قلوبهم والتأثير فيهم، وقبول نصيحته لهم، يدلل على ذلك:

موقفه مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، حيث ذكر الشيخ محمد موسى رحمه الله هذا الموقف وكيف أثر الشيخ ابن باز في مخالفيه[(٢)]. ويقول

---

(١) إمام العصر سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د. ناصر الزهراني، ص١٥٧.

(٢) «لما قدم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إلى الرياض لاستلام جائزته المقدمة من لجنة جائزة الملك فيصل العالمية زار سماحة الشيخ في منزله. وكانت في ذلك الوقت ضجة حول كتاب الشيخ محمد الغزالي «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث». وقد قرئ ذلك الكتاب على سماحة الشيخ. فلما زاره الغزالي احتفى به، وأكرمه، ولاطفه، وسأله عن الدعوة في الجزئر، وعن حاجتهم، وأخبره بأنه على أتم الاستعداد لدعمهم، وكان الشيخ الغزالي آنذاك رئيسا لجامعة في الجزائر.
وكان مجلس سماحته كالعادة عامراً بالزائرين والسائلين والمحتاجين والضيوف، وكان الهاتف لا يتوقف رنينه، وكان كتاب سماحته حوله يقرؤون، وهكذا. . . وكلما سنحت =

الدكتور عبدالحليم عويس: «زرته يوماً مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ **فاستقبله أحسن استقبال، وأكرمه غاية غاية الكرم، وتكلم في بعض الأمور بطريقة عامة كريمة، جعلت الشيخ الغزالي يقول لسماحة الشيخ ابن باز بود وحب: اكتب إلي ما تشاء في ضوء النصوص الشرعية وأنا مستعد للعدول عن أي رأي كنت قد رأيته أو اجتهدت فيه**، ولهذا كان الشيخ محمد الغزالي دائم القول في الشيخ عبدالعزيز بن باز وأنا شاهد على ذلك: **إن الشيخ عبدالعزز بن باز ملك من ملوك الآخرة**»[(١)].

وذكر الدكتور محمد الفاضل عن الإمام وارث الدين إمام المسلمين في أمريكا الذي زار الشيخ مع مرافقيه فأكرمهم وأثنى على جهودهم ونصحهم، **ووجههم بعدة توجيهات، وأوصاهم بالعناية بالعقيدة والحرص على التمسك**

= لسماحته فرصة التفت إلى الشيخ الغزالي وحياه ولاطفه، فأعجب الغزالي بما رأي، وكان ذلك بادياً عليه. وفي تلك الأثناء قال سماحته للشيخ الغزالي: لقد قرأت كتابكم المذكور، ولا يخفى عليكم أن البشر عرضة للخطأ، ونحن وغيرنا عرضة لذلك، وقد قرأت شئيا من كتابكم، وعليه بعض الملحوظات. فقال الشيخ الغزالي: أنا يسعدني أن تكملوا قراءته، وأن توافوني بما تلاحظونه، وأنا إن شاء الله أصلحه، وذكر كلاماً نحو هذا.

وبينما كان سماحة الشيخ يرد على مكالمة هاتفية دار الحديث بين الشيخ الغزالي وبين أحد المشايخ الحاضرين وهو الشيخ خير الدين وائلي من سوريا، فقال الشيخ خير الدين: أنتم قلتم كذا وكذا، فانقض الغزالي عليه واشتد النقاش. ولما سمع سماحته كلامهما التفت إلى الغزالي، وقال ماذا عندكم؟. قال: كذا وكذا. فخاطبهما جميعاً بأن هذه المسائل ينبغي أن توضع في إطارها، وأن نحرص كل الحرص على جمع كلمتنا والبعد عن الخلاف، فنحن أمام أمور كبار تتعلق بأصول المسائل، وسكن من غضبهما، وانتهى الجدال. وكان الشيخ الغزالي مدعوا للغذاء، ولكنه تأخر على من دعاه، وجلس عند سماحة الشيخ وتناول معه الغذاء.

ولما هم بالخروج ألقى نظرة على سماحة الشيخ وقال: نحن بخير ما دام فينا هذا الرجل. وبلغني أنه لما وصل إلى من دعاه قالوا له: لماذا تأخرت؟ قال: كنا في عالم ثان». جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، ص ٢٨٠.

(١) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، ص ٢١٠.

بمنهج السلف الصالح، وفتح الحوار معهم، وكانت الثمرة كما ذكر الدكتور محمد: «**وقد ظهر على الإمام وارث الدين انبهار وإعجاب بالشيخ في علمه وسمته وهيئته وبساطته وإجابته للسائلين عبر الهاتف، وشمولية مجلسه** وتوجهه لكل فرد في هذا المجلس بصورة تشعره بأنه محط اهتمام الشيخ وحده، **ومن مظاهر إعجاب الإمام بالشيخ أنه قال له: نحن الآن نعدك ياشيخ منذ اللحظة أنك شيخنا وإمامنا وقدوتنا ومستعدون أن نصدر عن رأيك في كل أمر من أمورنا، ويسرنا أن نستقبل في مساجدنا ومدارسنا كل من يأتينا من طرفك من الأئمة والدعاة والمدرسين، وأن ندرس بتوجيهك في كل شيء**»[(١)].

وعلى الرغم من الخلاف الذي دار بين الشيخ وبين الدكتور يوسف القرضاوي في بعض القضايا إلا إن الشيخ قد أثر في الدكتور القرضاوي، يدل على ذلك تلك الكلمات التي عبر بها عنه، حيث قال: «ودعت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها الأفذاذ، ونجماً من نجومها الساطعة في سماء العلم، علامة الجزيرة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الذي كان جبلاً من جبال العلم، وبحراً من بحور الفقه، وإماماً من أئمة الهدى، ولساناً من ألسنة التوحيد، وعماداً من أعمدة الدين، وركناً من أركان الأمة، طالما استفاد من علمه المسلمون في الجزيرة والخليج وفي شتى بقاع الأرض، عن طريق اللقاء والمشافهة، أو الكتاب والمراسلة، أو الهواتف والإذاعة، أو الكتابة والصحافة، أو الرسائل والكتب، أو الشريط المسموع. عاش الشيخ عمره المبارك للعلم والدين، يعلم ويدرس، ويجيب ويفتي، وينصح ويدعو، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مع حكمة بالغة ورفق وبصيرة. . . . . كان أكبر هم الشيخ الدعوة إلى التوحيد الخالص، وتصفية العقيدة من الشرك

(١) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله، ص ٢١٠ - ٢١١.

أكبره وأصغره، جليه وخفيه، والوقوف في وجه القبوريين والخرافيين، واتباع ما جاء عن السلف في وصف الله تعالى مما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وكان لا يدع فرصة ولا مناسبة إلا أكد فيها هذه المعاني، لا يمالئ ولا يجامل»[(١)].

وقال الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمصر سابقاً: «ابن باز علامة بارزة في العصر الحالي، كان رَحِمَهُ اللَّهُ واسع العلم، غزير المعرفة، سديد الآراء، داعية إسلامياً، انتفع بعلمه الملايين من أبناء الأمة الإسلامية»[(٢)]، وقال مفتي مصر سابقاً نصر فريد واصل: «كان ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ذا رؤية ثاقبة، وموعظة حسنة، إنه كان داعية إسلامياً كبيراً، وعلماً من أعلام الدين الإسلامي الحنيف»[(٣)]. وقال الشيخ عبدالمجيد الزنداني: «ابن باز كان صمام أمان في المجتمع الإسلامي، جبل من جبال العلم كثير العمل وكثير العبادة... كان شديد التمسك بمنهج السلف»[(٤)]. ويقول الدكتور علي الحسون: «فقدنا عالماً من علماء الإسلام وبحراً من بحور العلم، فهو رَحِمَهُ اللَّهُ من الأئمة القلائل المجتهدين في هذا الزمان، فهو يعتبر بقية السلف وخاتمة المحققين، بل إنه هو الذي بعث من جديد مدرسة الأخذ بالدليل والخروج على التعصب المذهبي من الأخذ بالراجح حسب الدليل، والتي أسسها ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فكان من ثمرتها ما يجري حالياً في المملكة العربية السعودية من

---

(١) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، ص ١٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٨.

(٣) انظر: سيرة وحياة العلامة ابن باز للحازمي، ص ٤٠٦ - ٤٠٧، ومنهج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في القضايا الفقهية المستجدة، ص ٧٦ - ٧٧.

(٤) المصدر السابق نفسه.

الأخذ بالراجح بناء على الدليل حيث يأخذ بذلك الآن كافة أهل الفتوى، كما أن القضاة أيضاً ينتهجون هذا المنهج»[(١)]. ويقول الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية رحمه الله: «وكنت ألمس في شخصية ابن باز العالم الواعي المستوعب للمسائل العلمية والقضايا الإسلامية دون تعصب لرأي أو انغلاق على مذهب»[(٢)]. ويقول الدكتور التهامي الراجي المثقف المغربي والأستاذ بجامعة محمد الخامس المغربية: «إن وفاة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله تعتبر خسارة كبيرة للعالم الإسلامي نظراً لمكانة الرجل العلمية والدعوية ورسالته الإصلاحية التي كرس لها حياته. . . . أوقف حياته رحمه الله علي إزالة الخرفات من عقائد المسلمين، وهذه مهمة عظيمة في عصرنا الذي كثرت فيه الخرافات والانحرافات»[(٣)].

تلك الكلمات التي عبر بها بعض العلماء والدعاة على الرغم من مخالفة كل منهم للشيخ في بعض المسائل والقضايا تدل على أنه أثر فيهم لكن نستطيع أن نقول جازمين بأن الشيخ بسبب المعاملة الحسنة وتحليه بالمنهج السديد في دعوة المخالف إستطاع أن يؤثر فيهم، اتضح ذلك من خلال ما عبر به عنه بعضهم.

❊ ❊ ❊

(١) سيرة وحياة العلامة ابن باز للحازمي، ص٤٢٨ - ٤٢٩، ومنهج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في القضايا الفقهية المستجدة، ص ١١٥.

(٢) سيرة وحياة الشيخ العلامة ابن باز، إبراهيم الحازمي، (ص ٤٣٦).

(٣) المرجع السابق، (ص ٤٤٥).

المطلب الثاني:

أوجه الاستفادة من حكمة الشيخ في دعوة المخالف

إن دراسة مثل هذه الدراسات لم يكن الهدف منها سرد القصص، وإنما هدفها هو الإفادة من حكمة الشيخ في التعامل مع المخالف ودعوته.

ومما يستفاد من منهج الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وحكمته الدعوية في العصر الحاضر باختصار:

- **الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في دعوة المخالف.**

وهذا يبين أهمية جعل الدعاة الكتاب والسنة هو المنطلق في دعوة المخالف، إذ الالتزام بالدليل يقطع على المخالف كثير من التأرجح والعناد، ويدفعه إلى الإذعان بالحق وإن لم يقبل به، وهو المأمن عن الزيغ والانحراف.

وقد كانت وصية الشيخ لطلاب العلم بأن تكون دعوتهم نابعة من الكتاب والسنة في الدعوة إلى الله، حيث يقول رحمه الله: «فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله وأن يصبروا على ذلك وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة عليه الصلاة والسلام وعلى طريق الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم»[(١)].

ويقول رحمه الله: «فطالب العلم عليه مسئولية كبيرة ومفترضة، وهي أن يعنى بالدليل، وأن يجتهد في معرفة براهين المسائل، وبراهين الأحكام من

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ١٢٣).

الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ومن القواعد المعتبرة. . وأن يكون على بينة كبيرة، وعلى صلة وثيقة بكلام العلماء، فإن معرفته بكلام أهل العلم تعينه على فهم الأدلة، وتعينه على استخراج الأحكام، وتعينه على التمييز بين الراجح والمرجوح»[(١)].

واعتماد الداعية على الكتاب والسنة في دعوة المخالف، لتظهر الحجة وتتضح، ويقطع الخلاف ويدحض، ويفحم الخصم ويلزم بالدليل، فلا يكون حجة لأحد بعد ذلك. والالتزام بنصوص الوحيين يهدي للتي هي أقوم، ومن الأمور المسلمة عند أهل السنة والجماعة أن نصوص الوحيين لا يجوز معارضتهما برأي أو عقل أو ذوق أو قياس.

- **مراعاة الأولويات والبدء بالأهم فالمهم.**

من الأهمية بمكان في دعوة المخالفين مراعاة الأولويات والبدأ بالأهم فالمهم، فمن أهم القضايا التي أولاها الشيخ ابن باز في دعوة المخالف هو البدء بالدعوة إلى التوحيد وبيان ما يناقضه ظهر ذلك من خلال مؤلفاته، ورسائله، وفتاويه، ومحاضراته، والمؤتمرات والندوات التي شارك فيها. وهذا مما يتحتم على الداعية مراعاته في دعوة المخالفين له.

فلقد ظهرت حكمة الشيخ الدعوية في اعتنائه في دعوة المخالف بقضايا التوحيد، وتقديمها على ما سواها من القضايا؛ لأهميتها وإتباعاً لسبل الأنبياء والمرسلين، فقد أولوا هذه القضية اهتماماً بالغاً، والمتأمل في كتاب الله يجد أن دعوة كل الأنبياء والرسل لقومهم مبدأها التوحيد.

- **التجرد للحق والبعد عن الهوى.**

فوضوح الحق والتجرد له وسلامة المقصد سبب من أسباب قبول

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ١٢٣).

المخالف للدعوة، وهو منهج دعوي سديد يتحتم على الدعاة مراعاته والأخذ به.

ولقد كان الشيخ رحمه الله مخلص النية لربه، مريداً بدعوته وجه الله، بغض النظر عن لفت الأنظار إليه، والاعتماد عليه، وإبراز مقدرته على إفحام المحاور، وإظهار البراعة، فقد كان صافي السريرة، حسن السيرة، مترفعاً عن المطامع الدنيوية والأغراض الشخصية، والوجاهات القبلية، فكان مبتغاه هو إقامة الحجة وهداية الناس، لا يريد المال ولا الجاه ولا غيرها من زخارف الحياة الدنيا مما كان لدعوته أثرها في نفوس المخالفين له.

فتحلي الداعية بالبعد عن التعصب والتجرد للحق في دعوة المخالف يظهر له جليا الهدف السامي من دعوة الداعية، والغايه النبيلة، وسلامة مقصده ووضوح هدفه، فيتأثر المخالف، وتكون الدعوة أدعى للقبول. وهذا من أقوى الأسباب في نجاح الداعية في دعوة المخالف.

- **التعامل مع المخالف وفق ضوابط الشرع.**

التعامل مع المخالف في دعوته وفق ضوابط الشرع له الأثر الأكبر في قبوله للحق واتباعه، لذلك كان حري بالدعاة مراعاة تعامل المخالف وفق ضوابط الشرع، فإن استلزم الأمر السرية فعل، وإن استلزم الأمر العلنية فعل، وإن دعت المصلحة للشدة سلكها وإن دعت لعدمها اتبع ذلك وفق المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار.

ومن أهم الأمور التي يجب على الدعاة مراعاتها في دعوة المخالف: عدم توجيه الدعوة للوجهاء أمام العامة في الغالب، إذ هذا ليس من أخلاق العلماء الربانيين، فإن فعل مثل هذا يُفضى إلى نذير شر وحصول سوء، بسبب ظن السوء بهم والتقليل من مكانتهم عند العامة، ومع ذلك لن تؤتي الدعوة ثمرتها المرجوة، وستحدث الفجوة بين الأمراء والعلماء. فإذا

اقتضت المصلحة الشرعية علانية فعل لكن في حدود ضيقة، وهذا منهج السلف الصالح، فقد حرص سلفنا الصالح رضوان الله عليهم على النصح في السر دون العلن، وكان سلفنا الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً، قال بعضهم: «من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الخلائق فإنما يريد الشنعة»[(١)].

- **مراعاة آداب الحوار مع المخالف.**

الحوار الناجح، والمحاور البارع، والداعية الصادق المؤثر، له آداب يحسن التحلي بها في دعوة المخالف له، لتؤتي دعوته ثمرتها المرجوة منها، وهذه الآداب ترفع من شأن الداعية، وتعلي قدره، وهي من أهم أسباب نجاح حوارات الداعية مع مخالفيه. ومن الأهم الآداب التي يستفيدها الدعاة من الشيخ هي: الحلم والشفقة في دعوة المخالف، والرفق واللين مع المخالف في الغالب، والإسرار في دعوة المخالف في الغالب.

فمن أهم نجاح الداعية في دعوة المخالف تحليه بالأخلاق الحسنة والتي أهمها: لين القول، وبسطة الوجه، وسعة الصدر، والتواضع وحسن الاستماع، والإحسان للغير، وحسن الانصات له.

- **التأني في إطلاق الأحكام مع التثبت والتحقق قبل الحكم والبيان على المخالف.**

تأني الداعية في إطلاق الأحكام على المخالفين منهج إسلامي أصيل، وله أثر في حصول الاجتماع والائتلاف وتوحيد الصف، والتعاون على البر والتقوى، وكان هذا هو منهج شيخنا ابن باز في التعامل مع المخالف، فكان رحمه الله يتيقن من وقوع مخالفيه في المخالفة الشرعية، فيتثبت ويتحرى

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٦/ ١٨).

ويطلب البينة، بل كان لا يقبل الخبر إلا من ثقة وبدليل. ومع ذلك كان يحسن الظن بالمخالفين، فكان لا يتتبع عوراتهم وزلاتهم، بل كان يأخذ بظواهرهم ويحرص على نصحهم ودلالتهم على الحق.

- **عدم الإنكار على المخالف في مسائل الاجتهاد.**

من الأمور المهمة التي يجب على الدعاة الانتباه إليها أن الخلاف السائغ لا ينكر فيه على أحد، فقد كان منهج الشيخ ابن باز في التعامل مع المخالف الإنكار على كل من خالف الكتاب والسنة وما عليه عمل سلف الأمة، سواء في مسائل الأصول أو الفروع، أما المسائل التي يسوغ الخلاف فيها فكان الشيخ لا ينكر على من خالفه، وكان يوصي طلابه بعدم الإنكار فيها، بل في كثير من فتاويه التي فيها خلاف بين الفقهاء كما مر معنا يقول الأمر فيه سعة. وهذا يلفت الانتباه لطلاب العلم والدعاة مراعاة ذلك الأمر في التعامل مع المخالفين لهم في المسائل التي فيها الدليل سائغ.

- **إنزال المخالف منزلته ومعرفة فضله إن كان من أهله.**

من الأمور المهمة التي يتحتم على الدعاة إلى الله مراعاتها في التعامل مع المخالف إنزاله منزلته إن كان من أهلها، ومعرفة فضله وحقه، وهذا من الدوافع القوية التي تؤثر في المخالف، وتدفعه لقبول الحق، حيث أن القلوب تميل إلى من يحترمها فتكون أقرب للاستجابة لقبول الحق والعمل به.

ولقد كان الشيخ ابن باز يعلم أن وصوله إلى هذا الصنف من المدعوين المخالفين في بعض المسائل لن يكون إلا بإنزالهم منزلتهم، فكان له طريقته الخاصة المشوقة في التعامل معهم، يحرص ألا يستعمل الشدة معهم، بل كان يتودد ويعتني بهم، ويضفي عليهم ألقابهم كسمو الأمير، وفخامة

الرئيس، والأخ الكريم، وفضيلة الشيخ، وسماحة الدكتور، فكانت دعوته لهم في الغالب تؤتي ثمرتها المرجوة منها.

- **اختيار الوسائل والأساليب الدعوية المثلى في دعوة المخالف.**

من الأهمية بمكان أن يسلك الدعاة إلى الله كافة الوسائل والأساليب الأجدى في دعوة المخالف لما لهما من أهمية بالغة في وصول الدعوة إليه، ولذا كان الشيخ ابن باز رحمه الله يدرك بما حباه الله من بصيرة أهمية استخدام الوسائل والأساليب في دعوة المخالف لذلك نجد أنه قد استخدمهما في دعوة المخالف، وكان يحرص على استخدام الوسيلة والأسلوب الأجدى في دعوة المخالف، ولقد سلك الشيخ في دعوة المخالف عدة وسائل وأساليب راعى فيها: مناسبتها لحاله، ومعرفته بأنها أجدى لدعوته. مع الحرص على اختيار الوقت المناسب، والأسلوب المناسب.

وأيضاً سلك في دعوة المخالف أساليب عدة راعى فيها الأسلوب الأجدى والأنفع، وكان يحرص على أسلوب الملاينة والرفق، فإذا لم يجدى استخدم أسلوب الشدة والقوة والنفوذ، وأحيانا التشهير.

* * *

الخاتمة

في نهاية البحث يلوح لي عدد من النتائج أجملها على النحو التالي، ثم أتبعها بجملة من التوصيات.

النتائج

- كان للشيخ منهج واضح المعالم في دعوة المخالف.
- سلك الشيخ في دعوة المخالف منهجاً حكيماً سديداً راعى نوعية المخالف، وكيفية التعامل معه.
- اعتمد الشيخ في دعوة المخالف على الكتاب والسنة فظهرت حجته واتضحت، وقطع الخلاف وألزم الخصم بالدليل.
- من أهم القضايا التي أولاها الشيخ اهتماماً في دعوة المخالف البدء بالأهم فالمهم.
- تجرد الشيخ في دعوة المخالف للحق وابتعد عن التعصب فظهرت غايته النبيلة للمخالف فأثر في بعضهم.
- راعى الشيخ في دعوة المخالف آداب الحوار مما كان لها أكبر الأثر في احترام المخالف لدعوة الشيخ وتقديره حتى وإن خالفه.
- لم ينكر الشيخ على المخالف في مسائل الخلاف السائغ وهذا يدل على سعة علمه، وحكمته الدعوية.
- سلك الشيخ في غالب دعوة المخالف الإسرار بالنصيحة، وبيان الحكم دون ذكر الأشخاص، مع توقيره واحترامه.

- حرص الشيخ على تأليف قلب المخالف، وتشجيعه، وحفظ عرضه، وإنزاله منزلته.
- سلك الشيخ في دعوة المخالف الوسائل والأساليب الأجدى في دعوته فراعى فيها مناسبتها لحاله.
- حرص الشيخ عن البعد عن تنفير المخالف وسعي إلى كسبه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.
- كان لمنهج الشيخ الحكيم في دعوة المخالف قبول دعوته وتأثيره في المخالف.
- جنت الدعوة من وراء حكمة الشيخ في دعوة المخالف ثمرات نافعة ومتعددة.
- من سار على منهاج النبوة ضمن النجاح في دعوته، والنموذج الذي بين أيدينا دليل على ذلك.
- كان الشيخ ابن باز في التعامل مع المخالف مثلا للعامل الرباني، والناصح الصادق، والداعية المسدد، فناصح المخالف، ولاطف المعاند في أغلب حالاته، وطبق منهج الإسلام في دنيا الناس.
- أثبتت الأيام براعة الشيخ وحصافته، وسلامة منهجه، وسديد رأيه، وصدق حديثه.

❊ ❊ ❊

أما توصيات البحث

- أوصي بتحلي الدعاة والعلماء بالحكمة في دعوة المخالف، والسير على منهاج النبوة، واقتفاء أثر العلماء وسلف الأمة.
- أوصي طلاب العلم بالعودة إلى تراث الشيخ ابن باز وسوف يجد فيه ما يسعد قلبه ويروي ظمأه.
- أوصى الباحثين بالكتابة في الموضوعات الآتية:

- الاحتساب على مخالفات العقيدة دراسة تطبيقية على منهج الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.
- الاحتساب على الملأ دراسة تطبيقية على منهج الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.
- الاحتساب على مخالفات الدعاة والعلماء دراسة تطبيقية على منهج الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.
- الاحتساب على مخالفات وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة دراسة تطبيقية على منهج الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.
- الشيخ ابن باز وقضايا الأمة الإسلامية.
- الشيخ ابن باز وقضايا الإيمان.
- منهج الاعتدال في شخصية الشيخ ابن باز.

* * *

أهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

- **الإبريزية في التسعين البازية**، د/ حمد الشتوي، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **ابن باز في الدلم قاضياً ومعلماً**، عبدالعزيز البراك، ط٣/ ١٤٢١هـ.
- **ابن باز في قلوب محبيه**، مانع بن ناصر آل خرصان، ١٤٢٠هـ.
- **أصول الدعوة**، د/ عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/ ١٤١٤هـ.
- **أصول الشيخ عبدالعزيز بن باز في الرد على المخالف**، فيصل الجاسم، دار البشائر الإسلامية، ط١/ ١٤٢٩هـ.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد دار الجيل، بيروت، ط/ ١٩٧٣م.
- **الأعلام للزركلي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١/ ١٩٨٠م.
- **الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر، عبدالعزيز السدحان**، دار طيبة، ط١/ ١٤٢١هـ.
- **إمام العصر سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز**، د/ ناصر الزهراني، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلام بالرياض.
- **الإنجاز في ترجمة الإمام بن باز**، عبدالرحمن الرحمة، دار الهجرة، ط٢/ ١٤٢١هـ.

- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز**، رواية الشيخ محمد موسى، إعداد/ د. محمد الحمد، دار ابن خزيمة، ط١/ ١٤٢٣هـ.
- **الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى**، د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٣هـ.
- **الدرر البازية في الرد على الإنحرافات العقدية والشرعية**، أبو العلاء بن راشد الراشد، مكتبة الرشد، ط١/ ١٤٣١هـ.
- **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها**، د/ أحمد غلوش، دار الكتاب اللبناني ببيروت، ط٢/ ١٩٨٧م.
- **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، محمَّد الراوي، ط دار الرشد، الرياض، ١٤١١هـ.
- **الدعوة إلى الإسلام**، الدكتور أبو بكر زكرى، مكتبة دار العروبة، القاهرة.
- **الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء**، محمد بن موسى، ود. محمد الحمد، دار ابن خزيمة، ط١/ ١٤٢٨هـ.
- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، محمد بن حبان أبو حاتم، ص ١٩٦، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٣٩٧ هـ- ١٩٧٧م.
- **سيرة وحياة الشيخ عبدالعزيز بن باز**، إبراهيم بن عبدالله الحازمي، دار الشريف، ١٤٢٢هـ.

- **شخصية عبد العزيز بن باز الفكرية والثقافية**، د. محمد موسى الشريف، دار الأندلسية، جدة، ط١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **الشيخ ابن باز وقضايا المرأة**، أحمد الناصر، دار أطلس دمشق، ط١/ ١٤٢٥هـ.
- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١/ ١٤٢٢هـ.
- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **عبدالعزيز بن باز عالم فقدته الأمة**، د.محمد الشويعر، بدون.
- **علامة الأمة ابن باز دراسة في المنهج والعمل**، سليمان الطريم، دار الصميعي بالرياض، ١٤٢١هـ.
- **علماء ومفكرون عرفتهم**، محمد المجذوب، عالم المعرفة، ١٤٠٣هـ.
- **الفرق بين النصيحة والتعيير**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، عمان، ط٢/ ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.
- **الفقيه والمتفقه**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢/ ١٤٢١هـ.
- **فيض القدير**، المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١/ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
- **كيف تكتب بحثاً ناجحاً**، د/ صباح عبد الله بافضل، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط الأولى / ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- **لسان العرب**، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

- **مجموع الفتاوى**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز** رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: د/ محمد بن سعد الشويعر.
- **معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء**، سيد سعيد عبدالغني، دار طيبة الخضراء، ط١/ ١٤١٩هـ.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تقريظ ٥
تقريظ ٩
المقدمة ١١
التمهيد ١٥
أولا: التعريف بأهم مفردات عنوان الدراسة ٢١
التعريف الإجرائي للدراسة ٢٣
ثانياً: نبذة عن الشيخ ابن باز والعصر الذي عاش فيه ٢٤
ثالثاً: أقسام المخالفين لدعوة الشيخ ابن باز ٢٨
المبحث الأول: منهج الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وحكمته الدعوية ٣٥
المطلب الأول: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في دعوة المخالف ٣٩
المطلب الثاني: الاهتمام بالعقيدة والبدء بالأهم فالمهم ومراعاة الأولويات ٥٢
المطلب الثالث: التجرد للحق والبعد عن الهوى ٧٨
المطلب الرابع: التعامل مع المخالف وفق ضوابط الشرع ٨٥
المطلب الخامس: مراعاة آداب الحوار مع المخالف ١٠٥

المطلب السادس: التأني في إطلاق الأحكام والتثبت والتحقق قبل الحكم والبيان على المخالف ١٢٥
المطلب السابع: عدم الإنكار على المخالف في مسائل الاجتهاد السائغ . ١٣٦
المطلب الثامن: إنزال المخالف منزلته ومعرفة فضله إن كان من أهله ... ١٤٧
المطلب التاسع: السعي في كسب المخالف والبعد عن جعله عدواً للدعوة ١٥٨
المطلب العاشر: العدل والإنصاف في الحكم على المخالف ١٦٣
المطلب الحادي عشر: التوازن في التعامل مع المخالف ١٦٧
المبحث الثاني: حكمة الشيخ ابن باز في اختيار الوسائل والأساليب الدعوية المثلى في دعوة المخالف ١٧١
المطلب الأول: اختيار الوسائل المناسبة والوقت المناسب في دعوة المخالف ١٧٧
المطلب الثاني: انتقاء الأساليب الدعوية المناسبة لحال المخالف ٢٠٥
المبحث الثالث: آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر. ٢٢١
المطلب الأول: آثار حكمة الشيخ ابن باز في دعوة المخالف ٢٢٥
المطلب الثاني: أوجه الاستفادة من حكمة الشيخ في دعوة المخالف ... ٢٤١
الخاتمة ٢٤٧
النتائج ٢٤٧
التوصيات ٢٤٩
أهم المراجع والتوصيات ٢٥١
فهرس الموضوعات ٢٥٥